

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

معهد الثقافة الشعبية

رسالة لنيل شهادة ماجستير في الأثروبولوجيا

تحت عنوان : الممارسات الفخيرة لطبيعة الجسم

الوشم أنموذجاً

من إعداد الطالب: بن سليمان عبد النور

تحت إشراف: الدكتور قروش عبد القادر

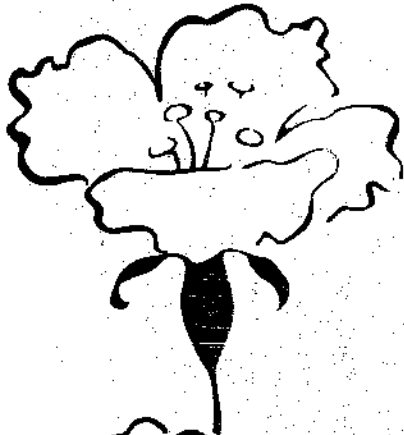
السنة الجامعية 1998/1997

الإهداء

إلى الوالدين العزيزين .

إلى جميع الأصدقاء .

أهدي هذا العمل .



تشكرات

أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا
في إنجاز هذا البحث وأخص بالذكر الأستاذ
المشرف قروش عبدالقادر الذي لم يدخر جهداً
في إرشادنا ومساعدتنا على إخراج هذا العمل
في أحسن صورة.

مقدمة

إن الاهتمام بالفن الشعبي يؤدي بطبيعة الحال إلى الاهتمام بشتى مجالات التعبير الفني في الحياة الشعبية كالرقص، الموسيقى، صناعة الزرابي و الأواني الفخارية و غيرها.

و دراسة الفن الشعبي في مختلف مراحلها التاريخية، تفتح الآفاق أمام الدارسين لضبط ملامح ثقافات الشعوب المختلفة و بيان أساليب ممارستها الثقافية التي تنعكس في سلوكياتها اليومية خلال المواقف الحياتية المتعددة و محاولة فهم طبيعة البيئة التي انفع بها الإنسان خلال حياته.

وظاهرة الوشم التي تسلك في هذا الحقل هي مجال خصب، غني بالأشكال التي يسجلها الإنسان على جسمه عاكسة أنماط ثقافية مختلفة، تستوقف الدارس و تستحثه على التفكير في دراستها.

1- أسباب اختيار الموضوع:

يرجع اختيارنا لهذه الظاهرة إلى أسباب عدة:

1- اهتمامنا بحقل الدراسات الأنثروبولوجية التي أصبحت تخصصاً معروفاً في الجامعة الجزائرية، يضاف إلى ذلك حب الاستطلاع و الكشف المعرفي للظواهر الاجتماعية المختلفة.

2- تباين المواقف من ظاهرة الوشم في الأوساط الشعبية واختلاف النظرة إلى المستوشم قبولا و استهجانا أمران يثيران الفضول العلمي لدى الباحث.

3- إهمال الدارسين لهذه الظاهرة في الجامعة الجزائرية؛ دفعنا إلى القيام بهذه المحاولة رغبة منا في الكشف عن حقيقة هذه الظاهرة والحث على بذل المزيد من الاهتمام بها.

1 - الدراسات السابقة :

شكلت الدراسات الميدانية التي قام بها علماء الأنثروبولوجيا في نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين حول ظاهرة الوشم في شمال إفريقيا مادة خصبة نهلت منها هذه الدراسة. وهي دراسات نستطيع تصنيفها حسب درجة اهتمامها بالظاهرة- موضوع الدراسة- إلى أنماط :

- دراسات خصصت لها كتباً، منها كتاب "وشوم و مستوشمون tatouages et tatoues" للباحث "وليام كاروشي"، يتحدث فيه عن مناطق الوشم المشهورة و تقنيته و شخصية المستوشم. وكتاب د. "زانتسو أوهيا" المعنون "دراسة الوشم في اليابان étude sur le tatouage au japon" الذي تناول فيه الطريقة اليابانية في عملية الوشم وتحدث عن الأشكال و التقنية المستعملة.

ب- دراسات خصصت لها فصولاً، من ذلك ما أشار إليه الباحث المغربي «عبد الكبير الخاطبي» في كتابه "الاسم العربي الجريح LA BLESURE DU NOM PROPRE من جوانب تمس ظاهرة الوشم: تعريفها، مفاهيمها و نشأتها مركزاً على الوشم عند المرأة المغربية.

ج- دراسات أشارت إلى الظاهرة في صفحات معدودة خلال دراسة ظواهر أخرى كالطلاسم و الطقوس، نذكر منها على سبيل المثال، دراسة الباحثة الفرنسية "ماتيا جودري MATHEA GAUDRY التي عنوانها FEMME CHAOUIA DEL'AURES فقد تكلمت فيها عن عادات المرأة الشاوية الأوراسية و تقاليدها، مركزة على الوشوم التي تحملها.

و نذكر كذلك دراسة د. عبد الجليل الطاهر المغنونة " المجتمع الليبي - دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية - " الذي أشار، أثناء تناوله للطقوس المعمول بها في شمال إفريقيا، إلى الوشم من حيث هو ظاهرة قديمة و تحدث عن بعض أشكاله و بعدها التاريخي كالصليب و اليد (الخمسة).

د- مقالات نشرت حول الظاهرة في مجلة التراث الشعبي ضمن أعداد مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال مقال الباحثة المصرية " سوسن عامر " بعنوان " الوشم في الفن الشعبي " و مقالي الباحث العراقي " ليث الخفاف " بعنوان " وشم الحنك " و " الوشم في الفولكلور " .

على أن الذي نسجله على هذه الدراسات بأصنافها الأربعة، إغفالها المعنى الحقيقي للوشم و إعطاؤها المستوشم أهمية واضحة و تجاهلها الوشم من جهة، ولا نجد بينها دراسة حللت أشكال الوشم ووقفت عند دلالاتها من جهة أخرى.

و من هنا، ارتأينا أن نستمر في هذا النوع من الدراسات باعتبارها مجالاً من مجالات الفن الشعبي الجزائري؛ انطلاقاً من محاولة دراسة هذه الظاهرة من خلال هذه الإشكالية :

ماذا نعني بالوشم ؟

ما هي أنواعه ؟

ما هي أشكاله ؟

ما هو مدلوله ؟

III - الهدف من الدراسة :

إن الهدف من هذه الدراسة يكمن فيما يلي :

أ- توجيه الأنظار إلى زاوية مشرقة من تراثنا الفني، و إلقاء الضوء على ما

يستدعي العناية الواجبة.

ب- المساهمة في تزويد مكتبتنا الجامعية بمرجع يفيد الطلبة.

IV - صعوبات البحث :

صادفتنا أثناء دراستنا مجموعة من الصعوبات نذكر منها ما يلي :

أ- قلة المراجع التي تعرض لهذه الظاهرة من قريب أو بعيد.

ب- صعوبة جمع أشكال الظاهرة - موضوع الدراسة - لأسباب عديدة :

ب1- ضعف تقنية التصوير الفوتوغرافي لقلة الإمكانيات المادية.

ب2- موقف مجتمع الوشم من هذه الدراسات الميدانية الذي يعكس ثقافته

السائدة، فهناك من رفض التصوير الفوتوغرافي معتقدا أن ما نقوم به يشكل

خطرا عليه أو أن الصورة الملتقطة قد توظف لأغراض أخرى وذلك من إفرازات

الوضع الأمني. و هناك من تجاوز معنا و سمح لنا بالتصوير شريطة ألا يذكر اسمه

خوفا أو حياء خاصة في مجتمع النساء.

ج- صعوبة الحصول على مضمون الوشم من حامله، فجل النساء اللائي

يحملن هذه الوشوم، يجهلن فعلا المعنى الذي تخفيه هذه الأشكال. أما الرجال

فإنهم يرفضون التصريح بمضمونها لأن ذلك لما يعود بذاكرته إلى الماضي الذي

يريد نسيانه.

د- صعوبة التنقل من مكان إلى آخر بحثا عن المراجع، نظرا للظروف

الأمنية من جهة و الإمكانيات المادية من جهة أخرى.

v - المنهج المتبع :

اعتمدنا في بحثنا هذا المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، ذلك أن الظاهرة- موضوع الدراسة- تعتبر في حد ذاتها تراثا شعبيا يعبر عن ماضي المجتمعات مما يصنفها ضمن الموضوعات التاريخية.

وتتشكل هذه الدراسة من مقدمة، مدخل، ثلاثة فصول و خاتمة.

مدخل :

حاولنا فيه تبيان مفهوم الجسم الذي نحن بصدده، وتحديد أهم الممارسات التي يخضع لها سواء أكانت مؤقتة أم دائمة. و وجهنا النظر إلى ظاهرة الوشم من حيث هي ممارسة تركت بصماتها على الجسم البشري.

الفصل الأول :

خصصناه لماهية الوشم من خلال النقاط التالية :

1- نشأة الوشم.

2- تعريفه لغة و إصطلاحا.

3- تعريف الواشم.

4- مصدر كلمة وشم.

5- تقنياته.

الفصل الثاني :

حاولنا فيه استعراض مايلي :

1- أنواع الوشم.

2- أشكاله.

3- لغته.

الفصل الثالث :

و هو فصل تطبيقي، حاولنا فيه تحليل بعض أشكال الوشم التي التقطناها عن طريق التصوير الفوتوغرافي من وسطنا الاجتماعي اعتمادا على منهج قائم على أسس أخذناها من دراسات بعض الباحثين المهتمين بتحليل الصورة سواء أكانت عادية، إخبارية أم سينمائية.

الخاتمة :

استعرضنا فيها أهم النتائج التي توصلت إليها دراستنا.

المدخل

يأتي اهتمامنا بالجسم -محور دراستنا- انطلاقاً من محاولة فهم و توضيح بعض الممارسات التي يخضع لها سواء أكانت تجميلية، طبية أم رمزية (دلالية) باعتباره حقلاً مهياً ومؤهلاً لها.

و المقصود بالجسم هاهنا هو الجسم لغة و معتقدات و أساطير أكثر منه جسم تشريحي لأنه مركز اهتمام البحوث الأنثروبولوجية و البيولوجية أو موجهها للإثنولوجيا (1) أي جسم ممثل، يحمل معالم حضارة شعوب و قبائل و يعكس هويتها (2) التي نجدها بارزة من خلال لون الجسم أو الرمز الموشوم عليه. فلكل لون مناسبة و لكل رمز دلالة حتى أنه يمكن التعرف على طرق حياة بعض الشعوب بمجرد فهم اللون أو فك الرموز التي يحملونها (3)، فسكان غينيا الجديدة مثلاً يلوّنون أجسامهم ليعبروا عما يريدون قوله، و قبائل "اليانومانو" بأمريكا الجنوبية يثقبون آذانهم دلالة على بلوغ سن الرشد. (4)

و جسم الإنسان الجزائري، مثل جميع الأجسام، لا يخلو من هذه الممارسات الدالة، فهو حقل خاضع لها، فمنها ما يعبر عن حضارته العربية الأصيلة، و منها ما هو دخيل من محيط أجنبي مكتسب عن طريق الاحتكاك و التأثير.

و من هذه الممارسات ما هو مؤقت ومنها ما هو دائم وتتمثل فيما

يلي :

1 - MALEK. CHEBÈL : LE CORPS DANS LA TRADITION AU MAGHREB , ED/ PUF , PARIS 1984 , P08.

2 - CLAUDE LEVI-STRAUSS : L'IDENTITE , ED/ PUF , PARIS 1975 , P 115.

3 - WILLIAM CARRUCHET : TATOUAGES ET TATOUES , ED/ TCHOU 1977 , P33.

4 - مجلة العربي : العدد 435، وزارة الإعلام، الكويت، فبراير 1995، ص 184.

1 - الممارسات المؤقتة :

يقصد بها تلك الممارسات التي تخضع لها أعضاء الجسم وتزول بمجرد ملامسة الماء لها، أهمها :

1- الكحل :

يعتبر من المواد الصخرية التي تستعملها النساء عادة و الرجال أحيانا، فهو يوضع على مستوى دائرة العين تطيبا أو زينة. و من فوائده الطبية :

أ- أنه يساعد العينين على الإبصار.

ب- أنه يزيل الدموع عند الحزن. (1)

ج- أنه يشفي الصداع.

أما في مجال الزينة أو التجميل فهي سنة أوصى بها الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام (2) و تعتبر هاجر زوجة النبي إبراهيم أول امرأة استعملت الكحل (3) للتزيين أو التجميل. كما أنه يستعمل كمادة ملونة لآثار الوشم.

(4)

2- الحناء :

و هي من النباتات التي لازالت تحصى بمكانة مرموقة في مجال التجميل، فقد استعملها قدماء المصريين في علاج بعض الأمراض الجلدية.

1 - E. DAUMAS : MOEURS ET COUTUMES DE L'ALGERIE , ED/ SINDBAD , PARIS 1988 , P 87.

2 - IBID , P 88.

3 - IBID , P 90.

4- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف ب "ابن منظور" : لسان العرب، ج09، ط01، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

و هي أصناف كثيرة منها البلدي، البغدادي و الشامي و غيرها. و هي شجرة صغيرة تشبه نوعا ما السدر، تطحن أوراقها الجافة و تعجن حيث توضع على الكف أو الأرجل و يصبغ بها الشعر و منها ما يزخرف به أعضاء الجسم و الوجه حتى قيل أنها وشم مؤقت (1) و يعتبرها البعض علاجا شعبيا توضع على القدم (2).

3- تزيين الوجه :

و يعتمد فيه على وسائل عديدة مثل المساحيق و المعاجين و الأصباغ المعدنية و العطور و الزيوت النباتية، و هي ممارسات عالمية، تهدف إلى إدخال تحسينات على الجسم في ملمسه و رائحته و منظره العام. (3) و تتموضع على الوجه كالتالي :

اللون الأزرق أو الأسود يستخدم في منطقة العين "الرموش" و الجفون. الأبيض مع مشتقاته للحدود و الوجنات.

أما اللون الأحمر، فهو أكثر مواد التجميل استعمالا لأنه مستمد من

أكسيد الحديد (4)، ترضه المرأة على شفيتها و يعرف بأحمر الشفاه ROUGE A

(3) LEVRE

1- A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENOEL , PARIS 1973 , P 98.

2 ينظر -حبي محمودي : الأعشاب الطبية (من الحديقة النبوية) المطبعة الجزائرية للمخلات و الجرائد 1994 / ص 195.
وينظر كذلك لشمس الدين أبي عبد الله بن القيم الجوزي معجم التداوي بالأعشاب و النباتات الطبية - شركة الشهاب الجزائر
1987/ص 26.

3 - ينظر : مجلة التراث الشعبي، العدد 3، السنة التاسعة، دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق 1978، ص 121.

4 ينظر د- محمد رياض " الإنسان دراسة في النزع و الحضارة" دار النهضة بيروت لبنان 1975/ص 325

5- FEMME D 'AUJOURDHUIT', MAGAZINE HEBDOMADAIRE du 14/07/1985 , P26. ET FEMME ACTUELLE : MAGAZINE DU 04/ 10/1992.

غير أن تزيين الوجه يعتبر ممارسة آنية و ذلك نظرا لتعرضها لعنصر الماء الذي يحمي أثرها.

II - ممارسات راسخة (دائمة) :

نقصد بها تلك التي تفنى بفناء الجسم الخاضع لها أي بموت صاحبها و منها: الجراحة التجميلية، الختان، و الوشم الذي هو موضوع دراستنا.

1 - الجراحة التجميلية :

ظهر هذا الفرع من العلوم الطبية تماشيا مع المتطلبات الجمالية للعصر و تمارس الجراحة التجميلية تلبية لطلب الفرد على أعضاء جسمه البارزة كالوجه و اليدين مثلا، سواء أكان ذكرا أم أنثى. و من الدراسات التي تدرج في هذا المجال، ما قام به الأستاذ "جاك فافر" (1)، حيث جمع عينة تتكون من 150 حالة من الجنسين، تتراوح أعمارهم من 30 إلى 40 سنة، مارسوا الجراحة التجميلية خوفا من الشيخوخة المبكرة التي بدأت تصيب أعضاء من أجسامهم، كانكماش الجفنين و تجعد الخدين و الجبهة. و من الأعضاء التي تستوجب حقا هذه العملية هي :

1- الأنف :

إن الاهتمام بالأنف شيء لا بد منه، نظرا لمكانه البارز من الوجه (2) و لذا فلا بد من اللجوء إلى الجراحة التجميلية -التي تكون في الأغلب ناجحة- إذا أصابه عيب كالطول أو الانكسار أو الاعوجاج.

1 - J. FAIVRE ET CL. ZENATTI : CHIRURGIE ESTHETIQUE , ED/ MAIOINE SA , PARIS 1980 P31

2 - P. F GRIGAUT : QUE- SAIS-JE : CHIRURGIE ESTHETIQUE ET PLASTIQUE .P 95.

ب - الحاجبان :

تمارس عليهما الجراحة التجميلية لتمويه مرض الشيخوخة المبكر، فهي تمس الأشخاص المتقدمين سنا أو من به عاهة. (1)

ج - الأذنان :

تمارس الجراحة على الأذنين عند الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين 10 و 12 سنة و يقوم هذا العضو عن طريق التخدير الكلي أو التخدير الجزئي .
و أخيرا نقول أن الجراحة التجميلية أصبحت في العصر الحاضر و خاصة عند الغرب من الآداب العامة نظرا للدور الذي تلعبه في المجتمع.

2- الختان :

هي عملية تمارس على الذكور و نادرا ما تمارس على الإناث (2) حيث تنفرد بها الأمة العربية بها و الإسلامية عامة. غير أن هناك من يرى أن الختان ظاهرة قديمة عرفتھا المجتمعات البدائية (3)، فقد مارسها العرب في الجاهلية (4) فهو لا يعتبر أمرا يشترط الانتماء إلى الإسلام و ذلك تبعا لقول "مجاهد":
فإن النبي محمد صلى الله عليه وسلم مثالا الذي ولد محتونا لم يكن ليعطي دلالة دينية لهذه الممارسة " (5).

1- P F GRIGAUT : CHIRURGIE ESTHETIQUE ET PLASTIQUE , QUE SAIS- JE , P100.

2- الختان : بالنسبة للمرأة نوع من التأديب الجسدي حتى لا يفتت عقلها عندما تكبر- ينظر: مجلة العربي ، العدد 437 ، أبريل 1995 ، وزارة الإعلام الكويت ، ص 18.

3-S. FREUD -TOTEM ET TABOU , ED/ PETIT BIBLIOTHEQUE, PAYOT , PARIS 1966 , P 175.

4- NAFISSA ZERDDUMI : ENFANTS D'HIER (EDUCATION DE L'ENFANT AU MILEU TRADITIONNEL ALGERIEN) , ED/ FRANCOIS MASPERO , PARIS 1979 , P 201

5- د/ نور الدين طوالي : الدين والطقوس والتغيرات ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د. ت ، ص 90.

غير أن الخاطبي، يرى أنه إذا كان الختان مذكورا في جملة السنن، فإنه عند كثير من العلماء واجب لأنه شعار الدين و به يعرف المسلم من الكافر و إذا وجد المختون من بين جماعة قتلى غير محتونين، صلى عليه و دفن في مقابر المسلمين⁽¹⁾ ولكن يجب ذكر أن المجتمع اليهودي هو الآخر يمارس عملية الختان على أبنائه⁽²⁾ و التي تعتبر عندهم كمؤشر تحالف (Signe d'alliance) مع الإله. و الأحاديث الشريفة التي تدل على مشروعية الختان كثيرة، نورد منها ما روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من الفطرة: المضمضة، الاستنشاق و قص الشارب، السواك... و الاختتان"⁽³⁾، و نقصد بالفطرة العملية التي تطهر البدن و تزين المظهر كما يعتبر الختان رأس فطرة البدن.

و الختان الذي يعني قطع القلفة التي تغطي رأس الذكر⁽⁴⁾، له فوائد صحية نذكر منها:

- إنه يجلب نظافة و تزيين و تحسين الخلقة و تعديل الشهوة.
- إنه تدبير صحي يقي صاحبه من أمراض كثيرة و يقلل من إمكانية الإصابة بالسرطان الذي يصيب الأشخاص ذوي القلفة الضيقة، و إذا أسرعنا في ختان الطفل جنبناه الإصابة بالسلس البولي.⁽⁵⁾

1- A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENOEL , PARIS 197 , P 70.

2- NAFISSA ZERDOUMI : ENFANTS D'HIER (EDUCATION DE L'ENFANT AU MILIEU TRADITIONNEL ALGERIEN) , ED/ FRANCOIS MASPERO , PARIS 1979 P 202.

3- د/ عبد الله ناصح علوان : تربية الأولاد في الإسلام، ج 1، دار السلام للطباعة و النشر، حلب - بيروت، د. ت، ص 110.

4 - المرجع نفسه، ص 109.

5- المرجع نفسه، ص 102.

و تشبه هذه العملية قلع الضرس عند بعض قبائل أستراليا (1) وثقب
الروم (2) والمنخر عند بعض القبائل التي تقطن قارة أمريكا الجنوبية. (3)
غير أن الشيء الذي أثار انتباهنا يكمن في تلك الرسومات ذات
الأشكال المختلفة، المتوضعة على الأعضاء البارزة من جسم المرأة و الرجل
على حدّ السواء و المعروفة في الوسط الاجتماعي الجزائري خاصة و العربي
عامة بظاهرة الوشم التي ارتأينا أن نعالجها في نطاق محدود نظرا لاتساع
الموضوع ورحابة مجاله، حيث سنركز في دراستنا على العناصر الآتية:

- نشأة الوشم، مفهومه ، مصدره وتقنياته.

- أنواعه، أشكاله ولغته.

- تحليل نماذج من أشكاله.

1- NAFISSA ZERDOUMI : ENFANTS D'HIER (EDUCATION DE L'ENFANT AU MILIEU ALGERIEN
TRADITIONNEL), ED/Francois MASPERO, PARIS 1979, p 151.

2- الروم بأسفل الأذن (شحمة الأذن).

3- مجلة العربي فبراير 1995 وزارة الإعلام الكويت العدد 435 /ص 184.

الفصل الأول : ماهية الوشم

ستتطرق في هذا الفصل إلى نشأة الوشم و مصدره ثم تعريفه اللغوي و الاصطلاحي، و تقنياته، و ذلك من خلال الدراسات التي قام بها الأنثروبولوجيون.

المبحث الأول: نشأة الوشم

يعتبر الوشم ظاهرة قديمة قدم الإنسان على وجه الأرض، فقد صنف الباحث " بارتولون BERTHOLON " بعض الوشوم التي اكتشفها أثناء قيامه بحفريات استهدفت قبورا بشرق ليبيا، أرجعها إلى العصرين المسيحي⁽¹⁾ و الحجري الجديد⁽²⁾ أي إبان العهد الأشولي خلال الألفية الحادية عشر قبل الميلاد، و يذكر أيضا أن أفراد قبيلة " تماهوس TAMAHOUS كانوا يشمون على جلودهم صلبانا، يرجع ذلك إلى 1300 سنة قبل الميلاد. (3)

و يذهب الباحث الفرنسي " هنري براي HENRI BREUIL الذي خصص وقتا كبيرا من حياته في البحوث الأثرية إلى أبعد من ذلك، حيث كشف في مغارات " ليليطا LA PELITA " بجنوب إسبانيا عن رسومات و رموز ذات طابع بيكتوغرافي لها علاقة بالوشوم.

كما حظيت ظاهرة الوشم في الحضارة الفرعونية بعناية خاصة، فقد كان قدماء المصريين يحترمون موتاهم من الأغنياء و الحكام و يقدسونهم و كانت عقيدتهم تملئ عليهم أن يضعوا تحت تصرفهم كل ما يمكن أن يرغبوا

1-د/ عبد الجليل الطاهر: المجمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان 1969 ص 186.

2- GOBERT: REMARQUES SUR LES TATOUGES DU NORD-AFRICAINE , REVUE AFRICAINE , 1956, p 502.

3 - IBID P 502

فيه عند عودتهم مرّة ثانية إلى الحياة، حيث كان يوشم على ظهر الميت رمز يعلم به لونه أحمر. (1)

و قد كشفت الحفريات عدّة موميات ترجع إلى ألفي سنة قبل الميلاد، ما تنفك وشومها تحافظ على جماليتها لدى أربع نسوة، إحداهن كاهنة و اثنتان راقصتان و الأخرى امرأة بالغ، يمثل وشمهن نقاطا موضوعة في أشكال متوازية، و يبدو أن الهدف من الوشم عند الفراعنة كان جماليا و علاجيا و سحريا. (2)

أما الوشم في اليونان القديمة، فقد كان دليل نبيل ورفعة (3) حيث ذكر المؤرخ اليوناني "هيروdot" أنه كان من رموز الشرف التي كان يتباهى بها النبلاء في تراقيا باليونان. (4)

و قد أفادنا الرحالة "ماركو بولو" أن الوشم عرفه الصينيون في العصور القديمة بحجة أن المؤرخ الصيني "ما- تيان- لين" الذي عاش في القرن الثاني عشر أكد أن المرأة الشريفة التي تنتمي إلى عائلة غنية في جزيرة (هاي- مان)، مارست ليلة زفافها وشمها خاصا إذ تزينت بأحسن الرسومات دليلا على أناقتها و جمالها. (5) كما استعملوه قديما في الجراحة التجميلية. (6)

و في العصر الروماني، وجدت تماثيل صغيرة من الطين مملوءة بالرسومات الهندسية التي ليست في الحقيقة وشوما واضحة تعددت خطوطها

1- د. عبد الجليل الطاهر / المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية المكينة العصرية - صيدا لبنان 1969 ص 187

2- ينظر - أوجبال بيار : الموميات، ص 120.

3 - مجلة العربي، العدد 435، فبراير 1995، وزارة الإعلام، الكويت ص 185.

4-د/عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكينة العصرية، صيدا، لبنان 1969. 189.

5 - WILLIAM CARRUCHET , TATOUEGES ET TATOUES ED/ TCHOU , PARIS 1977 P 19.

6 - STRIA ZYTH : ENCYCLOPEDIA , QUIET , VOLUME 10.

و تخص منطقة الظهر، وأخرى وجدت في منطقة "سبارت SPARTE" تمثل امرأة تحمل على ذراعها الأيمن وشما متكونا من مجموعة معينات. (1)
و لقد وجد الوشم أيام القرطاجيين في عهد "حنبل HANNIBAL" حيث عُثر على أفنعة من طين، تظهر عليها رسومات لرجال و نساء، يحملون على أجسادهم أوشاما مختلفة الأشكال كالهلال والخطوط العمودية و الدوائر، تتركز في الغالب على الوجه. (2)

و للوشم عند القرطاجيين دوران :

1- طقسي.

2- وقائي.

وقد عرف الوشم عند العرب في الجاهلية، حيث كانت النساء يشمن على الوجه و اليدين و الزند، أما الرجال فكانوا يشمون على الصدر (3) و كانوا يطلقون عليها "الكتابة بالنقاط". (4) و قد اهتم الشعراء آنذاك بهذه الظاهرة كقول زهير بن أبي سلمى: (5)

ديار لها بالرقمتين كأنها مراجع وشم في نواشر معصم

و قول طرفة بن العبد: (6)

لخولة أطلال ببرقة نهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

1 - WILLIAM CARRUCHET : TATOUAGES ET TATOUES, ED/ TCHOU, PARIS 1977 P 19.

2 - WILLIAM CARRUCHET : TATOUAGES ET TATOUES, ED/ TCHOU, PARIS 1977, P 33.

3- محمد شكري الألوسي البغدادي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ط 03، ج 03، دار الكتاب العربي، مصر، ب- ص 10-

11

4 - A. KHATIBI, LA BLESSURE DU NOM PROPRE, ED/ DENOËL, PARIS 1973, P 67.

5- أبو زيد عماد بن أبي الخطاب القرشي (170 هـ) جمهرة أشعار العرب دار بيروت للطباعة و النشر ط 01 بيروت- 1984 ص 105-115-

149

6- ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر للطباعة و النشر، دار بيروت للطباعة و النشر، ط 01، بيروت 1964، ص 116 - 135.

و قول الأعشى : (1)

ترد معطوف الضميمة على غير كأنّ الوشم فيه خلل

و في القرون الوسطى، بدأ الاهتمام بالوشم خاصة على الصعيد الأوروبي و الآسيوي، حيث ظهر وشامون لهم خبرة و براعة أمثال " ماك دونالد" في إنجلترا و " جورج يورشت" بروسيا الذي كان يلقب "ملك الوشم

(2) . ANGE DE TATOUAGE

و بلغ الوشم ذروته في الفترة الممتدة بين القرنين السابع عشر و التاسع عشر، التي تُعدّ عصرا ذهبيا للوشم الياباني حيث ظهر فيه العديد من الوشامين كما وجدت فيه أحسن التحف الفنية التي تحوي أشكالا حيوانية تتميز بالقوة و الشجاعة، كالتنين، الأسد، الصقر و غيرها من الحيوانات المشومة على أجسام فئة من أفراد سكان مدينة طوكيو، و هم يجوبون شوارعها في كل سنة احتفالا بيوم المطافئ (3)، تمجيدا لرجالها الذين يعتبرون في ذاكرة اليابانيين الأقياء و الأوفياء.

و تشير دراسة أُقيمت حول هذه الظاهرة في " تايلندا"، أنها نشأت في أحضان المعبد و هي عملية تمارس في حضور شعبي كبير على أشخاص متطوعين، توشم على أجسادهم بقراءة ترانيم أشكال حيوانات مختلفة، تمثل طوطم كل مستوشم يشرع إثر نهاية العملية بتقليده في سلوكاته المختلفة؛

1- ديوان الأعشى، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت 1986، ص 137.

2- مجلة العربي، العدد 435 فبراير 1995 وزارة الإعلام الكويت ص 185.

3 - ZENSTSOU OHYA : ETUDE SUR LE TATOUAGE AU JAPON , ED/ MENERVA DERMATO LOGICA 1959 , P 59.

وقد يشم آخرون فضلا عن ذلك صدورهم و ظهورهم بكتابات تشكل لباسا آخر ذا دلالات عقائدية. (1)

و للأفارقة السود، عادات و تقاليد تظهر جليا في الزينة و الزخرفة الجسدية خاصة الأعضاء المكشوفة منها، حيث تلجأ فئة من ذوي البشرة السوداء إلى عملية التخليخ لأن الوشم لا يظهر لونه على أبدانهم. (2) و خير مثال على ذلك، شعب " سراكول SARAKOLE " المقيم بإفريقيا الغربية ذو العين المشدودة و الوجنات البارزة، الذي تملي عليه عقيدته بتشريح الحدود و الصدر (3) أما عن ذوي البشرة السمراء فإن الوشم يخص النساء فقط.

تم العملية كما يلي: يأتون بالفتاة التي سيقام عليها الوشم و التي يتراوح عمرها بين 13 و 14، عاما و تطرح أرضا ثم تأتي مجموعة من النساء و هن يدرن حولها و يرقصن و يغنين و بعد ذلك؛ تأتي الواشمة التي عادة ما تكون زوجة حداد القرية و تستعمل شوكة صلبة محماة توخر بها اللثة مع إدخال مسحوق من رماد الفول السوداني المحروق من وقت إلى آخر.

أما في مدغشقر، فلا تزال ظاهرة الوشم تشيع في مجتمع النساء أكثر منها في مجتمع الرجال، معتمدة في كل ذلك على الطريقة القديمة في تجسيد مختلف الأشكال. في حين نجد الرجال في قبيلة " ماكوا MAKOA " التي تقع على الساحل الغربي يعتمدون على زخرفة الحدين و النساء ينفردن برسومات مقننة على جباههن و تحت أعينهن خطوط تمثل الدموع و على صدورهن

1- قناة الجزيرة: حصة مراسلون، 24 جوان، 1997.

2- WILLIAM CARRUCHET : TATOUAGES ET TATOUÉS , ED/ TCHOU , PARIS 1977 , P 35.

3- IBID , P 37.

و ظهورهن صور مختلفة تمثل نماذج بشرية منمنمة، أما على الذراعين فنجد كتابات ومثلثات و صلبانا و تماسيح موشومة.

أما عند قبائل "أنطودرو ANTODROY"، ذوي البشرة السمراء، القاطنة بجنوب مدغشقر فإنهم يرون الوشم مجوهرات تحملها أجسادهم، و هو عند هؤلاء يشمل كل أعضاء الجسم تقريبا. و الغريب في الأمر أن هناك من يشم اسم زوجته عند كل زواج جديد. كما تحمل النساء أسماء الرجال الذين تزوجن بهم.

أما عن الكيفية التي تتم بها عملية الوشم عند هؤلاء، فيبدؤون برسم الشكل المرغوب فيه على الجلد بنقطة بواسطة شوك نبات الصبار بطريقة سريعة و عندما يكثر سيلان الدم تدهن المنطقة بمزيج يتكون من السخام و الماء و خشب الليمون المحروق وتوضع على الجرح حتى يجف الدم و خلال أسبوعين يظهر الشكل المرسوم باللون الأخضر.

و خلاصة القول إن الوشم رغم ندرته عند الأفارقة فإنه كان وسيلة

تمييز بين القبائل. (١)

و للوشم أثر لا زال قائما عند بعض المجتمعات في شمال إفريقيا و لا بأس أن نقف عنده و نبين أهميته.

١- مصر: ما زال الوشم قائما في هذا البلد، تمارسه النساء و الرجال عن طريق فناني مختصين يتجولون في الأحياء و الأسواق بحثا عن الزبائن، وهم يحملون آلات بدائية كالإبر المثبتة بالجبس أما المادة الملونة فهي الرماد المزوج بالزيت و الماء و عن مواضع الوشم فيرجع إلى اختيار الزبون حسب

رغبته. فالنساء عادة ما يكن واشتات على الدقن بخطوطا و على ظهر الكف و الفتر و الأصابع نقاطا المراد منها العلاج.

و أما عند الأطفال الصغار، فنجد نقطة على الدقن و أخرى على المنخر الأيمن. و هذه النقاط لها ما يبررها حيث تعتقد الأمهات أنها تحميهم من أوجاع الأسنان. أما الكبار فيشمنون على الصدر زخرفة جمالية. و يقال أن الفترة المناسبة للوشم عند المصريين هي شهر أوت، سبتمبر، أكتوبر. (1) وهناك من يرى أن الفترة التي تلائم عملية الوشم و تساعد على نجاحها هي فصل الربيع. (2)

ب- ليبيا: لقد عرف المجتمع الليبي في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ظاهرة الوشم التي تعددت أشكالها إذ نجد على سبيل المثال سعف النخيل و الصليب (3) لغرض طرد الشؤم و العين الشريرة من منازلهم. و قد كشفت البحوث الأثرية التي قام بها الباحث "بارتولون BERTHOLON" في شرق ليبيا حيث عثر على قبر يرجع تاريخه إلى 1300 قبل الميلاد (4) نسب إلى رئيس قبيلة منطقة "تل العمارنة" (5) وشم على الطريقة الفرعونية محنك لوحظت على جسمه عدّة رسومات، فنجد على كتفه الأيمن مثلا رسما بخط مضعف و موج و أربع نقاط و على الصدر ستة معينات على شكل عمودي و تحت السرة صفا يتكون من أربعة معينات.

1- ليث الخفاف: وشم الحنك، مجلة التراث الشعبي ع 03 و 04، دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق 1979، ص 47.

2- ENCYCLOPÉDIE (grand LAROUSSE), QUÏET VOLUME 10.

3- عبد الجليل الطاهر، المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان 1969، ص 189.

4 GOBERT: REMARQUES SUR LES TATOUGES DU NORD AFRI CAIN, REVUE AFRICAINE, 1956 p 508.

5 - PIERRE DU BOURGUET: L'ART EGYPTIEN, S. A GENEVE, 1980, P 59.

غير أن الشيء المثير حول ظاهرة الوشم عند المجتمع الليبي، ما لوحظ

عند نساء بنغازي اللواتي نسحن البسملة على فروجهن. (1)

و أخيرا نقول أن البحوث حول ظاهرة الوشم في ليبيا كانت ضئيلة مقارنة مع تونس التي سوف نتكلم عنها لاحقا ما عدا تلك المحاولة التي قام بها "أوريك باتس oric bats" 1914 الذي تكلم في كتابة عن الوشم في شرق ليبيا. (2)

ج- تونس : حظي التراث الشعبي باهتمام الباحثين الغربيين منذ وقت مبكر، ففي سنة 1890 قام د. بازان " Bazin " بدراسة في نواحي تونس العاصمة؛ ثم أعقبه في سنة 1894 الباحث فيليب بارجي " PHILIPPE BERGER " الذي نشر في مجلة "assyriologie et archéologie orientale" تقريرا حول الوشوم بتونس العاصمة ثم كتب الباحث جون بوكي " jean bouquet " مقالا عن الوشوم الزخرفية التونسية نشره في مجلة " Histoire et Pharmacie " ثم في 1911 كتب الباحث "جوبار GOBERT " آراء حول الوشوم عند الأهالي في ضواحي قفصة، نشرها في المجلة التونسية ثم عاد سنة 1947 إلى الدراسة نفسها، نشرها في مجلة " HISTOIRE ET RELIGION " و من أشهر الأمثلة التي التقطها هي تلك المعينات المصحوبة بحرف " M " الموجودة على فخذ سكان البدو في تونس عند الذكر و الأنتى على السواء. (3) كما تكلم عن بعض التصرفات التي كانت سائدة قديما في تونس عندما تكون المرأة حاملة لوشوم جميلة على جسمها يقال عنها

1 - M. CHEBEL : LE CORPS DANS LA TRADITION AU MAGHREB , ED/ PUF , PARIS 1984 p 152.

2 - GOBERT: REMARQUE SUR LE TATOUAGE DU NORD AFRICAINE , REVUE AFRICAINE 1956 , p 519.

3 - IBID , P519.

إنها امرأة كاملة الجمال و قد أفادنا ببعض قصائد الشعر الملحون تهتم بظاهرة
الوشم، منها :

أوشم يا وشام

حير دليلي، العشق زاد غرام (1)

فالشعراء في تونس، كانوا يهتمون بظاهرة الوشم باعتبارها أداة من
أدوات الزينة عند المرأة التونسية.

د- المغرب : يعتبر هذا البلد من أهم بلدان شمال إفريقيا المحافظة على
تراثها الشعبي نظرا للأبحاث الأنثروبولوجيا الكثيفة التي اهتمت بهذا التراث و
لا سيما ظاهرة الوشم الفريدة من نوعها من حيث الرموز. و من أبرز
الباحثين الذين اهتموا بهذه الظاهرة الباحث "هاربر Herbert" حيث نشر مقالا
في مجلة "Revue Africaine" حول وشوم الظهر في المغرب و ذلك في سنة 1947
ثم في سنة 1948 كتب بعض الصفحات في مجلة "Hesperit" حول الإعلاميات
"Onomastiques" للوشوم المغربية ثم تكلم في نفس السنة عن الوشومات
المغربيات و نشرها في نفس المجلة (2) و في سنة 1951 الملتقى الرابع لفدرالية
المجتمعات المتقدمة في إفريقيا الشمالية حول مصدر زخرفة الوشوم المغربية. (3)
أما د. عبد الكبير خاطبي فقد أفرد لظاهرة الوشم مؤلفا حيث تناول فيه
المرأة المغربية كعينة لدراسته فتكلم عن التسمية المغربية بالوشم (4) و قد اهتم
أحد الرسامين المغاربة المدعو بالأستاذ شرقاوي بالثقافة الشعبية المغربية و قد

1- MALEK CHEBEL : LE CORPS DANS LA TRADITION AU MAGHREB ? ED/ PUF , PARIS , 1984
Paris, P155.

2- GOBERT : REMARQUES SUR LES TATOUAGES DU NORD-AFRICAINE , REVUE AFRICAINE
1956, P521.

3- IBID , P 520.

4 - A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENOEL , PARIS 1973, P 218.

ركزت دراسته على صناعة الزرابي، وتلك الرسومات الهندسية التي يزخر بها عالم الوشم و التعبير الذي تخفيه وهناك محاولة خصص لها د. مالك شبل بعض الصفحات حول الجسم المكتوب Le Corps écrit، حيث أفادنا بقائمة من الرموز

الموجودة على مختلف أعضاء الجسم و كذا تسميتها باللهجة المغربية. (1)

ه الجزائر: استطاع المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات أن يحافظ على ثقافته رغم تناوب أيادي الاستعمار عليه، فقد عرف صناعة الجواهرات قبل مجيء الفنيقيين أي في القرنين العاشر و الحادي عشر قبل الميلاد خاصة في منطقة الأوراس(2)، كما عرف صناعة الزرابي و الأواني الفخارية المزخرفة برسومات تعبر عن الواقع الجزائري. غير أن هناك ظاهرة لفتت أنظار الباحثين الغربيين، خصصوا لها وقتا كبيرا من حياتهم للإطلاع على أسرارها ألا وهي ظاهرة الوشم التي تعتبر من الظواهر الاجتماعية التي نشأت في البادية وتطورت في المدينة. (3)

و من أبرز الباحثين الذين اهتموا بهذه الظاهرة، الباحث الفرنسي لوسيان جاكوا "LUCIEN JAQUOIT" الذي نشر مقالا سنة 1899 في مجلة "الأنثروبولوجيا"، تناول فيه أنماطا مختلفة من الوشوم عند أهالي الجزائر ثم تلاه د. رينولد "REYNAULD" الذي قام بدراسة في الجزائر العاصمة حول إزالة الوشوم، نشرها سنة 1901 في مجلة "Les maladies cutanée".

1 - M. CHEBEL : LE CORPS DANS LA TRADITION AU MAGHREB , ED/ PUF , PARIS1984 , p 156.

2 - TATIANA BENFOUGHAL : BIJOUX DE L'AURES ,SERIE ETHNOGRAPHIQUE , ENAP , Alger,1977 , P17.

3- ليث الخفاف : وشم الحنك، مجلة التراث الشعبي، العدد 03، 04، دار الحافظ للنشر، بغداد، 1979، ص 40.

أما عن فان جناب " Vangennep " فقد قام بدراسات إثنوغرافية حول

الوشوم، نشر منها مقالا في مجلة " ETHNOLOGIE ET SOCIOLOGIE " . (1)

و نشير هنا، إلى أن مهمة العساكر الفرنسية لم تكن قاصرة على الردع و القتل بل مست جوانب أخرى من المجتمع حيث اهتموا بثقافته و أخذوا يدرسون باهتمام بليغ سلوكيات الناس و عاداتهم. و من بين هؤلاء الملازم بيجو " Bejot " الذي قام بدراسة حول هذه الظاهرة، نشرها في باريس سنة 1920 في جريدة تدعى الأنثروبولوجيا و علم الاجتماع.

و في سنة 1920، قدمت الباحثة الفرنسية ماتيا جودري " MATHEAGAUDRY " دراسة مستفيضة حول ظاهرة الوشم عند المرأة الشاوية الأوراسية.

و هي دراسات تكشف عن قدم ظاهرة الوشم في الجزائر ولا بأس أن نعرض على بعض المناطق التي يعتبر الوشم فيها من جواهر الثقافة الجزائرية و لقد اقتصرنا على الأوراس، القبائل، أولاد نايل و الغرب الجزائري.

1- الأوراس :

يعتبر الوشم في منطقة الأوراس من التقاليد القديمة التي تعرف انتشارا مكثفا عند النساء اللواتي يتمسكن بها و يحافظن عليها رغم حكم الإسلام فيها. (2)

و المرأة الأوراسية تشم نفسها بنفسها و لا تلجأ إلى اختصاصيين إلا

1 - GOBERT : REMARQUES SUR LES TATOUGES DU NORD-AFRICAINE , REVUE AFRIAINE 1956 P502.

2- محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي - دليل الصالحين لطرق رياض الصالحين (شرح كتاب رياض الصالحين للإمام النووي)، مج 04، دار الفكر، بيروت، د. ت، ص 493.

نادرا (1) و يبدو أن هدف الوشم كان ف بداية أمره وقائيا ثم سرعان ما أصبح زخرفيا. (2) و لن نجد اليوم إلا عند النساء اللاتي تتجاوز أعمارهن سن الخمسين بحيث لا يمكن أن تصادف امرأة أقل من هذا السن تحمل وشما على جسمها.

ب- القبائل : هي منطقة جبلية شأنها شأن منطقة الأوراس، قد قسمت في العهد الاستعماري إلى منطقتين :- القبائل الكبرى و القبائل الصغرى كان سكان القبائل لا يزالون يحافظون على تقاليدهم النابعة من عمق مجتمعهم التي يرجع تاريخها إلى ما قبل التاريخ كالتويذة وصناعة الزرابي و غيرها.

و قد تكلم عن هذه الظاهرة التي يتوقف عليها جمال المرأة القبائلية، الباحث الفرنسي "أوجان دوماس E. DAUMAS" مشيرا إلى أنها تحمل بين العينين و المنخر، منذ صغرها، وشما على شكل صليب، و يذكر الباحث أن القبائل قد خلدوا هذه العادة دون معرفة أصلها الذي يرجعه إلى المسيحية. (3) و يبدو أن الوشم عند المرأة القبائلية هدفه تجميلي، ينحصر في رمزين

هما : الصليب و الذباب المتموضعان على الجبهة و الدقن (4) و هو ذو طابع عشائري، يؤكد الاختلاف بين سكان أعالي الجبال و أسفلها، فسكان القمم ينفردون برسوم خاصة تميزهم من سكان أسفل الجبال حيث تظهر الوشوم في شكل مثلثات متوازية الأضلاع، توشم بين العين متجهة من الأسفل إلى

1 - MATHEA GAUDRY : FEMME CHAOUIA DE L'AURES (ETUDE SOCIOLOGIE BERBERE) ,ED/ PAUL GEUTHNER 1929 ,P 128.

2- GOBERT : REMARQUES SUR LES TATOUAGES DU NORD-AFRICAIN ,REVUE AFRICAINE 1956 P 501.

نادرا (1) و يبدو أن هدف الوشم كان ف بداية أمره وقائيا ثم سرعان ما أصبح زخرفيا. (2) و لن نجد اليوم إلا عند النساء اللاتي تتجاوز أعمارهن سن الخمسين بحيث لا يمكن أن تصادف امرأة أقل من هذا السن تحمل وشما على جسمها.

ب- القبائل : هي منطقة جبلية شأنها شأن منطقة الأوراس، قد قسمت في العهد الاستعماري إلى منطقتين :- القبائل الكبرى و القبائل الصغرى كان سكان القبائل لا يزالون يحافظون على تقاليدهم النابعة من عمق مجتمعهم التي يرجع تاريخها إلى ما قبل التاريخ كالتويذة وصناعة الزرابي و غيرها. و قد تكلم عن هذه الظاهرة التي يتوقف عليها جمال المرأة القبائلية، الباحث الفرنسي "أوجان دوماس E. DAUMAS" مشيرا إلى أنها تحمل بين العينين و المنخر، منذ صغرها، وشما على شكل صليب، و يذكر الباحث أن القبائل قد خلدوا هذه العادة دون معرفة أصلها الذي يرجعه إلى المسيحية. (3) و يبدو أن الوشم عند المرأة القبائلية هدفه تجميلي، ينحصر في رمزين هما : الصليب و الذباب المتموضعان على الجبهة و الدفن (4) و هو ذو طابع عشائري، يؤكد الاختلاف بين سكان أعالي الجبال و أسفلها، فسكان القمم ينفردون برسوم خاصة تميزهم من سكان أسفل الجبال حيث تظهر الوشوم في شكل مثلثات متوازية الأضلاع، توشم بين الأعين متجهة من الأسفل إلى

1 - MATHEA GAUDRY : FEMME CHAOUIA DE L'AURES (ETUDE SOCIOLOGIE BERBERE) ,ED/ PAUL GEUTHNER 1929 ,P 128.

2- GOBERT : REMARQUES SUR LES TATOUAGES DU NORD-AFRICAIN ,REVUE AFRICAINE 1956 P 501.

3 - E. DAUMAS : COUTUMES ET MOEURS DE L'ALGERIE , ED/ SINDBAD , PARIS 1988 , P 151.

4 - J. H PROBEST : LES TATOUAGES TRADITIONNELS DES INDIGENES ALGERIEN , ED/JOANNES DESVIGNE ET SES FILS EDITEURS , PARIS 1933, P 16.

الأعلى؛ أما القبائل السفلى، فيشمون على الخد الأيمن نجمة خماسية و على الأصابع نقاطا. (1)

ج- أولاد نايل :

هي منطقة شبه صحراوية، تضم جلفة، بوسعادة و مسيلة و هذه المنطقة هي مركز الوشم في الجزائر، و من أشكال الوشم المنتشرة فيها :

- النجوم: رسومات ليست لها أي مدلول رمزي هدفها تجميلها تضعها النساء ما بين العينين.

- الجريد أو النخيل : و الجريد كلمة محلية خاصة بسكان الجنوب و هي وشم يأخذ عدة أشكال: منها ما يشبه الإبر و منها ما هو على شكل منمنمات و أشكال أخرى مكونة من فروع و خطوط ذات اعوجاج تشبه إلى حد كبير الجثم متعدد السلام و منها ما يشبه النخيل المعوج. و في منطقة أولاد نايل هناك أشكال متعددة و متنوعة تشبه في تصويرها أشجار مفتحة البراعم أو حشرة تعرف ب " أم الأربع و الأربعين " أو إشارات أو رموز دينية قديمة.

و هناك أشكال أخرى كالصليب و الذباب تضعها نساء أولاد نايل على الخد.

د-العرب الجزائري : لظاهرة الوشم منذ القدم، في هذه الجهة مكانة مرموقة، يدلنا على ذلك وجود رمز الصليب على جبهة الرضيع في نواحي وهران. (2)

1 - J. H. PROBEST : LES TATOUAGES TRADITIONNELS DES INDIGENES ALGERIENS , ED/ JOANNES DESVIGNE ET SES FILS EDITEURS , PARIS 1933 , P 30.

2 - A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENOEL , PARIS 1973 , P 151.

أعمارهن الخمسين سنة و هو معروف عند الكهول الذين جسدوا تلك الأشكال في فترة شبابهم كما تلقى له حضورا لدى فئة الشباب المنحرف الذي يجد في هذه الظاهرة مجالا واسعا ينفس فيه عن مكبوتاته. و الملاحظ أن الوشم في الغرب الجزائري يختلف في أشكاله عن منطقة الأوراس و أولاد نايل و القبائل، فهي تقتصر على تلك الرموز البسيطة التي يصعب فهمها لأنها تخفي وراءها أسراراً كثيرة.

المبحث الثاني : تعريف الوشم و تقنياته

أولا : تعريفه.

ثانيا: تعريف الوشم.

ثالثا : مصدر كلمة الوشم.

رابعا : تقنيات الوشم.

(1) فشبها أطلال المحبوبة بآثار الوشم الباقية على ظهر الكف، كقول طرفة

بن العبد:

لخولة أطلال بريقة نهدم تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

4- عملية الوشم تتم عبر مراحل مختلفة، ينجم عنها ألم إلى غاية ظهور الدم الذي أهمله صاحب التعريف ثم حشو الجرح المترتب عن عملية الغرز بمادة الكحل التي تعتبر من وسائل التطيب أو الزينة⁽²⁾ و اختلاطه بالدم يعطي لونا أخضر، أو النيل الذي يعطي اللون الأزرق.

و من مذاهب العرب في الجاهلية الوشم و هو غرز العضو بإبرة ونحوها حتى يسيل الدم ثم يحشى بنورة أو نحوها فيخضر، و كانوا يقصدون من ذلك الزينة فينقشون به غالب أبدانهم أنواعا من النقوش تتخذ صور حيوانات و غيرها، فترى شفاة غالب نسائهم زرقا، و أما الرجال فكانوا يستعملون الوشم في بعض المواضع من الجسد، يزعم أنه يُقوّي المفصل الذي يوشم عليه، و الأطفال منهم يوشمون في بعض الأماكن من وجوههم قصد الزينة⁽³⁾. إذن الوشم عند العرب في الجاهلية كان عبارة عن نقش⁽⁴⁾ على الجسد كنقش الصخور و الخشب، مستعملين الإبر و وسائل أخرى مشابهة كالمسلات و الأشواك و غيرها، يفرسونها في الجلد حتى يسيل الدم ثم يحشون العضو الجروح بنورة و هي من النباتات المفضلة لديهم⁽⁵⁾ تجعل لون الوشم أخضر.

1- ديوان طرفة : دار بيروت للطباعة و النشر، ط1، بيروت 1402هـ/ 1982م، ص 19.

2- E. DAUMAS : MOEURS ET COUTUMES DE L'ALGERIE ,ED/ SINDBAD ,PARIS 1988 ,P87.

3- محمد شكري الأوسي البغدادي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج 03؛ ط03، دار الكتاب العربي، مصر، د. ت، ص 10 و 11.

4- دولة موسى: الوشم دراسة اجتماعية - ثقافية، مجلة التراث الشعبي، العدد 11، دار الجاحظ للنشر، بغداد، 1979، ص 51.

5- د/ خليل الساجر : المعجم العربي الحديث، مكتبة لاروس، باريس 1973.

و كان الخاطبي قد أشار أن الوشم عند العرب هو كتابة بالنقاط (1) أي عملية الوخز أو الغرز بوسيلة معينة ما هي إلا عملية كتابية، فنكتب على الجسم كما نكتب على الورق أو الخشب، حتى قيل عنه إنه جسم مخطوط.

(2)

و يرى د. محمد رياض أن الوشم عبارة عن وخز الجلد بإبر تحمل غالبا اللون الأسود أو الأزرق. (3)

و نلاحظ أنه استعمل كلمة وخز التي تعتبر أكثر ملاءمة للوسيلة ثمّ تكلم عن تقنية مباشرة، حيث تكون الإبرة هي حاملة اللون وذلك بإغماسها في السائل المعد دون اللجوء إلى حشو الجرح بسائل ليكتسي لونه الأزرق أو الأسود ثمّ نجده قد أضفى اللون الأسود على شكل الوشم الذي يظهر عادة بلونه الأخضر أو الأزرق.

و قيل إن الوشم غرز الإبرة في البدن وذر النيلج عليه (4) نلاحظ هنا أن العملية تتناسب مع الوسيلة (غرز - إبر)، ثم ذكر المساحة الخاضعة لها وهي البدن بصفة عامة، وأخيرا النيلج الذي اختلفت الآراء حوله، فهناك من يرى أنه شحم يعالج به الجرح حتى يخضر. (5)

1 - A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENOEL , PARIS 1973 , P75.

2 - M. CHEBEL : LE CORPS DANS LA TRADITION AU MAGHREB , ED/ PUF , PARIS 1984 , P152.

3-د/ محمد رياض : الإنسان دراسة في النوع و الحضارة، دار النهضة، بيروت 1974، ص 375.

4- محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز : قاموس المحيط، مكتبة النوري، دمشق، ج 04، د. ت، ص 186.

5- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب، د. ط، د. ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 638.

ويرى البعض الآخر أنه صباغ أزرق يستخرج من نبات النيل(1) الذي

سبق تعريفه.

وتذهب اللسانيات المتعصبة (2)، إلى أن الوشم نظام دلالي، ولكنه ثانوي إلى حد بعيد، لا يمكن اعتباره لغة ما دام لا يخضع لاقتصاد التحليل الصوتي و لهذا يجب الاستعانة بعلم جديد في تركيب موضوع الوشم، يعرف بالكتابية "GRAPHEMATIQUE" التي تسمح بتحليل التركيب الخاص لكل نظام دلالي. و من خلال هذا التعريف نستنتج المفاهيم التالية:

1- الوشم نظام دلالي: و معنى ذلك أن الرموز و الإشارات الموشومة على الجسم البشري هي دالة، أما مدلولها فيتمثل فيما تحويه من أفكار و معان. و لهذا، فإن العلاقة بين الدال و المدلول في عالم الوشم في أغلب الأحيان نسبية على غرار العلاقات الأخرى كالبصر و السمع و الشم. (3)

و لهذا السبب، جاء في التعريف أن الوشم نظام دلالي ثانوي بحيث لا تظهر العلاقة مباشرة بين الدال و المدلول أي يتعذر على الناظر للوشوم المنقوشة على جسم بشري ما معرفة مدلولها الحقيقي.

2- الوشم ليس بلغة لأنه لا يخضع لاقتصاد التحليل الصوتي المتكون من الصوائت و الصوامت، أي انعدام عنصر الصوت المرتكز على اللفظ و دلالاته(4) علما أن اللغة هي مجموعة من أصوات (s) و وسيلة اتصال بين بني

1- د/ خليل الساحر : المعجم العربي الحديث، مكتبة لاروس، باريس 1973.

2 A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENOEL PARIS 1973 ,P69.

3 - OSWALD DUCROT ET TZVETAN TODOROV : DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE DES SCIENCES DU LANGAGE , ED/DE SEUIL , PARIS 19. 72 , P249.

4- د/ إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية للطباعة، ط02، القاهرة 1963، ص 62.

5- إميل بنفست : مسائل من اللسانيات العامة، جاليمار، باريس 1976 ن ص 57.

البشر. أو كما عرفها رائد اللسانيات المعاصرة "دوسوسير" حيث قال : "إن اللغة المنطوقة هي ظاهرة واسعة إلى أقصى حد شديدة الثراء، بحيث تستعصي على المعالجة الشاملة". (1)

و هكذا فالوشم يفتقر لعنصر النطق و بالتالي يجب اللجوء إلى عنصر الكتابة التي تسمح بتحليل التركيب الخاص لكل نظام دلالي و توضيح مدلوله.

و ذكر الباحث الفرنسي "جوبار GOBERT" أن الوشم تركيب نحوي متناسق لغويا، شأنه شأن القماش و الزخرفة و الصباغة، هدفه تجميلي. (2) من هذا التعريف نلاحظ أن الباحث قد شبه الوشم بتراكيب نحوية متكاملة، نظرا لخبرة و مهارة صاحبها، و لهذا يمكن اعتبار الوشم بمثابة لغة تنظمها قواعد نحوية لا تترك أثرا للزلل. و الوشوم التي تحملها نساء شمال إفريقيا للدليل على ذلك حيث تظهر اللغة التشكيلية جوهر فن الزخرفة و البيكتوغرافية (3)، فتحمل معها دلالتها و تنطق بمجرد رؤيتها. و يرى الباحث "هربر HERBERT" أن الوشم لباس مكتوب، يقاوم الرؤية (4)، يتوسط اللباس العادي و الجسم العاري.

و الوشم كلباس يغطي الجسم العاري، ظاهرة سادت في العصور القديمة

1- ينظر : د/ دليلة مرسللي، فرنسوا شوفالدون، مارك بوفات، جان موطيت، ترجمة : عبد الحميد بورايو : مدخل إلى السيميولوجيا (نص - صورة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص 71.

2- GOBERT : REMARQUES SUR LES TATOUAGES DU NORD-AFRICAIN , REVUE AFRICAINE , 1956 ,P 501.

3- ينظر مجلة الحياة الثقافية ص 67.

4- A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PRPRE , ED/ DENOEL , PARIS 1973 ,P 88.

"الديانة الطوطمية" (1) و لا زالت قائمة عند بعض القبائل التي تعيش بعيدا عن حضارة البيض أي تلك المقيمة في أدغال فنزويلا و الأمازون حيث جعلوا الوشم لباسا، يغطي مساحة كبيرة من أجسادهم. (2)

و قد عرف الباحث الوشم من خلال جسم المرأة المغربية الحامل للوشوم و هو يقصد باللباس الثالث المجوهرات التي تأتي عادة تكملة للباس العادي. فالوشم إذا حل محل المجوهرات التي كان الحصول عليها آنذاك مستحيلا لغلاء سعرها، و مقاوما للرؤية متحديا المجوهرات ذات القيمة.

و كذلك حجابا يقاوم العين الشريرة. إذن فالوشم كلباس ثالث له هدفان : تجميلي أي كحلية ثابتة و وقائي يصد الشؤم و أثر العين الشريرة.

(3) يرى الخاطبي أن الوشم في الأصل ما هو إلا علامة رمز صورية motif idéopictographique (4).

و من هنا نستنتج أن "الخطاطبي" جعل جسم المرأة الموشوم مساحة خاضعة لوقائع منسوخة - أي مجموعة من الأفكار أو المصطلحات مجسدة على الجسم عن طريق الوشم في صيغة رموز و رسومات تظهر أحيانا في الزربية، و الأواني الفخارية - و هذا ما ذهب إليه الفنان المغربي "محمد سجلماسي" حينما بدأ بتفكيك بعض الأشكال الهندسية المغلقة الموجودة في الوشم و الزربية المغربية، فيذكر أن المربع يمثل المنزل، و المثلث يحل محل كلمة

1- سوسن عامر : الوشم في الفن الشعبي، مجلة التراث الشعبي، العدد 09، دار المحاضر للنشر، بغداد 1978، ص 30.

2- WILLIAM CARRUCHET : TAOUAGES ET TATOUES, ED/ TCHOU, PARIS 1977, P19.

3- د/ عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان 1969، ص 189.

4- A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE, ED/ DENOEL, PARIS 1973, P76.

الفول و المعين يرمز للعين. (1) ولهذا فالوشم حسب "الخاطبي" يندرج ضمن اللغة التشكيلية التي تعتمد أساسا على البيكتوغرافيا التي تعتبر عنصرا فعالا في الكتابة الميوتوغرافية التي ذات النظام الدلائلي المستقل (2)، فالرسومات المعتمد عليها تفيد التواصل كما هو الشأن بالنسبة لسكان الإسكيمو بالأسكا حينما يذهبون إلى الصيد يتركون على أبواب منازلهم رسالة بها رسومات، تبين الاتجاه الذي أخذوه. (3)

أما في عالم الوشم، فتبرز البيكتوغرافية في شكل رسومات تكون وسيلة تواصل بين أفراد ينتمون إلى قبيلة واحدة ككتابة النسييدي. (4) و منها ما يعبر على الانتماء القبلي أو العبودية. و هكذا يبقى الوشم المنسوخ على الجسم البشري حسب الخاطبي نظاما دلائليا من نوع خاص، يصعب معرفة مدلوله فهو لغز يستدعي استنطاق صاحبه.

و يرى الباحث المغربي "محمد سحلماسي" (5) أن الوشم عقد اجتماعي، يمارس في جو حافل بالغناء و الرقص، فالعائلة هي التي تختار الرسومات التي توشم على جسم فئاتها لأنه يمثل الختم العائلي.

فنحن إذا بصدد مجتمع نسوي يرى في الوشم عهد البنت مع أمها أضف إلى ذلك أن الواشمة في شمال إفريقيا عادة ما تكون امرأة خبيرة في فن الوشم.

1 - M. SIJELMASSI : LA PEINTURE MARO CAINE , ED/ J. P TAILLANDIER , PARIS 1972 ,P 172.

2 -OSWALD DUCROT ET TZVETAN TODOROV : DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE DES SCIENCES DU LANGAGE , ED/ DE SEUIL ,PARIS 1972 ,P 250,251.

3 - IBID ,P 250.

4 - ROBERT FARRIS THOMPSON : L'ECLAIR PRIMORDIAL (presence africaine dans la philosophie et l'art afro-americaine) , ED/ CARIBEENNES ,PARIS 1985 ,P244.

5 - M. SIJELMASSI : LA PENTURE MAROCAINE, ED/ J. P TAILLANDIER , PARIS 1972 ,P175.

و الشيء الذي نلمسه أن الوشم بمثابة عقد اجتماعي يعكس التراضي الكائن بين الفتاة و عائلتها من جهة و بين العائلة و الواشم من جهة أخرى.

و قيل إن الوشم نتاج وخزات ملونة في الجلد، تنقش بواسطة عظمة مديبية النهاية أو بإبرة مغموسة في مزيج، يترك أثرا على الجلد ويسبب ألما لا يمكن إزالته. (1)

و معنى ذلك، أن الوشم في شكله و صورته التي يظهر بها على الجسم ما هو إلا وخزات أو نقاط ملونة نقشت على الجلد أي أحدثت جرحا ذا عمق معين بواسطة عظمة لها شكل إبرة حاملة معها اللون المراد حشوه في الجرح، تاركة وراءها أثرا يتمثل في اللون الأخضر أو الأزرق المبرز للشكل الجسد على عضو اختير مساحة نقش عليها مسبا ألما لا يمكن محوه. و لهذا نجد صاحب هذا التعريف استعمل مصطلح نقش بدل وخز أو غرز، لأن فن النقش (2) يخلد و يترك بصمات الفنان على أجسام مختلفة منها الخشب و الصخور التي لازالت تزخر بها منطقة التاسيلي (3) ثم هاجر إلى فضاء آخر هو الجسم البشري ليتترك أثرا أقوى مما تتركه عملية الوخز أو الغرز يبرز من خلال اللون الذي يظهر به الشكل الموشوم. أما "مالك شبل" فيرى أن الوشم هو كتابة إشارية مستوحاة من فلسفة الشخص في الحياة. (4)

من خلال هذا التعريف يمكن استخلاص فكرتين أساسيتين:

1- الكتابة الإشارية :

1- دولة موسى : الوشم دراسة اجتماعية - ثقافية ، مجلة المراتب الشعبي، العدد 11، دار الجناح للنشر، بغداد 1979، ص 51.

2- MALIKA HACHID : LES PIERES ECRITES DEL'ATLAS SAHRAOUI , ED/ ENAG ,ALGER 1992 ,TOM 01 ,P 153.

3 -M. BEDJOUI :ARTS RUREAUX , ALGER 1975 ,P 96.

4 -M. CHEBEL : LE CORPS DANS LA TRADITION AU MAGHREB ,ED/PUF , PARIS 1984 ,P152.

و هي كتابة يعتمد فيها على الإشارات للتعبير عن أفكار، سواء أكانت عبارة عن رسومات حيوانية أو نباتية و غيرها من الأشكال. و تعتبر الهيروغليفية إحدى الكتابات الإشارية التي تعتمد على الصور و الرسومات للتواصل، و تعتمد الكتابة الليبية القديمة(1) على أشكال مختلفة من رموز و إشارات لازال أثرها قائما عند سكان التوارق بالجنوب الجزائري، فيكتب بها الرسائل للتواصل فيما بين القبائل و الأعراش.

أما في عالم الوشم، فتبدو الكتابة الإشارية واضحة في تلك الأشكال التي لها دلالة عالمية كالقلب الذي يعبر دائما على الحب، و الصليب الرامز إلى الأثر المسيحي، و الأفعى الدالة على المرأة الشريرة و غيرها من الأمثلة.

2- فلسفة الشخص في الحياة:

هي مجموعة من السلوكات التي يكتسبها الأفراد من المجتمع عن طريق الممارسات أو التلقين أو المشاهدة، و هي أحيانا سلوكات اعتيادية تتوارثها الأجيال فتصبح عرفا يسير الجماعة تلقائيا. و هكذا نجد إبداعات الشخص - كما ذكر "يونج" JUNG - صادرة من اللاشعور الجمعي(2) و معنى ذلك أن كل الأفكار التي يتولد عنها الإبداع تكون في أول الأمر كامنة في لاشعور الجماعة مادامت مكتسبة من أجيال سالفة و هكذا تبقى الرسالة السلفية موشومة في ذاكرة الفرد و بالتالي تصبح فلسفة يسير عليها.

و الخطوط و الرسومات المجسدة على صخور الطاسيلي ما هي إلا فلسفة مبدعيها، كما هو الشأن بالنسبة للكتابة المصرية القديمة

1 - MALIKA HACHID : LES PIERRES DE L'ATLAS SAHRAOUI ,ED/ ENAG ,ALGER 1992 ,TOM 01 ,P153.

2- د/ علي عبد المعطي محمد : فلسفة الفن، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت 1985، ص 174.

(المهيو و غليفية) التي تمثل فلسفة جمع من الكهنة أضحت بمثابة النقش المقدس (1) و تبقى الخطوط و النقاط و الرسومات الموشومة على أعضاء الجسم المغربي هي الأخرى فلسفة عبر من خلالها عن الجمال و العلاج و السعادة و غيرها من التعبيرات.

و الوشم في نظرنا هو مجموعة من التعبيرات سواء أكانت كتابة، رموزا أم إشارات منقوشة على البدن تمثل نظاما دلاليا خاصا، شأنها شأن الميثوغرافيا، أي العلاقة بين الدال و المدلول التي هي في أغلب الأحيان نسبية، تضطر الدارس إلى استفهام المستوشم عن ماهية وشمه.

1- ينظر : د/ محمد جمال الدين مختار : الحضارة المصرية في العهد الفرعوني، ص 16.

II-تعريف الواشم:

إن كل الدراسات التي استهدفت موضوع الوشم من بعيد أو من قريب أخذت بعين الاعتبار مواضيع الوشم ولغته وتقنياته. كما وجهت اهتمامها أكثر إلى المستوشم و حللت شخصياتها من خلال الرسومات والظروف التي أدت إلى استعماله؛ ولكنها أغفلت شخصية الواشم و عليه من يكون هذا الواشم؟ و ما هي أهدافه من خلال عمله هذا؟ و هل هناك من مشاهير في هذا الميدان؟.

لقد عرّف قاموس لاروس الواشم تحت مادة وشم: "هو ذلك الذي يمارس فن الوشم". (1)

و قد أشار د. إيدمون لو كار في كتابه (2) إلى ماهية الواشم قائلا : "إنه المستشرد البائس الذي يربح بعض النقود بتزيين جلد زبائنه بدون إحداث خطر التعفن".

ومن أبرز الواشمين العالميين البابا "زفيران" ZEPHYRIN " الملقب بواشم الأشفياء، كان يجمع بقايا السجائر، و يحمل دوما علبة إبر و أصبغة مختلفة الألوان منها الأخضر، الأحمر، الأزرق و الحبر الصيني و كان يصف الواشم بأنه فنان بائس مغمور، تعطيه حرفته شهرة واسعة بقدر جودتها و تطور تقنياتها. (3)

1 - PETIT ROBERT : DICTIONNAIRE DE LA LANGUE FRANCAISE ,TOM 01, 1989.

2- EDMON LOCARD : TRAITE DE CREMINALISTIQUE , 1932 ,P 50.

3 - IBID , P 55.

و في الولايات المتحدة الأمريكية، يوجد الاخوة "ريللي RELLY الذين
اشتهروا بأعمالهم الناجحة متمثلة في رسم مشهد "ليونارد دافينشي LEONARD
DE VINCI" على ظهور زبائنهم.

أما في فرنسا يعتبر "برينو BRUNO" من أشهر الوشامين البارزين الذين
يشهد لهم بالتفوق ف كثير من الأعمال التي لقيت إقبالا كبيرا من قبل
الزبائن و ضاهت في جودتها و دقة تركيبها أعمال أكبر الواشمين في أوروبا.

و في بريطانيا توجه الأنظار إلى الفنان "ماك دونالد MAC DONALD"
الملقب بميشال ملك الوشم ANGE DE TATOUAGE (1) الذي كانت تلجأ إليه
الطبقة الأرستوقراطية رغبة في تجسيد أحسن تحفة فنية و مما يلاحظ أنه كان
يستخدم تقنية متطورة حيث يعد من أوائل الوشامين في استعمال الجهاز
الكهربائي للحصول على رسم أكثر انتظاما وجعل العملية أقل ألما.

ولقد أشار "جون دافيد" إلى المشاكل الاجتماعية و القانونية التي
يفرزها الوشم منذ 1939 في الدول الأوروبية عن أحد أشهر الوشامين
البريطانيين المدعو "جورج بيركان" الذي أظهر من بين خمسة أولاد و اثني
عشر حفيدا، سبعة وشامين محترفين في مدينة "بريطون BRITHON".

و من أوشامه التي ابتكرها واختص فيها، شعر كثيف على رأس الأصلع
و قطار بعرباته موشوم على الذراع، يسير في اتجاه معين. (2)

و إثر انتشار الوشم في أوروبا، ظهر سنة 1881 "جورج يورشت" و هو
رسام مشهور خبير في الوشم، لقب ملك الوشم "ANGE DE TATOUAGE"، فقد

1- WILLIAM CARRUCHET :TATOUAGES ET TATOUES ,ED/TCHOU ,PARIS 1977 ,P34.

2 - JEAN DAVID : PROBLEMES SOCIOLOGIQUES ET JURIDIDUES POSES PAR LE TATOUAGE
DEPUIS 1939 DANS QUELQUES PAYS D'EUROPE , ED/E. S. F, PARIS 1958.

رسم وشما للملك "جورج الخامس" و القيصر " نيقولاس الثاني " بدقة تليق بالملوك. (1)

و يعتبر "يوشيهيتو ناكاتو" أستاذا للوشم يعيش في مرسوم خاصا جدا بمدينة طوكيو، وقد استغرق في رسم لوحة واحدة بالوشم على جزء كبير من الجسد حوالي سنتين، تكلف مقتنيها حوالي 5000 جنيه إسترليني. (2)

و أصبح الوشام يستعمل إبرة تعمل بالبطارية مما جعل عملية الوشم أقل ألماً.

و يتجول الوشامون في راجستان بالهند في أسواق القرى مصطحبين أدواتهم و دليلا للتصاميم يعرضونه على الزبائن الراغبين في الوشم، و عندما يتم اختيار التصميم من قبل الزبون يطلب الوشام المكافأة المالية مسبقاً ثم يشرع في العمل بعد الاتفاق بينهما. (3)

أما في الجزائر فإن شخصية الواشم تذوب في وسط نسوي، يتقن صنعة الوشم و يتفنن في تشكيل صورته المختلفة و ممن اشتهر في هذا المجال نساء أولاد نايل(4) و نساء بني عامر (العامريات) اللائي يتمركزن في الغرب الجزائري، و يتخذن الوشم حرفة.

أما المرأة الأوراسية فتجمع بين شخصية الواشم و المستوشم حيث تشم جسمها بنفسها (5).

1- مجلة العربي، العدد 435، وزارة الإعلام، الكويت، فبراير 1995، ص 185.

2- نفس المرجع، ص 184.

3- دولة موسى: الوشم في الفن الشعبي، مجلة التراث الشعبي، العدد 11، دار الجاحظ للنشر، بغداد 1979، ص 51.

4- JOURNAL " EL WATTAN " DU 16/10/ 1994 ,P14.

5- MATHEA GAUDRY : FEMME CHAOUIA DE L'AURES (ETUDE SOCIOLOGIE BERBERE) ,ED/ PAUL GEUTHNER 1929 ,P 129.

أما عند الذكور فإن الوشم يعتبر عملية جماعية ليس هناك وشم مختص بل كل شخص يشم للآخر و المساجين مثال لذلك.
و في هذا العصر أدخلت تقنيات جديدة تمثلت في آلات إلكترونية، تنوب عن الوشم، تعمل على غرس الصباغة دون ألم أو معاناة مشكلة شكلا يشد الأنظار إليه، لا يتجاوز عمره خمس سنوات. (1)

III- مصدر كلمة الوشم:

يقودنا البحث التاريخي إلى أن أصل الوشم طوطم، عرفته الديانات الطوطمية التي هي ديانات قديمة عرفها الإنسان البدائي عندما كان المجتمع الإنساني يتألف من قبائل و عشائر صغيرة حيث كان على كل فرد من أفراد القبيلة أن يتخذ لنفسه طوطمًا أي شيئًا مرادفًا له من حيوان أو نبات شعارًا له و كان الاعتقاد السائد في هذه العشائر و القبائل هو أن طوطم كل فرد يقوم بحمايته مما عسى أن يشهده من أخطار و يوجي إليه أيضا كلما اقتضى الأمر بوسائل المقاومة و الخلاص.

فهو قرينه و صديقه و حاميه. و هذا الاعتقاد كان يسيطر على نفوس الأفراد سيطرة قوية. فكان الواحد منهم يفتحم المخاطر بلا خوف و لا وجل و لا تبصر في العواقب مؤمنا أن طوطمه معه يمدّه بروحه و يكفل له الظفر و النجاح.

و كان الاعتقاد السائد كذلك أن لكل شخص سلطة على طوطمه و حظوة لديه ففي استطاعته أن يستخدمه لتحقيق مختلف رغباته و أن ينال منه ما يشاء مادامت صورته على جسمه موشومة.

1- مجلة العربي : العدد 435، وزارة الإعلام، الكويت، فبراير 1995، ص 185.

و تطلق كلمة طوتم التي تنسب إليها العقيدة الطوطمية أو النظام الطوطمي على كل أصل حيواني أو نباتي (1) تتخذه العشيرة رمزاً لها ولقبا لجميع أفرادها، معتقدة أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية، منزلة الأمور التي ترمز إليه منزلة التقديس. فإذا كان الذئب مثلاً طوطماً لعشيرة ما فمعنى ذلك أن هذه العشيرة تتخذ هذا الحيوان رمزاً لها يميزها عما عداها من العشائر.

و يرى "مالينوفسكي MALINOVSKI" أن الصلة بين الإنسان و الطوتم أساسها قائم على مبدأ المنفعة و خاصة التزود بالطعام الذي شغل تفكير الإنسان الأول كما ذكر أن الإعجاب و الخوف من الأسباب الهامة التي دعمت هذه الصلة. (2)

و قد ساد هذا النظام الطوطمي عند العرب في الجاهلية، فكانت بعض القبائل تنسب إلى أسماء حيوانات كقبيلة بني أسد و بني ثعلبة و بني دويبة و غيرها من القبائل و بظهور الإسلام، اندثر هذا النوع من النظام. و قد عثر الباحثون في أول الأمر على مظاهر كثيرة من هذا النظام المنسوب إلى الأصل الحيواني أو النباتي مجسداً في عقيدة. كما نجد اللفظ نفسه مستخدماً في هذا المعنى لدى بعض عشائر الهنود الحمر و هو لفظ "طوتم" الذي اشتق منه لفظ "تاتو TATOO" الأوروبي.

و أول ما ظهرت هذه الكلمة كان في مرجع إنجليزي ألفه "ليني برول" و قد تضمن إشارات مقتضبة إلى هذه الديانات و ما تشتمل عليه من عقائد و شعائر كان لها أثر تلك البدائيات. (3) و للإشارة إن عادة الوشم ارتكزت

1 - SIGMUND FREUD : TOTEM ET TABOU , ED/ PETIT BIBLIOTHEQUE ,PAYOT ,PARIS 1976 ,P127.

- STEPHAN GSELL : HISTOIRE ANCIENNE DE L'AFRIQUE DU NORD , TOM 01 , ED/ LIBRAIRIE HACHETTE , PARIS , P 246.

2 - CLAUDE LEVI-STRAUS : LE TOTEMISME AUJOURD'HUIT , ED/ PUF , PARIS 1974 ,P 86.

3 - LUCIEN LEVY BRUHL : LA MYTHOLOGIE PRIMITIVE , ED/ PUF , PARIS 1963 ,P 17.

في نشأتها على ظهور الدم من جراء أثر الجرح على الجسم لكي يمتزج امتزاجا ماديا و معنويا بالصفات و الأشياء التي تحملها العقيدة الطوطمية. (1)

و يرى غيره أن مصدر كلمة "وشم TATOUAGE" بولونيزي (2) و أول إنسان تكلم عنه باللغة الإنجليزية هو البحار "جامس كوك" سنة 1769 حيث قال في وصفه للظاهرة: "النساء و الرجال يقومون بتزيين أجسادهم و يسمون ذلك تاتو TATOO" (3). غير أن هناك بعض علماء الطبيعة الذين صاحبوا جامس كوك في رحلاته و خاصة الباحث "بوجانفيل BOUGAINVILLE" (4) في القرن الثامن عشر قد أهتم بظاهرة الوشم التي لاحظها لأول مرة في جزيرة طايتي. و كان لإسهامات البحارة قبل "كوك" في القرن السابع عشر دور كبير في هذا المجال، يتصدرهم ماركو بولو "MARCO POLO" الذي أشار في قصصه إلى ثقافة الشعوب التي زارها في تجواله خلال أربعة و عشرين عاما حيث يذكر "كانسيجو CANSIGU" و هي مقاطعة تقع في أقصى حدود برمانيا و تايلندا فيقول عنها: "أن كل سكان تلك المنطقة كانت أجسادهم مغطاة برسومات رسمت بالإبر مثل التين و الأسد و الطيور من عدة أشكال بطريقة تجعلها لا تزول و يقومون به على الوجه و الصدر و الأذرع و اليدين و كل مناطق الجسم، و يرسمون بأناقاة و يعتبر من أجمل سكان الأهالي من كان جسمه مغطى بأنواع الوشوم. (5)

1- سوسن عامر : الوشم في الفن الشعبي، مجلة التراث الشعبي، العدد 09، دار الجاحظ للنشر، بغداد 1979، ص 32.

2- A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENOEL , PARIS 1973 ,P69.

3- STRIA ZYTH : ENCYCLOPEDIE , QUIE , VOLUME 10.

4- MICHEL DUCHET : ANTHROPOLOGIE AU SIECLE DU LUMIERES ,ED/ FLAMMARION ,PARIS 1977 , P 300.

5- WILLIAM CARRUCHET : TATOUBAGES ET TATOUES , ED/ TCHOU ,PARIS 1977 , P19.

أميريكو فلورونتان FLORENTION AMERICO VESPUCCI :

وقد أثارت نجاحات "كريستوف كولومب" عزيمة أميريكو في اكتشاف العالم الثالث، فبدأ في الفترة ما بين 1501 و 1502 ينقب في أراضي البرازيل واصفا هذه الرحلة في رسالة له إلى "LAURENT DE MEDECIS" قائلا: ". . . إن وجوههم الطبيعة جميلة لكنهم يشعونها عن قصد بسلوك عجيب حيث يتقبن وجوههم من كل جهة، وهذه العادات هي أكثر غرابة و نفورا و إزعاجا عند أول اقتراب إلى هذه الوجوه المثقوبة و المغطاة بالحجارة تبدو أكثر شبها بالأشباح منها بالإنسان . . ."

ماجلان MAGELIN :

في رحلة حول العالم سمحت للبحار البرتغالي برؤية الألوان الجسدية عند بعض الشعوب التي تمثل اكتشاف هائلا، ففي الفلبين مثلا يعيش الأهالي عرايا خلا منطقة الحوض التي تغطي بأغصان الأشجار أما بقية الجسم فتكون مغطاة بالوشم.

- VOIR AUSSI : YUCEF NACIB : ELEMENTS SUR LA TRADITION ORALE , ED/ SNED ,ALGER

1982 ,P 66 - ينظر كذلك سوسن عامر : الوشم في الفن الشعبي، مجلة التراث الشعبي، العدد 09، دار الجاحظ للنشر، بغداد 1979، ص

للوشم تقنيات تجسده على الجسم وأخرى لإزالته.

1- تقنيات تجسيد الوشم:

تشير الدراسات التي رجعنا إليها أن التقنيات المعتمدة في هذا المجال كثيرة و متنوعة، نذكر منها الأكثر شيوعا في الوسط الجزائري موضوع الدراسة :

أ - الوخز / الغرز :

ركزت جل التعاريف الاصطلاحية على الوخز (1) و الغرز من حيث هي طريقة يوشم بها الجسم باستعمال وسائل مناسبة لها في شكلها الأمامي أو رأسها المدب كالإبر (2) و شوك النبات (3) و المسلات وغيرها من الوسائل. و هي تقنية يختلف استعمالها من مجتمع إلى آخر، فيذهب بعض الوشامين إلى رسم الفكرة على العضو بقلم حبر أزرق أو أسود ثم تؤخذ الإبرة عموديا و يبدأ بالغرز مرارا حيث توجد الرسومات حتى يدمى الموضع (4) ثم تبلل قطعة قماش بوسائل يستخرج من نبات أو صخور كالكحل (5) أو الصلصال و غيرها من المساحيق و توضع على الجرح مرات لتخفيف الدم و بعد أسبوع يظهر الشكل بلونه الأزرق أو الأخضر و هو ما يعرف بالوشم.

1- يعتمد الطب الصيني التقليدي على الوخز بالإبر، لعلاج بعض الأمراض كإعاقة الشلل و النطق. انظر مجلة العربي ن العدد 437 ابريل 1995، ص 139.

2- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب، د. ط، د. ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 09، ص 638.

3- A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE, ED/ DENOEL , PARIS 1973 , P115.

4- محمد شكري الألوسي البغدادي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج 03، ط 03، دار الكتاب العربي، مصر، د. ت، ص 10،

5- E. DAUMAS : MOEURS ET COUTUMES DE L'ALGERIE , ED/ SINDBAD , PARIS 1988 , P 152.

و تذهب فئة أخرى إلى تبسيط هذه التقنية بحيث ترسم الموضوع المراد
وشمه على عضو من أعضاء الجسم ثم تأتي بإبرة تحمل لون السائل (1) المعد ثم
تبدأ عملية الغرز حتى يدمى الموضع فيختلط السائل الذي ينزل من الإبرة
مباشرة بالجرح. و تعاد العملية في أوقات متقطعة نظرا للآلام التي تخلفها
حتى يظهر الرسم واضحا بلونه الأخضر و غالبا ما يكون أزرق.

¹ - MATHEA GAUDRY : FEMME CHAOUIA DE L'AURES (ETUDE SOCIOLOGIE BERBERE), ED/
PAUL GEUTHNER, PARIS 1929, P.130.

ب - التشطيب أو التشريط:

و هذه الطريقة لا تبحث عن تلوين الرسومات بقدر ما تبحث عن تكوين آثار نديية، حيث يتم فتح الجلد بمقدار ستمتر و وضع مادة تمنع التئام الجلد حتى يبقى مفتوحا. تنتشر هذه الطريقة عند شعوب إفريقيا خاصة (1) عند الرجال إذ نجدهم يعمدون إلى تجسيدها بكثرة على الوجه و الصدر و البطن.

و قد لوحظ هذا النوع من الوشم عند النساء الإيرانيات دون لون، فهي عبارة عن خطوط على الخدين أو الجبهة، تعرف بالندب وهي علامة حزن خلافا لما موجود عند الأفارقة السود.

أما عن الوسائل المستعملة في هذه التقنية، فغالبا ما تكون إبرة على شكل مسمار و إما مبضع (2) أو مشرط على شكل شفرة حادة من الطرفين، تستعمل غالبا في عملية الوشم و الختان و تعرف في الوسط الجزائري ب «المشرطة» و هي الأداة المستعملة في مجتمع الوشم عند بني عامر في الغرب الجزائري.

و التشريط في الأصل، من اختصاص العجائز يستعمل بدون تلوين على الأطفال كالندبة الموجودة على جهة من جراء المرض الذي يصيب الرضيع. وهناك من يستعمله لغرض الوشم فيرسم صباحا الفكرة على العضو المراد وشمه ثم تمرير المبضع عليه حتى يدمى ثم يحشى بسائل أو صباغة محددة من نباتات أو صخور كالفحم أو الصلصال لإعطائه اللون الأخضر و تعتبر هذه العملية جد مؤلمة لأن الحصول على الشكل النهائي يستغرق عدة حصص

1- د/ محمد رياض : الإنسان دراسة في النوع و الحضارة، دار النهضة، بيروت 1974، ص 376.

2- المبضع : (المشرط) آلة يشق بها الجلد و الذمل و نحوها. انظر د/ خليل الساجر : المعجم العربي الحديث لاروس 1973.

و في كل حصة يجفف الدم بقطعة قماش أو بورقة الموز المحروق بعد أن تسحق
و تغسل الجروح بعدها بالماء و تدهن بزيت النخيل بهدف التخفيف من الألم.
ويشبه هذه التقنية التي تنتشر في الغرب الجزائري تقنية أخرى في أستراليا
حيث يستعملون مقص الجلد المصنوع عادة من عظام طائر بحري كبير يسمى
الطفرس أو قطع من قوقعة السلحفاة أو قطعة من الزجاج أو سن سمك القرش
و مطرقة خفيفة و ملعقة لجمع الدم. (1)

¹ -WILLIAM CARRUCHET : TATOUAGES ET TATOUES , ED/ TCHOU , PARIS 1977 , P20.

ج - بالنار :

تعتبر هذه التقنية قديمة قدم الوشم عند بني البشر. فقد استعملها الإغريق قديماً بوضع علامة على الحيوانات و العبيد و المساجين فكان يحمى الحديد في النار حتى يحمر و يوضع على الجسم و هذا ما أورده الفيلسوف "هيرودوت" حينما عرّف الوشم (STIGMA) أي وخزة بالحديد المحمى(١) و الشيء الملاحظ أن هذه التقنية لا يعينها اللون كما يعينها خلود الأثر TRACE و لهذا فهي طريقة يلجأ لها عادة ذو البشرة السوداء سواء في إفريقيا أو القارات الأخرى لأن اللون الذي يتخذه الوشم الأخضر أو الأزرق لا يظهر بوضوح على أجسامهم. كما لجأ آخرون إلى طريقة مغايرة تركز هي الأخرى على عنصر النار و تعرف بالكي. وهي تقنية مباشرة بدون رسم أولي على الجسم.

هـ - بالخيط:

و نجدها منتشرة خاصة عند شعوب الإسكيمو و هنود شمال كولومبيا و هذه الطريقة موضحة من طرف الدكتور " هارتواج HARTWEG " حيث يمرر الخيط عبر أعين الإبرة ثم يغمس في الرماد و تمرر الإبرة على العضو المراد وشمه، تاركة وراءها الرماد فيزرق لونه بشدة و هذا ما نجده عند نساء الإسكيمو اللائي يشمن وجوهه أو قلم رصاص نضعه في النار حتى تنقد ثم نضعها مباشرة على العضو المراد وشمه فتترك عليه أثراً أسود. و هناك من يستعمل السجائر في عملية الكي و هي مؤلمة، تترك على العضو أثراً أسود و هي في طريق الزوال.

و - آلات إلكترونية:

ظهرت هذه التقنية تماشياً مع العصر خاصة عندما أصبح الوشم يصنف ضمن الفنون التشكيلية "ARTS PLASTIQUES" (1) ولا سيما في أوروبا والدول الغربية عامة، حيث توجد مراكز خاصة به فتقام فيها كل سنة معارض لأحسن تحفة فنية موشومة على الجسم كما تحتوي هذه المراكز على آلات إلكترونية لغرس الصبغة دون ألم (2) على العضو المراد وشمه وهنا يمكن القول أن الوشم يظهر بألوان كثيرة وليس مقصوراً على اللون الأصلي (الأخضر و الأزرق).

و هذه التقنية وإن كانت سهلة وسريعة التنفيذ و غير مؤلمة إلا أنها قد تنتج عنها مخاطر عديدة كانتقال مرض فقدان المناعة المكتسبة SIDA و الالتهاب الكبدي الوبائي. و أمراض معدية أخرى.

2 - تقنيات إزالة الوشم:

غالباً ما تعتبر إزالة الوشم عملية ضرورية في إعادة التأهيل الاجتماعي للمتخرجين من السجون أو ندم بعد غرور ساذج في عزّ الشباب أو حكم الشرع في هذه الظاهرة؛ جعلت عدداً غير قليل من فئة المستوشمين يبحثون عن التطهر من هذا النجس أو كما قيل عنه بالكبائر (3) خاصة عندما يصادفنا الحديث الشريف: "لعن الله الواشم والمستوشمة." (4) وقد تعد

1 - Mr BELHACHEMI NOURREDINE : LES OUCHEMES OU L'EXPRESSION PAR LES SIGNES , MEMOIRE DE LA D. E. A , DEPARTEMENT DES ARTS PLASTIQUES , UNIVERSITE PARIS VIII , SAINT DENIS 1992.

2- مجلة العربي ن العدد 435، وزارة الإعلام ن الكويت، فبراير 1995، ص 185.

3- محمد شكري الألويسي البغدادي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ط 03، ج 03، دار الكتاب العربي، مصر، د. ت، ص 10، 11.

4- محمد بن علان الصديقي الشافعي : دليل الصالحين لطرق رياض الصالحين (شرح كتاب دليل الصالحين للإمام النووي)، مج 04، دار الفكر، بيروت، د. ت، ص 493.

طلبات المختصين في إصلاح المسجونين فيما يخص استئصال الوشوم، تكون متبوعة عموماً بالتبريرات المتمثلة في النقاط التالية :

- استحالة الحصول على عمل.
- استحالة الانضمام إلى الأسلاك العمومية كالشرطة مثلاً.
- الرغبة في قطع كل علاقة مع المجرمين و نسيان الماضي.
- الاشتزاز الذي تثيره الوشوم في نفسية النساء أمهات كنّ أو زوجات أو عاشقات.

و شهدت الفترة ما بين الحربين العالميتين الكثير من موزيلي الوشوم "DETATOUEURS" و كان أغلب هؤلاء يجهلون كل شيء عن الطب و يقتربون أكثر إلى المشعوذين الذين تقدمهم د. هاربر "HERBERT" و ندد طويلاً بأساليبهم غير العلمية التي كانت تدعي الفعالية الكاملة لكن في حقيقة الأمر لا توجد حتى الآن أية طريقة تستطيع أن تزيل الوشم بصفة كاملة مهما تكن التقنية المستعملة فإنه يبقى دوماً أثراً و ندوب مرئية.

و من الطرق التي تقترح لإزالة هذه الظاهرة ما يلي :

أ - المحو التلقائي :

فهو نادر الاستعمال، قليل نجاحه بحيث يتعلق ببعض الألوان، خاصة اللون القرمزي الذي يمحي بسهولة، بينما تشحب مادة الحبر الصيني دون أن تختفي.

و تتم عملية المحو من خلال عمليات طبيعية فيزيولوجية كالتهرق "TRANSPARATION" الذي يمسخ كل المواد ما عدا تلك التي أساسها كاربوني أو بفعل الوقت حيث يفقد الوشم بريقه و رونقه نتيجة للتغيرات الكيميائية التي تتعرض لها المواد الملونة و الغسل و الضوء.

ب - حك الأثر الموشوم : DEREABRASIM :

في عام 1952، عالج د. روزانبارج "ROSENBERG" الوشم مستعملا الورق الزجاجي و قد أثبتت هذه الطريقة فعاليتها بعد أسابيع من العملية حيث تشكلت البشرة من جديد دون أن تترك ندوبا كثيرة الواضوح. ومنذ ذلك الوقت، أصبح هذا المبدأ مطبقا باستعمال مزيرة من الألماس، تحك بها البشرة إلى غاية اختفاء الوشم. على أن ما يؤخذ على هذه الطريقة أنها تنتج تشويها على الجسم.

ج - الكي:

تعتبر هذه التقنية من أقدم التقنيات، تعتمد أساساً على كي الوشم باستعمال وسائل متعددة منها: الكبريت الملتهب أو الحديد المحمي الذي سبق ذكره في عملية الوشم عند الإغريق. وكذلك عملية طبية تعتمد على الجهاز الإلكتروني "L'ELECTRO COAGUIATION"⁽¹⁾ أو غاز الكاربونيك المجمد التي يعتبرها د. بارناي BERNAY "العامل المثالي في إزالة الوشم. وهذه التقنيات تترك آثارا تشبه آثار الحروق في الجلد.

ه - إعادة الوخز:

اقترحت هذه التقنية في نهاية القرن 19 م من قبل د. فارينو VARIOT و تتم في مرحلتين متتاليتين:

- في المرحلة الأولى ينشر على الجسم الموشوم المراد إزالته محلول يعرف بالعضف "TANNIN"⁽²⁾ و بعد ذلك توخز المساحة الموشومة بواسطة إبر لإنفاذ المحلول داخل البشرة.

1 - ANDRE DOMART ET JACQUES BOURNEUF : DICTIONNAIRE PETIT LAROUSSE DE LA MEDECINE , ED/LIBRAIRIE LAROUSSE , PARIS 1989 , P753.

2- عضف أو دغ يستخرج من قشرة البلوط.

- في المرحلة الثانية يحك الوشم باستعمال نترات الفضة فيصبح الوشم كله أسود.

بعد مرور أيام، تحدث استجابة التهابية بسيطة مع حساسية متغيرة، يتحول الجرح إثرها شيئاً فشيئاً إلى نوع من القشرة التي تختفي تلقائياً خلال أسبوعين، تاركة ندبا سطوحيا سرعان ما يختفي.

و - الشحد/ السحن MEULAGE :

هي عملية تتركز أساسا على نقل قطعة جسمية من موضع إلى آخر من الجسم نفسه، أو من جسم إلى جسم آخر. (1)

ز - الليزر: LAZER:

هي طريقة حديثة لإزالة الوشم (2) غير مؤلمة، لا تأخذ وقتا طويلا، تنتشرة بكثرة في الدول الغربية مكلفة صاحبها ثمنا باهضا الأمر الذي جعل الكثيرين يعزفون عنها.

وهي رغم حداثة وانتشارها، لا تزال الوشوم و ترجع الموضع إلى أصله السابق بل تبقى آثارا ملحوظة على الجلد. ولهذا ما يزال البحث عن طريقة مثلى لإزالة الوشوم من العضو لكي تعاد إليه صورته الحقيقية و الأصلية التي كان عليها في السابق.

1 - ANDRE DOMART ET JACQUES BOURNEUF : DICTIONNAIRE PETIT LAROUSSE DE LA MEDECINE , ED/ LIBRAIRIE LAROUSSE , PARIS 1989 , P 753.

2- مجلة العربي، العدد 435، وزارة الإعلام، الكويت، فبراير 1995، ص 185.

الفصل الثاني : الوشم أنواعه، أشكاله و لغته

كما أشرنا سابقا إن ظاهرة الوشم قديمة قدم الإنسان على وجه هذه المعمورة حيث أضحى لغزا مجسدا على الجسم لا يعرفه إلا صاحبه، و هذا ما جعل بعض الباحثين يصنفونه إلى أنواع انطلاقا من الشكل الموشوم على الجسم. و لقد اختلف الباحثون حول التصنيف النوعي للوشوم، فمنهم من اقتصر على أن الوشم كان وقائي ساد في المجتمعات البدائية كان يغلب عليه الطابع الأسطوري، ثم تحول إلى طب شعبي عند بعض القبائل و ذلك نظرا للتجربة التي ورتت عن الأجداد إلى أن أصبح وسيلة للتزيين و التجميل(1) و الفكرة نفسها جاء بها الدكتور عبد الجليل الطاهر حيث ذكر أن عضو الظهر هو أكثر الأعضاء تعرضا للوشم الوقائي أو العلاجي، أما الأشكال التي توشم على الصدر فهي للتزيين أو التجميل. (2) ثم يعطينا تصنيفا نوعيا آخر للوشم كان سائدا قديما في بلاد المغرب العربي و هي:

- وشم ترمز إلى الفتح و الانتصار.

- وشم ترمز إلى الانتماء القبلي(3)

و يذهب الرسام المغربي الأستاذ "سيجلماسي"⁴ (4) إلى ذكر أنواع الوشم

التي يتميز بها سكان المغرب الأقصى و هي:

- وشم يشير إلى الانتماء لفئة اجتماعية معينة.

- وشم يتعلق بالحب أو العشق و التجميل.

- وشم له قوة سحرية. (5)

1- GOBERT : REMARQUES SUR LES TATOUGES DU NORD-AFRICAIN , REVUE AFRICAINE 1956 , P 512.

2- عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العصرية - صيدا لبنان 1969 / ص 188 .

3- المرجع نفسه، ص 187.

4- MOHAMED SIJELMASSI : LA PEINTURE MAROCAINE , ED/ J. P TAILLANDIER , PARIS 1972 , P 177.

5- ينظر الإنسان و الدين - إعداد المكتب العالمي للبحوث-بيروت 1989 ص 66.

و الشيء المؤكد أننا كلما نظرنا إلى جسم بشري موشوم، تساءلنا عن ماهيته. هل هو فن، أو حلم أو انتفاضة؟ و في أي قالب يمكن إدماجه؟
و لهذا ارتأينا أن نذكر بعض أنواع الوشم حتى يدرك القارئ بعده
و لغزه و أشكاله و أخيرا لغته.

المبحث الأول : أنواع الوشم

فضلا عن تلك التصنيفات النوعية التي ذكرت سابقا، هناك أنواع
أخرى للوشم، فهي لا تعد و لا تحصى نذكر منها ما يلي:

1- الوشم الاعتقادي أو الفالي:

يوجد هذا النوع عادة في المناطق التي لا تزال تحافظ على تقاليدها، فعند
هنود «كاجو» في البرازيل نجد الرجال يقومون بندوب طقسية و أوشام
بواسطة أسنان سمك القرش، ليكونوا أكثر قوة و طولاً من جهة و لطرد الشؤم
من جهة أخرى (1). و يعتقد الهنود أن الوشم يجنب المرأة الترميل (2). و يقدمه
المستوشمون بعد الموت قربانا لآلهتهم، و يظن الإسكيمو أن الشخص غير
الموشوم جيدا يذهب بعد موته إلى أرض الخزي (3) كما ينصح باستعمال
الوشم لأنه يجلب الثروة المستوشم.

و الوشم عند الإنسان البدائي، تعويذة أولى ضد القوى الشريرة (4)
و هو يعتبر نوعا من التضحية يتقرب بها إلى معبوده كني يضمن منه حياة
أطول، ففيه يسيل الدم الذي هو عنصر مقدس و شراب الآلهة المفضل،

1- WILLIAM CARRUCHET: TATOUAGES ET TATOUES ;ED/ TCHOU , PARIS 1977 ,p33.

2- دولة موسى: الوشم دراسة ثقافية - اجتماعية، مجلة التراث الشعبي، العدد 11 آذار الجاحظ للنشر بغداد 1979 ص54.

3- المرجع نفسه، ص 54 .

4- ينظر : محمد عزة ذروزة : تاريخ الجنس العربي 58 / 320.

والنزيف الذي تحدثه عملية الوشم نوع من الفداء أو التضحية الواجبة يقدمها الإنسان البدائي من أجل ضمان حياته(1).

و من الشعوب من يعتقد أن الوشم على الساعد الأيمن يضاعف من قدرة الرجل على حمل السلاح و استعماله و إصابة الهدف(2).

و تعتقد بعض نساء مجتمعا- محور الدراسة الميدانية- أن الوشوم الموجودة على الجبهة له دلالة دينية و بالتالي يجنبها من عذاب الآخرة.

و يعتبر العدد "3" رمز الفائدة و العدد "5" أو الأصابع الخمسة سلاحا موجهها للعيون الشريرة عند سكان شمال إفريقيا عامة (3) و المجتمع الجزائري خاصة.

أما عن الفال، فيقصد به التفاؤل و البركة و الخصوبة، و هو أكثر تداولا في المجتمع الريفي و خاصة الطبقة الفقيرة.

و الفال يأخذ شكلين في عالم الوشم :

-شكل نباتي : يتمثل في السنبل الموشومة على جباه نساء شمال إفريقيا(انظر الشكل رقم 09)، و سعف النخيل في مصر القديمة، تكمن دلالاته في الخصوبة و وفرة الإنتاج(4).

-شكل حيواني : يتمثل في السمكة التي تبدو رمزا قديما، يعود إلى العصر الفرعوني، تكمن دلالاتها في وفرة النسل و رغد العيش.

1- ينظر : علي زيعور : التحليل النفسي للذات العربية، بيروت 1977 ص 154.

2- ليث الخفاف : الوشوم و وحدة الفولكلور العربي، مجلة التراث الشعبي، العدد 10، السنة 11، دار الجاحظ للنشر بغداد 1980، ص

188.

3- د/عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العصرية صيدا لبنان 1969 ص 198.

4- سوسن عامر: الوشم في الفن الشعبي، مجلة التراث الشعبي، العدد 09 دار الجاحظ للنشر، بغداد 1978 ص 33.

و يعد العصفور الأخضر لدى المصريين فال نصر و خير (1).

II- الوشم العلاجي أو الوقائي

إن الوشم في أصله تعبير رمزي سحري عند العديد من الشعوب (2)، غير أن هذه الخاصية اختفت عن طريق الاعتقادات و التقاليد. فالأفارقة السود مثلاً يجهلون معانيه الحقيقية و لا يعرفون إلا الجانب الزخرفي (3) في حين إنه في اعتقاد الإنسان البدائي طوظم (4) يهدف إلى الحماية من غضب الطبيعة كالزلازل و الفيضانات و غيرها من الكوارث. و يرى الخاطبي أن الوشم في أصله تلقيح أو تطعيم ديني (5).

فالصليب الموشوم على منحرفيات سكان القبائل الكبرى بالجزائر (6) و الموشوم على جبهة رضيع اليهود المغاربة (7) لدليل على ذلك. و كان أيضا وسيلة علاجية (8)، حيث مورس على الأطفال للتخلص من الأوجاع أو لنزع الدم المتعفن أثناء الختان أو عند حرق السرة بعد الولادة مباشرة، و الشيء نفسه نجده عند سكان القبائل الكبرى حيث استعملوا الوشم كي يتخلصوا من الحمى و أوجاع الرأس.

1- سوسن عامر : الوشم في الفن الشعبي ، مجلة التراث الشعبي ، ع 09 ، دار الجاحظ للنشر ، بغداد 1979 ، ص 34.

2- دولة موسى : الوشم دراسة ثقافية - اجتماعية ، مجلة التراث الشعبي ، العدد 11 ، دار الجاحظ للنشر بغداد ، 1979 ، ص 54.

3- WILLIAM CARRUCHET : TATOUAGES ET TATOUES ; ED/ TCHOU 1977 P 31.

4- سوسن عامر : الوشم في الفن الشعبي ، مجلة التراث الشعبي ، العدد 09 ، دار الجاحظ للنشر بغداد ، 1978 ، ص 30.

5- A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE ,ED/DENOEL ,PARIS 1973,P 101.

6- E. DAUMAS : COUTUMES ET MOEURS DE L'ALGERIE , ED/ SINDBAD , PARIS 1988 , P151.

7- A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPE , ED/ DENOEL , PARIS 1973 , P 102.

8- د/ عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية ، المكتبة العلمية ، صيدا، لبنان 1969 ، ص 188.

أما في منطقة الكشمير، فالأطفال يُحفظون من الأمراض المعدية عن طريق الكي في منطقة الجبهة أو الصدغ أو ما وراء الأذنين (1) و تعرف هذه العملية في شمال إفريقيا بالكي.

و رغم التحريمات التي استهدفت الوشم وخاصة الحديث الشريف "لعن الله الواشمات والمستوشمات. . . . و المغيرات من خلق الله" (2)، فإن المذهب الشافعي أجاز الوشم في حالة الضرورة (3) لغرض علاجي.

كما تعرضت إليه البحوث الطبية خاصة في ميدان طب الأعين، فعرف بوشم القرنية (4) TATOUAGE DE LA CORNEE الذي يعتمد على الحبر الصيني المعقم لإعادة تشكيل الحدقة LA PUPILLE و كذلك في علاج بعض الأمراض كضعف النظر الذي يعود أصله إلى التشكيل غير العادي للقرنية (5) "ASTIGMATISMES".

و أخيرا نقول إن الوشم العلاجي، لازالت بصماته قائمة لحد الآن، تظهر خاصة في ذلك الخط المجسد على جباه بعض الرجال عن طريق الوشم من جراء مرض أصابهم في عهد الطفولة و يعرف بمرض "الليل"، و كذلك في تلك الوشوم المنقوشة على ظهر اليد و أحيانا على مستوى المعصم لدى نساء مجتمعنا -محور الدراسة الميدانية- (انظر الشكل رقم 05)، و بالتالي يبقى أسبق

1- دولة موسى : الوشم دراسة ثقافية -اجتماعية، مجلة التراث الشعبي، العدد 11، دار الجاحظ للنشر، بغداد، 1979، ص 37.

2- محمد بن علان الصديقي الشافعي : دليل الصالحين لطرق رياض الصالحين (شرح كتاب دليل الصالحين للإمام النووي)، ص 04، دار الفكر، د. ت، بيروت، ص 490.

3 - A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENOEL , PARIS 1973 , P 69.

4 - DICTIONNAIRE PETIT LAROUSE DE LA MEDECINE , P 753.

5- Dr R. HADJAM : GUIDE MEDICAL DE LA FAMILLE , ED/ DIFFUSION COMMUNICATION , ALGER 1996,P 28.

الوشوم التجميلية من حيث النشأة و هذا ما أكده الباحث "جوبسار
"GOBERT".

III-الوشم التذكاري:

يعتبر هذا النوع من الوشوم قديما جدا و سمي تذكاريا لأنه كلما نظر
إليه صاحبه تذكر مضمونه و ظروف وشمه. و الأمثلة عديدة، فقد زعم ابن
منظور أن النبي داود عليه السلام وشم خطيئته على كفه، فما رفع إلى فمه
طعاما أو شرابا حتى بشره بدموعه (1) و معنى ذلك، أنه كان كلما رفع يده
و نظر إلى الوشم على كفه تذكر خطيئته التي كان عليه أن لا يرتكبها بصفته
نبي الله و ليس شخصا عاديا.

و في سفر الخروج، أن النبي موسى قال: "و تخبر ابنك في ذلك اليوم
قائلاً من أجل ما صنع إليّ الرب حين أخرجني من مصر و يكون ذلك علامة
على يدك و تذكارا بين عينيك لكي تكون شريعة الرب في فمك" (2).
نستشف أن العلامة على اليد و التذكار ما بين الأعين، ما هي إلا
وشوم فرضت على صاحبها ليتذكر دوما شريعة الرب و تبقى خطايه اليومي
الموجه للآخرين.

أما عند الشعوب الهندية، فكان الوشم تدوينا للحوادث أي كل حادثة
مهمة في حياة الفرد أو الجماعة يجب تسجيلها على الجسم (3). و هذا النوع
من الوشوم، يستعمل عادة في أعياد الميلاد و المناسبات العزيزة، فبالنسبة
للرجل فإنه يشم يوم زواجه اسم أمه أو فتاة رآها أول مرة فأعجبتة يرمز إليها

1- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت، بيروت،
ج09، ص638.

2- د/ عبد الكبير الخاطبي، ترجمة : محمد بتيس : الاسم لعربي الجريح، دار العودة، بيروت، 1980، ص 45.

3 - WILLIAM. CARRUCHET : TATOUAGES ET TATOUES , ED/ TCHOU 1977 , P 32.

زهرة أو وردة يحيط بها اسم المحبوب، تسمى "زهرة لا تنساني" و بالأجنبية LA PENSEE أو عبارة "T. A. M." و تعني "أمي قبل كل شيء" و هناك من يشم تاريخ أو اسم معركة شارك فيها والأمثلة عديدة.

IV- الوشم التعيني:

غالبا ما يكون على شكل الأحرف الأولى أو أسماء و ألقاب أو إشارات خاصة، و هو أكثر انتشارا عند الأفارقة السود خاصة الرجال الذين يقومون بأوشام أعلى الجبهة و الصدر، تميزهم عن القبائل الأخرى. و ترمز علامة الوشم على جبين أفراد سكان جزر هاواي إلى العبودية (1).

و لهذا النوع من الوشم هدفان:

1- ضرورة تبيان الهوية عن طريق إشارة تساعد على تعريف انتساب الشخص الموشوم (2) إلى قبيلة أو طائفة معينة لأنها تدل على رمز معين. و قد ذكر د. عبد الجليل الطاهر في هذا الصدد أن هناك وشوما ترمز إلى الانتماء القبلي أو الحضري، يشيع استعمالها بين سكان القرى و المدن (3).

2- محاولة التفريق بين الحر و العبد و المؤمن و الكافر كما أشارت إلى ذلك بعض النصوص في الإنجيل معتبرة هذه الرسومات مستعملة تعيينا و إشارة للإيمان و لتفريق الشعوب الوفية عن الأخرى، فهي نظام ترتيبي بين المؤمنين و الآخرين و الأحرار و العبيد و من النساء الساذجات و العاهرات (4).

1- دولة موسى : الوشم دراسة ثقافية - اجتماعية، مجلة التراث الشعبي، العدد 11، دار المحاظ للنشر، بغداد 1979، ص 53.

2- المرجع نفسه، ص 53.

3- د/ عبد الجليل الطاهر : المجتمع الي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العلمية، صيدا، لبنان، 1969، ص 187.

4- A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENOEL , PARIS 1973 , P 68.

و لقد أشار عبد الرحمان الجيلالي إلى هذا النوع من الوشوم فقال : «و كان مما يراد بالوشم عندهم التمييز بين العشائر و القبائل حتى لا تختلط نساء الحيّ بغيرهن في الحروب و في مواطن الثورات و النزاع أيضا(1).
و ترجع بعض النساء مجتمعنا- محور الدراسة الميدانية- تلك الوشوم الموجودة على الجبهة إلى كونها وسيلة تفريق أبناء الدشرة عن الآخرين خوفا من الضياع. و في البنغال، كانوا يشمون أطفالهم ليتمكنهم التعرف عليهم في العالم الآخر(2)، و في بريطانيا، يختص هذا النوع من الوشوم بالأسرة الملكية كما كان عليه عند الفراعنة و الإغريق قديماً(3).

v- الوشم التسجيلي و المخبر:

و من المهتمين بهذه الأنواع من الوشوم، د. "جون هربر و د. جوان لاكاساني" اللذان تخليا عن دراسة الوشم الكلاسيكي و اهتمتا بدراسة الأشكال الجديدة للوشوم فلاحظا أن هناك نوعين من الوشم: الوشم التسجيلي و الوشم المخبر لفصيلة الدم، و هذان النوعان من الوشوم غير مرغوب فيهما و إنما هي إشارات تفرض.

1- الوشم التسجيلي:

يعتبر من أقدم أنواع الوشوم التي كانت سائدة، بحيث ورد في الكتاب المقدس عن تلك العلامات التي كانت توضع بواسطة الحديد المحمى حيث جاء في سفر الخروج أن النبي موسى قال : «و تخبر ابنك في ذلك اليوم قائلاً من

1- ينظر: عبد الرحمان الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، الجزائر - بيروت 1982.

2- مجلة العربي، العدد 435، وزارة الإعلام، الكويت، فبراير 1995، ص 184.

3- د/ عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العلمية، صيدا، لبنان 1969، ص 187.

أجل ما صنع إلى الرب حين أخرجني من مصر و يكون ذلك علامة على يدك. . . " (1) فوضع العلامة على اليد هنا ليعرف بها من طرف الآخرين كما توضع العلامة على أجسام العبيد.

و قد استعمل هذا النوع من الوشم من طرف الألمان، إنه العودة إلى الممارسة البربرية على أجسام الهاريين من السجنون في بداية الحرب العالمية الثانية، فكان يرسم شكل مثلث أصفر خاص باليهود و الأخضر بالمجرمين و الأحمر بالسياسيين، ثم تحول فيما بعد إلى وشم ترقيمي أي تسجيل رقم معين كي يعرف صاحبه و هذا ما ذهب إليه حكام الغرب الذين طبقوه على السجناء و المنفيين (2). و الشيء الملاحظ، ثن هذا النوع من الوشم كان يفرض بالقوة مما يؤكد أن المستوشم أي الضحية كان يعاني من عملية الوشم هذه.

2- الوشم المخبر:

يستعمل عادة لفصيلة الدم و قد تستعمل أيضا و لأول مرة من طرف الألمان حيث كانوا يضعون أحرف "SS" في الجهة الداخلية للذراع الأيسر بالقرب من الإبط و كان الفرنسيون الذين دخلوا تحت لواء الألمان يلبسون الزي العسكري الألماني يخضعون للعملية نفسها حتى تسهل عملية التدخل لفرق الصحة؛ لأن فصيلة الدم تكون معروفة في الوهلة الأولى و يكون العلاج أسهل و أسرع. و ربما تتساءل لماذا يوشم الذراع الأيسر بالذات ؟ و الجواب أن بعض الإحصائيات، اكتشفت أن اليد اليسرى أقل إصابة من اليمنى أثناء الحرب.

1- د/ عبد الكبير الخاطبي، ترجمة: محمد بنيس: الاسم العربي الجريح، دار العودة، بيروت 1980 ص 45.

2 - A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENOEL , PARIS 1973 , P67.

VI- الوشم الطارئ أو غير المقصود:

و يوجد خاصة في الأماكن المهنية، تلك التي توجد بها الشظايا الدقيقة للحديد. و نجده كذلك منتشرا خاصة الحفارين و عمال المناجم. و كل عمال شركة الأسمدة نجد ظهورهم و أيديهم مليئة بالوشوم و حجمه من حجم اللوحز بالإبر إلا أن حجم حبة العدس لونها أزرق. و بعدما أجريت التحاليل اتضح أنها عبارة عن أكسدة و لا يوجد أي أثر للوحز أو الغرز أو تشليخ على الجلد.

أما الوشم الصادم، فهو الذي نجده عند ضحايا حوادث المرور ناتجا عن حادث أو اصطدام و خاصة عن طريق دخول السيلس عبر الجرح أو قطع عضو من الأعضاء أو الإصابة.

أما عند المدمنين على المخدرات، فتظهر لنا نقاط موشومة تكون ناتجة عن وخز للكلوهيدرات المورفين MORPHINE و الكوكايين.

VII- الوشم التعجبي أو التقديري:

يحتوي غالبا على أسماء أو صور أو مناظر لها جذور لا شعورية؛ تؤثر في الواشم يجب تجسيدها على أجسام الراغبين في الوشم. كما يمتاز هذا النوع من الوشوم بالفنية و الإتقان و من الوشامين المختصين الفنان الإنجليزي "ماك دونالد" (1) و السوفياتي "جورج يوشت" الملقب بملك الوشم (2) و أستاذ الوشم الياباني "يوشهيتو ناكاتو" الذي استغرقت أعماله الفنية في رسم لوحة

¹ - WILLIAM CARRUCHET : TATOUAGES ET TATOUES, ED/ TCHOU 1977, P 33.

² - مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، فبراير 1995، ص 184.

على الجسد كله حوالي ستين، إنها مناظر طبيعية خارقة للعادة مجسدة على جسم بشري و كأنها جسم مصطنع.

و كذلك نجد الكاتب الرومانسي "طولسطوا" الذي طلب منه عرض وشبه أمام سادة و أشراف مدينة "سان بيتار بورغ" حيث كان واشما على صدره طائر من الجنة خافضا جناحيه الملونين، محاطا بطيور صغيرة جدا. أما على ذراعيه، فهناك وشم في شكل ثعبانين يتعاركان.

و خلاصة القول إن الوشم التعجبي أو التقديري، يحتوي على رسومات تجعل الناظر في دهشة و انبهار تقوده إلى التساؤل عن هذه اللوحة الفريدة.

VIII-الوشم الغرامي أو الجنسي:

لقد أشار الفنان المغربي "سيجلماسي" أثناء تصنيفه للوشوم المغربية إلى وشم يعبر عن الحب و الغرام (1) و لكنه لم يحدد لنا الجنس الذي يلجأ إليه. غير أننا نلاحظ أن هذا النوع من الوشوم منتشر بكثرة لدى الذكور و لا سيما شريحة السيكوباتية و الشباب المنحرف. أما عند الإناث، فليس لنا أية فكرة عنه ماعدا تلك المعلومات التي أفادنا بها الدكتور "الخاطبي" حول تلك الوشوم الموجودة على العانة لدى نساء بنغازي التي تأخذ شكل "البسملة" (2) و قد أشار إليها كذلك الدكتور "مالك شبل" (3) حيث اعتبرها تناقضا بين كتابة قرآنية من جهة و وشم محرم في الإسلام من جهة أخرى. و يشير كذلك إلى أن هذا النوع من الوشم معمول به عند النساء المغربيات حيث

1 - M. SIJELMESSI : LA PEINTURE MAROCAINE , ED/ J. P TAILLANDIER , PARIS 1972, P 177.

2 - A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PRIPRE , ED/ DENOEL ; PARIS 1973 , P69.

3 - M. CHEBEL : LE CORPS DANS LA TRADITION AU MAGHREB , ED/ PUF PARIS 1984 , P 151.

يتموضع على العانة آخذا شكل نسيج معمم أو زخرفة تسمى باللهجة المغربية "وشمة فوقو" (1).

وقد تكلم الباحث الفرنسي "جوبار" (2) عن الوشم الجنسي و اعتبره على العموم سرّياً، و لكنه رغم ذلك يمارس لأغراض وقائية متمثلة في إبعاد الشؤم و المخاطر و غيرها من المصائب. ثم يؤكد أن وشم العانة ليس من اختصاص النساء العاهرات فقط بل استعملته النساء البربريات من قبل. و ركز الباحث "هربر" بحثه على هذا النوع من الوشوم في المغرب و ذلك سنة 1922، فرأى وشوما في منتهى الروعة حيث ذكر أنها تحل محل وشوم الدقن و الأنف (3).

و تعرض الباحثان "صالمون و ميشو" قبل هربر إلى الوشم الجنسي عند قبائل بمنطقة "لكوس LEKKOUS" التي لاحظا فيها وشوما تعرف بـ "سلسلة الفخذين" (4) و هي تعبير جنسي. كما لاحظت الباحثة "ليزا" هذا النوع من الوشوم عند قبائل "يوليثان ULITHAN" و قالت إن هدفه عندهم يكمن في الإثارة الجنسية عند الجنسين (5).

أما عند الذكور حيث يكثر هذا النوع من الوشوم، فيشار إليه بثلاثة طرق:

1 - A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENOEL , PARIS 1973 , P 70.
2 - GOBERT : REMARQUES SUR LES TATOUAGES DU NORD- AFRICAIN , REVUE AFRICAINE , 1956 , P 516.
3 -IBID , P 516.
4 - IBID ,P 517.

5-دولة موسى : الوشم دراسة ثقافية و اجتماعية، مجلة التراث الشعبي، العدد 11، دار الحافظ للنشر، بغداد، 1979، ص 54.

1- الكتابة الصريحة:

هي تلك التي نستطيع قراءتها و فهمها، إنها وسيلة للتعبير عن أفكار أو مكونات نفسية للفرد نقرأها عادة على الأجسام في صيغة جمل أو كلمات أو أحرف و تكتب عادة باللغة الأجنبية فنجد مثلا جملة موشومة على الذراع في صيغة " J'AIME FATIMA " و غيرها من العبارات.

2- الرسومات (الرموز و الإشارات):

و هنا ينتقل الفرد من الكتابة الصريحة إلى عالم الرموز و الإشارات و الرسومات الآدمية و الحيوانية وغيرها من الإشارات و نجدها عند أغلب الذكور الذين يعبرون عن الجنس برسومات معينة كالقلب أو رسم رأس فتاة.

3- الكتابة مع الرسم:

و هناك من يجمع بين الكتابة الصريحة و الرسومات كأن يكتب ♥ J' FAIMA و نفهم من هذه العبارة أن الحرف (J) يعبر عن الشخص، و يرمز للحب ب ♥ و اسم الفتاة أخيرا. و هناك من يشير لحيه بقلب مصحوب بأحرف أولية لمعشوقته (انظر الشكل رقم 03).

IX- الوشم الجمالي:

يعتبر هذا النوع من الوشوم أكثر شيوعا عند مختلف الفئات الاجتماعية سواء أكانت بدائية أم حضرية، و لهذا قيل إن استعماله كان لغرض الزينة و ذلك نظرا لانعدام وسائل التجميل في الوسط التقليدي من جهة و مكانة الوشم في حد ذاته في الوسط العائلي من جهة أخرى، علما أن الوشم جرح أبدي، يفنى بفناء الجسم الخاضع له (1).

1-د/ محمد رياض : الإنسان دراسة في النوع و الحضارة، دار العودة، بيروت 1963، ص 375.

إن جمال المرأة المشومة في شمال إفريقيا، يكمن في الأعضاء البارزة من الجسم كالوجه و اليدين. أما عند المجتمع العراقي، فيظهر جمالها في تلك الوشومات التي تتموضع على الحنك، تترج مع وشوم الوجه الأخرى فتكتمل لوحة تعبر عنها هذه الكلمات: " أيتها القراءة التي تبدأ في الجبهة، فتبارك الخدين بنقطة أو نقطتين، وتحترق ابتسامة الشفتين، فتكتب في الحنك ما يفهمه كل تائه و فقير". (1)

أما جمال المرأة البولونيزية، فيكمن في ذلك الثوب المعمم، المشوم على كل أطراف الجسم حتى قيل عنه الجسم المدمر " LE CORPS SUBVERTI " (2). و قد ذكر الباحث " جوبار GOBERT " أنه يقال عن المرأة المشومة في المجتمع التونسي أنها تُعشق أو تُحب أكثر من امرأة كاملة الجمال. (3) و يظهر جمال الفتاة المصرية المقيمة بالصعيد في تلك الوشومات الموجودة على الدقن التي تظهر بلونها الأخضر و هي رسومات وجدت على الموميات المصرية القديمة (4) و هكذا ظلت الفتاة الصعيدية الحديثة تدق تلك العلامة على الدقن دون أن تعرف أنها عادة مصرية قديمة مضى عليها آلاف السنين.

و قد اهتم شعراء الملحون بهذه الظاهرة في شمال إفريقيا خاصة وشوم المعشوقة أو المحبوبة و هذا ما أكده الباحث " جوبار " أثناء عرضه لبعض الأبيات الشعرية النابعة من عمق المجتمع التونسي و هي كالتالي :

أوشم، أوشم، يا وشام.

حير دليلي العشق زاد غرام.

1- ليث الخفاف : وشوم الحنك، مجلة التراث الشعبي، العدد 3 و 4، دار الجاحظ للنشر، بغداد 1979، ص 73.

2 - A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PRPRE , ED/ DENOEL , PARIS 1973 , P84.

3 - M. CHEBEL : LE CORPS DANS LA TRADITION AU MAGHREB , ED/ PUF , PARIS 1984 , P 152 .

4- سوسن عامر : الوشم في الفن الشعبي، مجلة التراث الشعبي، العدد 09، دار الجاحظ للنشر، بغداد 1978، ص 33.

يا ماشي في الثني، الريح خبل حرامك.
بالله رجعي شوي، نتفرجوا على أو شامك.
الناس تهموا بي، و أنا أكتلني غرامك. (1)

و من الأغاني المغربية الشعبية التي أعطت الوشم عند المرأة الصبغة الجمالية، ذلك الحوار الذي يجري بين طاحونة الماء و طاحونة اليد. قالت طاحونة الماء لطاحونة اليد: نامي إذا.

كم حمولة أطحن حينما يصعد الماء من الهويس ؟
أجابتها طاحونة اليد قائلة: لا أحسدك على غربة المياه في الحدائق لأنني أصاحب في مكاني قبيلة الأحباب تحركني الأيدي الموشومة (2).
ومن الشعر الملحون كذلك هذه الأبيات الشعرية التي خصصها الشاعر المرحوم ابن مسايب للوشم عند المرأة نظرا لإعجابه بهذه الظاهرة التي تجعل المرأة كاملة الجمال فوصفها الشاعر وصفة خارقة للعادة ومنها:

يا الوشام دخيل عليك	كن حاذر فاهم نوصيك
أعمل الجيم جمال الزين	الغرة و الحاجب و العين
من راها وقت الصدا	فإن لحظة عينيها
مرت الروم جند الغز	خاف من العدو يديها
أعمل الرء رمز المحبوب	و أجمع الطالب و المطلوب
عمر الجدول بالقلوب	كل شيء مرسوم فيها
أعمل اللازم و الملزوم	كل من فات يدعيها (3)

1 - M. CHEBEL : LE CORPS DANS LA TRADITION AU MAGHREB , ED/ PUF , PARIS 1984 , P 151.

2- د/ عبد الكبير الخطاطي، ترجمة : محمد بنيس : الاسم العربي الجريح: دار العودة، بيروت 1980، ص 52.

3- الحفناوي أمقران السحنوني و أسماء سيفاوي : ديوان ابن مسايب، د. م. ج 1992، ص 156.

وخلصة القول إن الوشم عند المرأة سواء المغاربية أو المشرقية هدفه
تجميلي إلا أن أشكاله تختلف من مجتمع إلى آخر.

x- الوشم الفني:

و هو الجسد عادة أهم الملاحم الوطنية أو رسم أحسن التحف الفنية،
و هذا ما رأيناه سابقا عند اليابانيين أثناء احتفالهم بيوم المطافئ " YEDO "
كما قدم الكاتب الفرنسي "بيار لوتي PIERRE LOTI" نفسه على مشرف
الوشامين اليابانيين إحياء هذه الذكرى كموضوع تجربة لأشهر الوشامين في
مدينة نكازاكي " NAGAZAKI " و هذا فضولا منه ليرى أعمالهم عن قرب(1)
و أشهر مختصي هذا النوع من الوشوم، الوشام الإنجليزي " ماك دونالد" الذي
كانت تلجأ إليه العائلة الملكية و الطبقة الأرستقراطية الإنجليزية و كانت محطة
إعادة إنتاج أشهر اللوحات الفنية على بشرة زبائنه(2)و يعتبر الفنان الروسي "
جورج يورشت" الملقب بملك الوشم من أشهر الوشامين الذي رسم و شما
للملك جورج الخامس و القيصر نيقولا ص الثاني بلقة تليق الملوك (3) و في
هرم خاص جدا بمدينة طوكيو يعيش " أستاذ الوشم الشهير يوسيهيتو ناكوتو"
و هو يستغرق في رسم لوحة واحدة بالوشم على جزء كبير من الجسد حوالي
سنتين و هذه اللوحة تكلف مقتها حوالي خمسة آلاف جنيه إسترليني (4).

المبحث الثاني : أشكال الوشم

1- ZENSTSOU. OHYA : ETUDE DU TATOUAGE AU JAPON , ED/ MENERVA DERMATOLOGICA,
1959 , P 59.

2 - WILLIAM CARRUCHET : TA TOUAGES ET TATOUES , ED/ TCHOU 1977, P 33.

3- مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، العدد 435، فبراير 1995، ص 184.

4- المرجع نفسه، ص 185.

الوشوم شأنها شأن السلوكات الأخرى لها أفضية، تحركها أيادي
خبيرة، يتجلى ذلك من خلال أشكاله المختلفة.

و عرف مصطلح الوشم من خلال أشكاله البارزة على أجسام سكان
جزيرة "تايتي" و ذلك على يد البحار جامس كوك سنة 1769 فكانت عبارة
عن رسومات ملونة، ذات أشكال مختلفة مما لفت نظر البحار و أطلق عليه
اسم "تاتو TATOO" (1) و مع مرور الزمن، تغير مفهومه شكلا و مضمونا
متجاوزا فضاء الطوطمية و الأسطورة، فدخل في عالم الحب و الجمال
و استقر في عالم الفن.

أما الشكل، فقد أراد لنفسه أن يكون أبديا و ذلك نظرا للإجراءات
الأولية التي تجسده على الجسم أي عن طريق الوخز بالإبر تاركة أثرا (2)
متمثلا في الجروح التي تتخذ فيما بعد لونا أخضر أو أزرق (3) يلفت نظر
الآخرين.

و الأشكال الموشومة لا تعد و لا تحصى كما أنها تختلف من مجتمع إلى
مجتمع آخر و قد نجد في المجتمع الواحد تختلف من فرد إلى فرد آخر،
و لكنها على العموم لا تتعدى النماذج التالية:

1- الأشكال ذات الطابع الكتابي:

تتمثل في كتابة موشومة، تنتشر في مجتمع الرجال، تموضع على
الذراع و الساعد و يمكن قراءتها. و قد وضحنا سالفنا أنها أفكار و رغبات
أبي الفرد أن ييوح بها فكان البديل بالنسبة إليه تجسيدها على جسمه.

¹ - STRIA ZYTH : ENCYCLOPEDIE , QUIET , VOLUME 10, P 1102.

² - NAFISSA ZERDOUMI : ENFANTS D'HIER (EDUCATION DE L' ENFANT AU MILIEU
TRADITIONNEL ALGERIEN), ED/ FRANCOIS MASPERO , PARIS 1979 , P202.

³ - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) : لسان العرب، دار غريباء التراث العربي، د. ط، د. ت ج 09، بيروت، ص 638.

و الكتابة الموشومة قد نجدها في صيغة جملة يعبر فيها الشخص عما يدور في نفسه من وطنية وجنس و انتفاضة و غيرها و نجدها مصوغة عادة باللغة الأجنبية و الأمثلة عديدة، نذكر منها : " VIVE LA PATRIE " و كذلك هناك عبارة كانت سائدة في القرن التاسع عشر و ذلك بفرنسا معارضة النظام آنذاك وهي " MORT AUX VACHES " و يقصد بها الموت للنظام و هيأكله.

و قد نجد الكتابة الموشومة في صيغة كلمة يعبر بها الفرد عن غرائزه و مكانته داخل المجتمع، فكلمة " mFreedo " (انظر الشكل 01) مثلا، تستعملها شريحة الهيبين " HYPPEs " و تعني الإنسان الحر الذي يعيش من أجل الحرية و عدم الاستقرار في مكان معين.

و هناك بعض الكلمات الموشومة يتعذر فهمها أو معرفة مدلولها الحقيقي خاصة لدى شريحة السيكوباتيا " PSYCHOPATES " حيث نجد الكتابة تمتزج بالرمز، مما يستدعي القيام بمجهود فكري لفهم محتواها. و في بعض الأحيان نجد أشخاصا يعبرون بكلمة موشومة عن فكرة يمكن صياغتها في عدة صفحات و هذا النوع من الكتابة يعرف بالإيدوغرافية IDEOGRAPHIE التي تضاربت الأفكار حول مدلولها.

و لهذا، فلا بأس أن نعرض لبعض منها حتى يتسنى للقارئ معرفتها؛ فمفهوم الإيدوغرافية في منظور اللسانيات حل محلها علم جديد يسمى "المورفموغرافية MORPHEMOGRAPHIE " الذي يعنى بدراسة الكليّمات باعتبارها إحدى المبادئ الأساسية للخطابة و النشر و المرافعات LOGOGRAPHIE التي ينظر إليها الباحث " فان جنسيون GENETION VAN بأنها تعبير حركي

LANGAGE GESTUEL" (1) و هناك من يرى أن الإيديوغرافية تمثيل مباشر لمعنى الكلمات عن طريق إشارات خطية (2) أي بدلا من أن نكتب ممنوع الوقوف على الأرصفة نضع إشارات خطية كالحظ الأبيض و الأحمر و الشيء نفسه بالنسبة للخطر غير المعين فنضع إشارة خطية تتمثل في نقطة تعجب "!".

و التمثيل المباشر للكلمات في عالم الوشم، يمكن استنتاجه من خلال النقاط الثلاثية الموجودة على اليد أو بالأحرى على الفتر (انظر الشكل 02) (3) التي تعني الخارج عن القانون و الصليب الموشوم على جباه الأطفال يمثل كلمة المسيح (4).

وهناك رأي آخر يرى أن الإيديوغرافية كتابة ترمز لفكرة أو رسم شيء أو صوت يمثل الكلمة الدالة عن الفكرة IDEOGRAMME كالكتابة المصرية القديمة (5) المعروفة بالهيلوغرافية أي النقش المقدس المشكل من قبل مجموعة من الكهنة (6)، و هي عبارة عن رسومات و ليست كتابة خطية و يعتبرها آخرون تعبيرات حركية استعملها سكان الإسكيمو أثناء الصيد (7).

و رمز الفكرة في عالم الوشم يتخذ عدة أشكال تختلف من الذكر إلى الأنثى، فالمرأة الجزائرية اتخذت الخطوط الموجودة على الجبهة و الدقن، و النقطة على الخدين، رمزا لفكرة واحدة وهي الجمال و التزين و قيل عن

1- OSWARD DUCROT ET TZVETAN TIDOROV : DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE DES SCIENCES DU LANGAGES , ED/ DU SEUIL , PARIS 1972 , P 251.

2- DICTIONNAIRE LAROUSSE , ED/ LIBRAIRIE LAROUSSE , PARIS 1991.

3- الفتر : المجلد ماين الإبهام و السبابة - ينظر : الأمير أمين آل ناصر الدين، الرافد معجم لغوي للإتسان و البيعة، الجزء الأول، ط02، مكتبة لبنان، بيروت 1981، ص27.

4- A. KHATIBI ED : LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENOEL , PARIS 1973 , P 69.

5- DICTIONNAIRE PETIT ROBERT DE LA LANGUE FRANCAISE TOM 01.

6- ينظر : د/ عبد الحميد رايد و جمال الدين مختار، الحضارة المصرية في العهد الفرعوني.

7- STRIA ZYTH: ENCYCLOPEDIE , QUIET VOLUME 10.

الإيديوغرافية إنها كتابة رمزية (1)، كتلك التي تعاملت بها شعوب ما قبل التاريخ. و خير مثال على ذلك الكتابة السومرية التي تلتها الكتابة اللبية التي اشتقت منها أنواع أخرى، عشر عليها مجسدة على صخور طاسيلي عرفت بالتفيناغ " TIFINEGH " مازال سكان التوارق في تمراست، إليزي و جانت يتعاملون بها و هذه نماذج منها: (2)

○ حرف السين | حرف الفاء >< حرف الزين E حرف الطاء

و قد لوحظت أشكال من هذه الكتابة في صناعة الزرابي في منطقة القبائل، و كذلك على جسم الإنسان في صبغة وشوم خاصة النقاط و الدائرة. و يذهب الخاطبي إلى رأي مخالف في هذه القضية فيؤكد أن الإيديوغرافية كتابة بالكلمات (3).

والكلمة مشكلة من أحرف للدلالة على معنى أو عدة معاني مفردة و لها معان أخرى تكتسبها عندما تدخل في سياقات مختلفة. و الشيء الملاحظ أن الخاطبي أشار إلى مفهوم الإيديوغرافية من خلال دراسته للجسم الموشوم أن كل الكتابات الموشومة على الجسم البشري سواء أكانت كلمة أم جملة تدخل ضمن الإيديوغرافية.

II - الأشكال ذات الطابع الرسومي DESSIN:

و نقصد بها كل الرسومات الموشومة على الجسم سواء أكانت زخرفية، هندسية أم حيوانية، نباتية و غيرها، و يضاف إليها الكتابة

1- د/ سهيل إدريس : المنهل (قاموس عربي - فرنسي)، دار الأدب، بيروت 1985 / ط 08.

2- MALIKA HACHID : LES PIERRES ÉCRITES DE L'ATLAS SAHRAOUI, ENAG, ALGER 1992, P152.

3- A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE, ED/ DENOEL, PARIS 1973, P 75.

البيكتوغرافية ECRITURE PICTOGRAPHIQUE حيث تكون المصطلحات ممثلة بواسطة رسومات ظاهرة مستعملة لوظيفة اتصالية، تنتشر حاليا عند سكان الإسكيمو بالاسكا حين يغادرون منازلهم يتركون رسالة على الأبواب مرسومة تبين الاتجاه الذي يأخذونه و نوعية النشاط الذي يباشرونه (1) كما ينظر إليها د. الخاطبي على أنها إحدى لغات الوشم (2) و هي حسب رأيه مركبة من عناصر متتابعة، ترمي إلى تجسيد أشياء حقيقية أو رموز (3)، تخرجها من الإيديوغرافية و تدخلها في دائرة التعبيرية.

ولهذا فنحن نرى أن البيكتوغرافيا، عبارة عن صور و رسومات تترجم أفكار و مشاعر الفرد استعملتها الشعوب البدائية من قبل و أصبحت حاليا مجسدة على الجسم في صيغة وشم، نورد أشكالا منها :

1- أشكال حيوانية :

إن الحديث عن الرسومات الحيوانية المجسدة على أعضاء الجسم، تجعلنا نؤكد العلاقة الموجودة بين الإنسان و الحيوان منذ القدم و الدليل على ذلك، يكمن في تلك الرسومات و النقوش التي لا زال أثرها قائما على صخور الطاسيلي المتمثلة في بعض الحيوانات كالأبقار و الصقور و الجمال و غيرها.

(4)

1 - DICTIONNAIRE FRANCAIS PETIT LAROUSE 1991.

2 - A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENEOL 1973, P 69.

3 - IBID P 75.

4- المشرف على المجلد / ج. كي زيربو / تاريخ إفريقيا العام المجلد الأول، النهضة وعصر ما قبل تاريخ إفريقيا- حين أفريك اليونسكو 1980 ص 690.

و قد أفادنا الفن الإفريقي لما قبل التاريخ بفكرة واضحة عن لباس الإنسان في ذلك العصر الذي كان عبارة عن جلود حيوانية(1).

و تعتبر الطوطمية بمثابة الارتباط الحقيقي بين الإنسان البدائي و الحيوان، و قد تكلم "فرويد" عن أصل الطوطمية و ذكر أنها مرتبطة بالعنصر الحيواني(2) أو بالأحرى اسم الحيوان الذي يفرض عليهم مع مرور الزمن فيتم الارتباط به و تقديسه (القرابة)، و يذكر الباحث (3) "كزيل GSELL" أن الحجج وفيرة تؤكد وجود الطوطمية في العصور القديمة عند مختلف شعوب البحر الأبيض المتوسط. و بالنسبة لإفريقيا الشمالية، فإنه يعرض بعض النصوص لتأكيد هذا الظن منها أن البكري أشار إلى قبيلة تسكن منطقة جبلية بجنوب المغرب كان تعبد كبشا (4). و قد نلمس آثار الطوطمية في المعتقدات الشعبية، فبعض الطيور كالهدهد تعتبر جميع أعضائها نافعة لعلاج عدة أمراض أهمها علاج الأطفال من الغباء و فك عقد المسحور. و تعادل الحرباء منزلة الهدهد في الطب الشعبي بإحاطتها بهالة من الإعجاب نظرا لما منحها الله من قدرة على تغيير ألوانها. فتنوعت الوصفات بشكل يثير الانتباه فأينما وجدت ذبحت و قد تجبأ للحاجة، كما أنها تباع عند العشائين في كل مكان. كما استعملت السلحفاة لعلاج عدة حالات من أمراض الأطفال كالكساح و الهزال والوقاية من آثار العين في الشعائر القديمة.

1- ج كسي زيريو : تاريخ إفريقيا العام ، مج 01 ، المنهية و عصر ما قبل التاريخ في إفريقيا ، جين أفريك ، اليونيسكو 1980 ، ص 686.

2- S. FREUD/ TOTEM ET TABOU , ED/ PETIT BIBLIOTHEQUE , PAYOT , PARIS 1966 , P128

3-STEPHAN GSELL : HISTOIRE ANCIENNE DE L'AFRIQUE DU NORD , TPM 01 , ED/ LIBRAIRIE HACHETTE , PARIS 1959 , p 246.

4- عبد العزيز البكري : المسالك و الممالك، مخطوط بقسم الوثائق التابع للخزانة العامة بالرباط، رقم 488.

إن الثقة التي وضعها الإنسان في حيوان ما جعله يفكر في تخليده
و إعطائه الصفة الأبدية في حياته اليومية مما أخذ يجسده على الصخور عن
طريق الرسم أو النقش ثم انتقل هذا التجسيد إلى أجسام أخرى كالخشب
و الزرابي و الأواني الفخارية و انتهى أخيرا إلى الجسم البشري الذي ظل
يحمل هذه الأشكال منذ القدم خاصة عند المجتمع الياباني الذي كان يخلد
ذكرى عيد المطافئ (Yedo) بوشم الأشكال الحيوانية القوية كالأسد و التنين
الذين يعبران عن قوة و عظمة رجال المطافئ. (1)

و قد ذهب بعض أفراد المجتمع إلى استعمال بعض الطيور تعبيرا عن
مشاعرها و أحاسيسها و خاصة الحمامة (انظر الشكل رقم 10) التي تكمن
دلالتها في مفهومي الحرية و السلام و الزواحف كالأفعى (انظر الشكل رقم
11) التي تكمن دلالتها في الغدر و المرأة الشريرة. (2)

2- أشكال نباتية:

النباتات هي العنصر الحيوي لدى الإنسان و الحيوان، شأنها شأن الماء،
و هي لباس الأرض فراح بنو البشر يعتقدون في بعض النباتات و منها
الأشجار لعلها تحميهم من الطبيعة و قسوتها، و قد أثبت المؤلف "أرنوب" (3)
وهو مسيحي عاش في إفريقيا في بداية القرن الخامس عشر ميلادي وجود
أشجار مقدسة عند اللوبيين (4) و من بينها سعف النخيل الذي يعتبر من أكثر

1 - ZENSTSOU OHYA : ETUDE SUR LE TATOUAGE AU JAPON , ED/ MENERVA
DERMATOLOGICA, 1959, p159

2 - DICTIONNAIRE PETIT LAROUSSE, ED/ LIBRAIRIE LAROUSSE , PARIS 1980.

3- EDWARD WESTERMARK: SURVIVANCES PAIENNE DANS LA CIVILISATION MAHOMETANE
, ED/ PAYOT , PARIS AOUT 1959 , P 181.

4 - EDWARD WESTERMARK: SURVIVANCES PAIENNE DANS LA CIVILISATION MAHOMETANE
, ED/ PAYOT , PARIS AOUT 1959 , P 190.

الرموز التي تستعمل في الوشم بل كانت الأساس لكل أنواع الوشم، كما كانت توضع على حواشي ملابسهم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. بل حتى الأعمدة التي تشيد عليها منازلهم كانت من جدوع النخيل (1).

و معالم تقديس بعض النباتات مازالت قائمة دالة على استمرار العادات الطوطمية منها بعض الأشجار المقدسة مثل شجرة سيدي بونخله صالحة للشفاء من الروماتيزم و سيدي بوكرمة للشفاء من العقم كما يعتقد العامة أن بعض النباتات قادرة على تحقيق بعض الرغبات فيقال مثلاً عن:

فليو "يجب الرزق على كفيو".

الحاحال "يجيب الرجال على كل حال".

البسباس "يخطف عقل أولاد الناس".

إن ارتباط بعض المجتمعات و خاصة المجتمع العربي ببعض النباتات و الأشجار اعتقاداً أنها تشفي من أمراض أو من ورائها نفع و خير جعلها تفكر في تخليده عن طريق عملية الوشم على أجسامها.

و من بين النباتات المشومة على الجسم الأكثر تكراراً لدى مجتمعاتنا العربي و خاصة الجزائري نجد ما يلي:

أ- سعف النخيل:

إنها من أكثر الرسوم التي تستعمل في الوشم وهي الأساس لكل أنواع الوشم لقد استعمله قدماء الليبيين الذين كانوا يضعون سعف النخيل على حواشي ملابسهم في القرن العاشر قبل الميلاد و كذلك تحمل النقود المصكوكة في الساحل الشرقي من ليبيا رمز الحصان و سعف النخيل، و نشير

1- عبد الحليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان 1969 ص 188.

أن هذا الشكل الموشوم على الجبهة في المغرب العربي يرمز إلى الفتح و الانتصار و إلى الزينة و التجميل (1)، غير أنه عند النساء الجزائريات يستخدم لتفرقة بين الأجنب و الأهالي أو علامة خصوصية تميزت بها النساء الأخريات، و يظهر في شكل خط مستقيم يوضع على الجبهة.

ب- السنبله :

تعتبر من النباتات التي يعتمد عليها المجتمع في معيشته و خاصة المجتمع الريفي "الفلاح" فهو يقوم بحرث الأرض و زرع البذور ثم ينتظر بفارغ الصبر الأمطار لعلها تكون كافية لنمو السنبله فهو دوما يفكر في هذه الأخيرة، فمجرد مساحة مغطاة بالسنايل نقول إنه عام خير وبركة و هكذا أصبحت السنبله فال خير عند بعض المجتمعات و خاصة لدى النساء فأردن تخليد هذه الفالة على أجسامهن لتكون أبلية وذلك عن طريق الوشم.

فالرجو من السنبله هو العطاء و الخصوبة و أخيرا الاكتفاء الذاتي غير أن الدلالة التي تخفيها السنبله الموشومة عند المرأة الجزائرية ليس لها علاقة بالمعيشة و المحاصيل الزراعية بل تكمن في فكرتين:

- حب إنجاب عدد أكبر من الأطفال من خلال تركيبة السنبله التي تحتوي حبات من القمح، فمعنى ذلك أن المحصول من حبوب القمح الذي تحمله السنبله بمثابة تشجيع للمرأة المغاربية أو الجزائرية الريفية لإنجاب أكبر عدد من الأطفال.

- إن الاعتقاد و الارتباط الوطيد بين المرأة الجزائرية الريفية بالسنبله من حيث إنها فال خير جعلها تذهب إلى حد تجسيدها على أبنائها الصغار خوفا

1-د/ عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، 1969 ، ص 189.

من المرض القاتل الذي أصاب أطفالها السابقين(1)، و خاصة في العهد الاستعماري نلاحظ أن هذه الدلالة يغلب عليها الطابع الأسطوري الذي كان يتخبط فيه المجتمع الجزائري آنذاك.

ج- الأشجار:

ترسم على صيغة أشجار التي تكون لها أغصان زائدة و هي نادرا ما تكون خضراء و كثيفة الأغصان، لذلك فهي ترسم على شكل عمودي مركزي و أغصان قليلة و هي غير الجريد بالرغم من التشابه الكبير بينهما.

د- النخلة: و توشم على الأصابع الثالثة الأولى فهي عبارة عن خطوط متوازية و تكون على شكل دعامة أو كلاب " CROCHET " و لا توجد إلا في الصحراء (2) مدلوها الانتمائي القبلي. (3)

هـ- الوردة أو الزهرة:

تعتبر الوردة من أقدم الرموز فقد استعملها قدماء المصريين و الكلدانيين على جدران منازلهم و قد استعملت كذلك على الأواني الفخارية "بجزيرة كريت " و كذا في "كورنيت" في بلاد الإغريق كما تحتوي كتابة القرطاجيين على زهور ذات الأربع وريقات و أحيانا ثمانية أو ست عشرة وريقة منظمة الواحدة إلى جانب الأخرى(4).

1 - A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/DENOEL , PARIS 1973, P75.

2 - J. PROBEST : LES TATOUAGÉS TRADITIONNELS DES INDIGENES ALGERIENS , ED/ JOANNES DESVIGNE ET SES FILS EDITEURS 1930, P103.

3- د/ عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية سوسولوجية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان 1969، ص 207.

4- اللوتس Lotus (لوطوس) نبتة برية و زراعية من فصيلة القرنيات الفراشة (زهرة اللوطس) أنظر قاموس كنز الطالب (فرنسي، عربي

(جروان السابق).

و يمكن القول إن الزهرة ترجع إلى اللوتس و قد نجد أصل هذه التماثل في المغرب يرجع إلى أن الزهرة ترتبط بوصفها حجابا ضد العين الشريرة أي ضمانا لطرد الشياطين و الأمراض(1).

إن علو الزهرة ذات الثمان أوراق الصغيرة على مداخل المنازل في كل جهة من جهات الأبواب لتدفع العيون الحاسدة للدليل على وجود الطوطمية في المغرب العربي غير أننا نلاحظ تجاوزت وجودها على الجدران بل تعدى ذلك و أضحت مستقرة على الجسم البشري عن طريق الوشم لها مدلول آخر يتمثل في السعادة و تموضع على ذراع الذكر (انظر شكل 06) أو ساعده.

3- الأشكال الهندسية:

إن الحفريات الأثرية أثبتت وجود أسير تل عمارنة (2) "ليبيا القديمة «يحمل على كتفه خطين مزدوجين مصحوبة بأربع نقاط و على صدره ستة معينات في صف عمودي و على السرة صف مكون من أربع معينات (3) مما يؤكد أن الأشكال الهندسية قديمة قدم الفراعنة لأهراماتهم العجيبة التي تعبر عن الهندسة المعمارية الفريدة من نوعها.

و في فن الزربية، نجد قوى تحرك أشكالا هندسية و شبكة من الدلائل حيث تتخذ الزربية مظاهر مختلفة بيد أنه ليست مجرد مصنفة مبتورة للدلائل السحرية بل لها فنها وطريقة ترتيبها المبنية على عشق الهندسة و اللون (4) غير أن هذه الأشكال الموجودة على الزربية هاجرت إلى فضاء آخر ألا وهو

1- د/ عبد الجليل الطاهر : المجتمع البي دراسة أنثروبولوجية سوسيوولوجية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان 1969، ص 207.

2 - PIERRE DU BOURGUET : L'ART EGYPTIEN , S. A ,GENEVE 1980 ,P 59.

3-دائرة المعارف الدينية و الأخلاقية، الجزء الرابع، ص 495.

4-ينظر- مجلة الحياة الثقافية، ص 65، 67.

الجسم البشري الذي أضحى حقلا مزخرفا لتلك الرسومات الهندسية العفوية وخاصة عند نساء شمال إفريقيا، علما أن الوشم بدأ بالنقطة (1) و هذه الأخيرة تعد شكلا هندسيا تحول إلى خط مستقيم حتى انتهت عند المعين و قد تصبح الأشكال الهندسية متشابكة كالقماش حتى قيل أن الوشم لباس ثالث (2) خاصة في بولونيزيا حيث يظهر جسم المرأة مغطى بشبكة من الوشوم و من الأشكال الهندسية الموشومة على المرأة و الرجال في الوسط الجزائري:

أ- النقطة (.) : تعد النقطة أول شكل ظهر في عالم الوشم و قد اتخذ عدة مواضع من الجسم، فنراها عند المرأة الخدين أما عند الرجل، فقد توجد على اليد أو الأصابع. و مدلولها عند الأنثى غيره عند الذكر: فالنقطة الموشومة على نخذ المرأة المغربية لها وظيفة تجميلية أما عند الرجل لها مدلولين أساسيين: - وجود النقطة على اليد معناه الميل إلى الانفراد أي أن الشخص هنا

يريد أن يعيش حياته بعيدا عن المجتمع الذي ينظر إليه بنظرة احتقارية.

- وجود ثلاث نقاط على الأصابع (انظر الشكل رقم 02) مدلوله الخروج عن القانون أو في الرياضيات بحيث إن أول مرحلة تبدأ بها هي وضع النقطة على المخطط و تعرف في فن الزربية المغربية بالحنة GRAINE. (3)

ب- الخط: إذا أخذناه من المنظور الهندسي يمكن القول إنه مجموعة من النقاط غير المنتهية (4)، بمعنى آخر يصبح الخط ليس له حدود. غير أنه في عالم الوشم فإن الخط الموشوم على جباه نساء شمال إفريقيا و بالأخص الجزائريات فإنه مقيد أي محدود. و تعرف الخطوط التي تحملها المرأة المغربية على الدقن

1- ليث الخفاف : وشم الحنك، مجلة التراث الشعبي، العدد 03 و 04، دار الجناح للنشر، بغداد 1979، ص 45.

2- A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE, ED/ DENOEL, PARIS 1973, P 88.

3- M. SIJELMASSI : LA PEINTURE MAROCAINE, ED/ J. P TAILLANDIER, PARIS 1972, P 177.

4- VOIR / Dr VAOK : GEOMETRIE DESCRIPTIVE, OPU 1988, P 130.

"بالسيالة"، حيث ينطلق الخط ابتداء من الشفة السفلى فيعبر الدقن و ينتهي في مؤخرته، كما يلاحظ عند المرأة التونسية في شكل ثلاثة خطوط (1) متوازية على مستوى الدقن، أما عند المرأة الجزائرية فنجد أربعة حالات:

-خط مستقيم على الجبهة أو بين الحاجبين و المسماة باللهجة المغربية

بالجباهية.

-خط مستقيم على الدقن "وشم اللحية".

-خطان متوازيان على العضو نفسه.

-ثلاث خطوط متوازية كذلك على نفس العضو، و كل هذه الخطوط

لها مدلول واحد و هو التجميل. أما الخط الذي يوضع على جبهة الرضيع فالمراد منه شفاء أو الوقاية من المرض،

و تعرف هذه العملية "بالتشريط" و هي فكرة يسيطر عليها الجانب

الأسطوري و لو أنها تدخل ضمن العلاج الشعبي. كما يلاحظ أن النساء

الليبيات يستعملن خطوطا على الأنف و هي رموز تشير إلى أصلها القبلي.

(2) و الشيء الملاحظ، أن الخط المستقيم في عالم الوشم قد يخرج عن مساره

بحيث يتفرع إلى أشكال أخرى و هذا ما تتميز به المرأة العراقية فالخط يبدأ من

الشفة السفلى ثم يعبر الدقن و يتفرع على مستوى الحنك فيأخذ شكل دائرة

سواء بالنقاط أو بخط شعاعي. (3)

و أخيرا نقول إن الخطوط في الوشم إذا كانت مستقيمة منكسرة فإنها

دائما تعد أشكال هندسية و مدلولها واحد يفيد الزينة.

¹ - GOBERT : REMARQUES SUR LES TATOUGES DU NORD-AFRICAINE , REVUE AFRICAINE , 1956, P 593.

²-عبد الجليل الطاهر، المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان 1969، ص 187.

³- ليث الخفاف : وشم الحنك، مجلة التراث الشعبي، العدد 03 و 04، دار الجاحظ للنشر، بغداد 1979، ص 47.

ج-المعين: كما سلف الذكر أن هذا الشكل الهندسي ليس بحديث العهد، بل أنه يمتد إلى عصور ما قبل التاريخ حيث كشفت البحوث الأثرية عن ضريح ينسب إلى قائد قبيلة تل العمارنة "ليبيا القديمة" يحمل على جسمه خطوطا مزدوجة و ستة معينات في صف واحد على الصدر، و الشيء نفسه بالنسبة لمصر القديمة حيث كشفت البعثة الأمريكية للأبحاث الأثرية عن وجود راقصات يحملن وشوما على البطن و الصدر و الفخذ وهنا تأخذ الوشوم شكل معينات كل واحد منها مكون من ست عشرة نقطة. (1)

و هكذا استمرّ المعين في وجدانيته حيث أصبح يلفت النظر فنجد مرسوما على الأواني الفخارية كما نجد مجسدا على الزربية، تعدى نطاقه و أصبح لديه وظيفة تجميلية على الجسم خاصة عند الأنثى. و لعل الناظر إلى الوشوم التي تحملها المرأة الأوراسية؛ يكتشف أشكالا هندسية فجهل مغزاها كتلك المعينات الموجودة على اليدين مصحوبة بنقاط و الصليب المتوضع على الجبهة و الدقن (2) ودلالة هذه الأشكال هي الزينة فقط كما يلاحظ أن شكل المعين كان يوضع في منطقة الأوراس على جباه الأطفال الصغار و ذلك لمطاردة العين الشريرة التي يعتقد أنها تصيب الأطفال (3). و نشير أن هناك أشكالا تتشابه مع المعين وتعرف بالسلفحة نجدها في تونس و عند أولاد نايل بالجزائر غير أن مدلولها جد معقد.

د- خطان متقاطعان: (+) إن هذا الرمز أصبح يلفت الانتباه و خاصة عند العالم الإسلامي فكلما رأيناه نقول: "إنه الصليب"، لكونه شكلا سبق

1-GOBERT : REMARQUES SUR LES TATOUAGES DU NORD-AFRICAIN , REVUE AFRICAINE 1956, P 511.

2 - JOURNAL : EL WATAN, 16 OCTOBRE 1994, P 13, «APS».

3 - IBID P 13.

العصر الإسلامي، غير أنه تعدى مبنى الكنيسة و أصبح مجسدا على جسم الإنسان و ذلك بواسطة عملية الوشم و هذا ما تطرق إليه الباحث الفرنسي "أوجان دوماس DAUMAS .E" حين وصف الوشم عند سكان قبائل الجزائر و ذكر أن رمز الصليب يؤكد أثر المسيحية الذي لا زال قائما، فكانت تثبته على المناخر و ذلك عن طريق عملية الوشم (1) و هذا منذ الطفولة غير أن هذا الرمز استمر في العهد الاستعماري و أصبح منتشرا في الغرب الجزائري و خاصة في الأرياف فكانت تضعه المرأة على الدقن اعتقادا منها أنه شكل يعطي جمالا للوجه و ليس تمسكا بالمسيحية، كما أكد ذلك د. الخاطبي حيث وصف أن رمز الصليب استعملته المرأة في نواحي وهران كان يغلب عليه الجانب الأسطوري اعتقادا أنه يحمي الأطفال من العين الشريرة التي تصيهم كما استعمل من قبل اليهود المغاربة حيث كانوا يشمون هذا الرمز على جبهات الرضيع و دلالة هي حماية الذاكرة (2) غير أن هناك من يذهب إلى الاعتقاد أن هذا الشكل هو شكل زخرفي استعمل في صناعة الزرابي و الأواني الفخارية علما أن في الحضارة الإسلامية كانت تلغي تجسيد صورة الإنسان في الصناعات التقليدية وهذا ما جعل الحرفيين يتكرون رسومات عفوية كالمعين و الخططين المتقاطعين كشكل يمكن أن يكون في علم الرياضيات معلما متعامدا ومتجانسا (3) و أما كحرف كتابي عند سكان التوارق فهو يعتبر حرف تاء "T" كما يلاحظ أن بعض المجتمعات العربية قد استعمل رمز الصليب على أبواب المنازل و السقوف و غيرها فهي طقوس كانت سائدة و يقال أن هذا

1 - E. DAUMAS : MOEURS ET COUTUMES DE L'ALGERIE , ED/ SINDBAD , PARIS 1988 , P 151.

2 - A. KHATIBI: LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENOEL , Paris 1973 , P69.

3 - VOIR / Dr VAQYK : GEOMETRIE DESCRIPTIVE , OPU 1988 , P 136.

الرمز يقاوم الأرواح الشريرة (1) و الشيء المؤكد هو أن الصليب رمز الأسطورة عند الغرب.

و للإشارة أن الصليب ليس حديث عهد بالمسيحية بل إن هناك حججا تثبت أن شعوب ما قبل التاريخ استعملت شكل الصليب و خاصة المصريين و الليبيين القدامى و الدليل على ذلك أن هناك بعض أشكال الوشم التي تمثل الصور الليبية في الآثار المصرية القديمة ما يكشف عن صور الصليب(2)؛ كان الغرض من وضع الصليب على شكل حلي هو طرد العين الشريرة التي يعتبرها سكان شمال إفريقيا مصدر للخطر و القلق و الشؤم. و لكن توجد بكل تأكيد أسباب عميقة أخرى وراء هذه الاحجية و التمايم، فالصليب يقوم بوظيفة تبديد و بعثرة الطاقة المشثومة التي تنبثق من العين الشريرة إلى الجهات الأربع التي منها تنطلق الرياح الأربع. و يشير الصليب كذلك إلى تقاطع الطرق الأربعة فهو إذن النقطة التي منها تبعثر القوى الشيطانية الشريرة (3) و أخيرا نقول إن الصليب الموشوم على الجسم المغاربي دلالاته تكمن فيما يلي:

- يعتبر شكل تزييني عند المرأة وخاصة وجوده على الخدين و الدقن مثلا المرأة الأوراسية.

- يشير إلى الخلود و البقاء على قيد الحياة و يظهر جليا في المجتمع المغربي حيث نرى صنليا موشوما على أنف رجل أو امرأة و مفاده أن أمه قد وشمته على أنفه لأن أخويه قد توفيا قبل ولادته و تريد أن تطرد الشيطان

1- د/ عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان 1969، ص 204.

2 - EDWARD WESTERMARK : SURVIVANCES PAIENNE DANS LA CIVILISATON MAHOMETANE , ED/ PAYOT AOUT 1959, P 45.

3-د/ عبد الجليل الطاهر، المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان 1969، ص 198.

و الشر و المرض (1) و الملاحظ أن هذه الفكرة يسيطر عليها الجانب الأسطوري.

- يرمز إلى الانتماء القبلي كالذي استعملته المرأة القبائلية على مناخر أبنائها (2).

هـ- المثلث: إن المتبع جيدا للوشم في الجزائر، يصعب عليه أن يلاحظ ما إذا كان هناك وشم عشائري أم لا؟

و لكن في الحقيقة إذا لاحظنا بدقة، فإننا نجد ذلك في منطقة القبائل، فمثلا نجد اختلافا بين سكان أعالي الجبال حيث تظهر الوشوم على شكل مثلث متساوي الأضلاع، يرسم بين العينين من الأسفل إلى الأعلى؛ أما القبائل السفلى فيرسمون نجمة خماسية على الخد الأيمن و نقطة على الأصبع (3) إذا فيمكن القول إن شكل المثلث متساوي الساقين بالرغم من أنه يفيد الزينة غير أنه يبقى العنصر الأساسي للفرقة القبلية و يعرف في فن الزربية المغربية بالقول (4)

III- أشكال أخرى:

فضلا عن الأشكال النباتية و الحيوانية و الهندسية التي تكلمنا عنها سابقا، هناك أشكال أخرى استعملها الرجال و النساء على أجسامهم بواسطة عملية الوشم. ومنها ما هو مستوحى من أعضاء الجسم كالقلب و الأخرى من عالم الجماد كالخنجر أو السيف و الحذاء الحديدي و غيرها من

1- د/ عبد الجليل الطاهر: المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان 1969، ص 197.

2 - E. DAUMAS : COUTUMES ET MOEURS DE L'ALGERIE , ED/ SINDBAD , PARIS 1988 , P 151.

3 - J. PROBEST : LES TATOUAGES TRADITIONNELS DES INDIGENES ALGERIENS , ED/ JOANNES DESVIGNE ET SES FILS EDITEURS , 1930 , P 03.

4 - M. SIJELMASSI : LA PEINTURE MAROCAINE , ED/ J. P. TAILLANDIER , PARIS 1972 , P 173.

الأشكال انفراد بها الرجال فقط أما لدى النساء، فنجد أشكالاً زخرفية الغرض منها علاجي و تجميلي في آن واحد و الأشكال في عالم الوشم لا تعد و لا تحصى و منها:

1- أشكال مستوحاة من أعضاء الجسم البشري:

و منها الداخلية أو الفيزيولوجية و الأخرى بارزة،

أ- الأعضاء الداخلية :

و من الأعضاء الداخلية نذكر على سبيل المثال :

القلب : إنه عضلة مجوفة Muscle creux يتموضع في الصدر، و وظيفته يستقبل الدم من الأوردة و ينقلها إلى الشريان يزن حوالي من 270 غ، إنه ذو شكل هرمي ومحوره مائل أماما ويسارا (3)، فهو أعلى عضو عند بني البشر نظرا لوظيفته الأساسية التي تتوقف عليها حياة الإنسان، غير أنه هاجر من فضائه الفيزيولوجي حيث استقر في الوسط كرمز يضرب به المثل الشعبي كما هو الشأن عند المجتمع المغربي " السن يضحك للسنن و القلب فيه الخديعة" (2) و كان القلب خزانة تخزن فيه الخداع والحقد و غيرها.

و هنا أصبح القلب عضوا يمتلك في الغريزة أي الجنس الآخر (المرأة)، أي حل محل العقل الذي ينشغل بالتفكير و المشاكل غير أنه في عالم الوشم تعدد دلالاته كرمز حسب أشكاله التي يظهر بها على أعضاء الجسم و منها :

¹ - ANDRE DOMART ET JACQUE BOURNEUF : PETIT LAROUSSE DE LA MEDECINE , ED/ LIBRAIRIE LAROUSSE , PARIS 1989 , P.184.

²-د. / عبد الكبير الخاطبي، ترجمة محمد بنيس: الأسم العربي الجريح، دار العودة، بيروت 1980، ص 47.

-القلب العادي ♥: يعتبر من الأشكال التي ينفرد بها الذكر و نجده

يتمركز على الذراع

و الساعد و أحيانا على ظهر اليد فقد يكون موشوما بمفرده أو مصحوبا بأحرف (M♥S) (انظر الشكل رقم 03) أو نجده يتوسط جملة: J♥ Fatima و هنا رمز لقلب حلّ محلّ فعل أحب Aimer و لهذا فالدراسة العالمية لرمز القلب تكمن في الحب، حيث يصنف ضمن الوشوم الجنسية.

-قلب تتوسطه نقطة :

ومعناه أن حامله يهتم بنفسه فقط إنه حب الذات المعروفة بالترجسية و ليس شأن بالآخرين، إنه الانعزال الذي يبدو قريبا من مرض السيكوباتية. - قلب به انشقاق :

نستنتج من هذا الشكل أن الحب و الإخلاص و العلامة الغرامية التي كانت بين حامله و معشوقته في و شك الانقطاع، فإنه تحذير منه إليها. - قلب يخترقه سيف أو خنجر:

و هنا نستنتج أن العلاقة الغرامية بين حامل هذا الشكل معشوقته قد انقطعت نهائيا للأبد.

ب- الأعضاء البارزة :

و من الأعضاء البارزة نذكر على سبيل المثال:

العين : هي عضو للنظر محمية بجفن أعلى و الآخر من الأسفل (1) متوضعة على مستوى الوجه شأنها شأن الأنف و الشفتين و يتمتع بني البشر

1-ANDRE DOMART ET JACQUES BOURNEUF : PETIT LAROUSSE DE LA MEDECINE , ED:LIBRAIRIE LAROUSSE PARIS 1989 , P 542.

بعينين و هذا ما ورد في القرآن الكريم ﴿ألم نجعل له عينين و لسان...﴾
 (1) وذهب ابن سرين يتكلم عن رؤية العين في الأحلام حيث أفادنا أنها دلالة
 عن كل ما تقر به عينيه من مال عين أو ولد أو أخ أو أولاد أو أمير أو قائد
 فاليمنى تعمل على الذكر و الكبير و الأشرف. و اليسرى على الأدنى (2)
 و للعين مكان في التفافات الشعبية فهي بين الوصف السليبي فعندما يصفها
 بالإيجابية فنقول " عينك هي ميزانك " أو " أشحال ما علاو العينين الحاجب
 فوقهم " (3)، أما الوصف السليبي كأن نقول في المثال الشعبي: أن فلان عيناه
 قاطعتين أي فيهما ملامح الشر، أو نقول: " خمسة في عينيك، ربي يعميك ".
 يهمننا من دراستنا للعين الوصف السليبي، الذي يبدو كأنه "لغة" ترمي
 بجذورها في عمق المجتمع الجزائري، حيث يعرف هذا بالعين الشريرة (4) و هو
 الأكثر اعتقادا في الوسط المغاربي لما تلحق من أضرار بالمال و البنين وهي
 سبب فشل المشاريع و مؤداة إلى الخسارة، ولدى وجب محاربتها بالتمائم أو
 الوسائل الاعتقادية الأخرى. و يستعمل سكان قبيلة كورتوغو : بالسودان،
 لمطاردة العين الشريرة عن أطفالهم أثناء الختان رنين الأجراس. تربط هذه
 الأخيرة برجل الطفل المختون بعد العملية مباشرة (5).

اليـد: إنها عضو للأخذ و اللمس و الإحساس (6)، فهي الأكثر اعتمادا
 من طرف الشخص لإشباع غرائزه و الحديث عن اليد يؤدي بنا حتما إلى

1 - سورة البلد، الآية الثامنة.

2 - ابن سرين : تفسير أحلام النفال، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1990، ص 388

3 - عبد الكبير الخاطبي، ترجمة محمد بنيس : العربي الجريح، دار العودة بيروت، ط 01، 1980، ص 43.

4 - NAFISSA ZERDOUMI : ENFANTS D'HIER (EDUCATION DE L'ENFANT AU MILIEU
 TRADITIONNEL ALGRIEN), ED/FRANCOIS MASPRO , PARIS 1979 , P 149.

5 - د. فاروق إسماعيل / الأنثروبولوجيا الثقافية (دراسة حقلية في الثقافات الفرعية / دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1984 الجزء الأول ص

6 - ANDRE DOMART ET JACQUES BOURNEUF : DICTIONNAIRE PETIT LAROUSSE DE LA
 MEDECINE , ED/ LIBRAIRIE LAROUSSE , PARIS , PARIS 1989 , P471.

الأخذ بعين الاعتبار الأصابع التي لا يمكن فصلها عن اليد علما أن لكل أصبع وظيفة، و فيما يلي الوصف الوظيفي للأصابع في الثقافة الشعبية المغاربية :

-الخنصر: هذا صغير وعاقل.

-البنصر: هذا لباس الخواتم.

-الوسطى: هذا كبير بلا خصلة.

-السيبابة: هذا لحاس القدرة.

-الإبهام: هذا دباز القملة. (1)

ويختلف مدلول اليد ووظيفتها حسب الوضعية التي توجد فيها فعندما تكون مغلوقة تكون كل الأصابع لها وظيفة واحدة هي القوة (2) و الهيمنة و الدفاع عن النفس (كالملاكمة) أما عن اليد المفتوحة فهي التحية و السلام ويقال عنها في الثقافات الشعبية المغربية " يد فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه و سلم " (3) التي تلجأ إليها بعض المجتمعات في شمال إفريقيا و الجزائر خاصة كسلاح ضد الشؤم و العين الشريرة التي يعتقد أنها تصيب الأموال و البنون فنجدها على أبواب المنازل وداخل البيوت كما أنها تحدد حدودها و أصبحت مجسدة على الجسم البشري عن طريق الوشم.

2- أشكال مستوحاة من عالم الجماد:

نذكر على سبيل المثال :

أ-الخنجر:

¹ - M. CHEBEL : LE CORPS DANS LA TRADITION AU MAGHREB , ED/ PUF , PARIS 1984 , P 65.

² - IBID , P 62.

³ - A. KHATIBI : La BLESSURE DU NOM PROPRE ED/ DENOEL , PARIS 1973 , P 121.
VOIR AUSSI : NAFISSA ZERDOUMI : ENFANTS D'HER , P152.

يعتبر من الأدوات الحديدية التي لها وظائف عديدة كتلك الموجودة في المطبخ و ذبح البهائم أو الدواجن. غير أنه قد تكون وظيفته أحيانا سلبية و تتمثل في الاعتداء على الأشخاص الذي قد يسبب لهم الجرح و أحيانا القتل إثر الطعنة الموجهة. و من هنا أخذ دلالاته الحقيقية سواء في القصص (1) التي تعبر على الغدر و الخطر. و في تفسير الأحلام تتعدد دلالاته فيقال أنه فائدة من الدنيا ينال صاحبها أو صلة يوصل بها أو أخ يصحبه أو صديق يصادقه أو خادم يخدمه أو عبد يملكه على إقرار الناس. و إن أعطى سكيننا ليس معها غيرها من السلاح. فإن السكين حينئذ من السلاح هو سلطان. (2) و السكين حجة لقوله تعالى: " و أنت كل واحدة منهن سكيناً"، (3) أما في عالم الوشم فدلالة الخنجر أو السكين تختلف حسب مظهره على العضو فإذا كان خنجرا بمفرده موشوما على الذراع أو الساعد فإنه يعبر عن الانتقام أما إذا كان مصحوبا بأفعى (التواء الأفعى -على الخنجر)، فهنا يعبر عن الرجل.

ب- صفيحة الحصان :

هي عبارة عن قطعة حديدية مقسومة تستعمل أصلا تحت قدم الحصان للحفاظ عليها و قد استخدمتها بعض الفئات الاجتماعية في الجزائر لغرض آخر بحيث نجدها عادة على أبواب المنازل (4)، اعتقادا منها أنها تطرد العين الشريرة و تواجه كل الشؤم التي تصيب المنزل و بما فيه من أموال و بنون. و هناك من الفئات الاجتماعية و لاسيما الذكور ذهبوا إلى تجسيد هذا الشكل

1-د/ عمر بن قينة : أشكال التعبير في القصة اللبية القصيرة، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص 101.

2- ابن سريين : تفسير أحلام النفال، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1990، ص 374.

3- سورة يوسف الآية 31.

4 - NAFISSA ZERDOUMI : ENFANTS D'HIER (EDUCATION DE L'ENFANT DANS AU MILIEU ALGERIEN TRADITIONNEL), ED/ FRANCOIS MASPERO , PARIS 1979 ,P 153.

على أجسامهم عن طريق الوشم فلقد لوحظ هذا الشكل عند السجناء فله دلالة تنحصر في الحرية التي يتمتع بها الحصان في الطبيعة و كذلك السرعة التي تميزه عن باقي الحيوانات الأخرى و لهذا فإن السجن الذي يقضي طوال وقته ما بين الجدران محروم من الحرية عبر عنها بالحذاء الحديدي الذي يرى فيه الحرية و الابتعاد عن المدينة و اللجوء إلى الطبيعة موطن الحصان.

3- أشكال فلكية:

و من الأشكال أخذنا على سبيل المثال :

أ- الشمس: (شعاعها)

تعتبر الشمس رمز قوة عظيمة، تضيء الكوكب كله تنسب إليها الكواكب وتسمى بالمجموعة الشمسية و الأرض كوكب ينتمي إليها. كما ينظر إلى السماء أنها رمز الألوهية (1).

و في القرآن الكريم آيات ذكرت فيها الشمس " الشمس و ضحاها و القمر إذا تلاها. " (2) و من الأمم من ذهب إلى عبادة الشمس كقوم سبأ (4). و ذكر أن الجزائريين قديما قد عبدوا الشمس (3) و اتخذوها إلهاء، و من بقايا الاعتقاد ما يقوم به الطفل حينما تسقط سنّه فيأخذها و يتوجه بها نحو الشمس قائلا:

أَعْطَيْتَكَ فَضَّةً، أَعْطَيْتَنِي ذَهَبًا.

أَعْطَيْتَكَ سَنًّا حَمَارًا، أَعْطَيْتَنِي سَنًّا غَزَالًا.

1- د/ عمر بن قينة : أشكال التعبير في القصة اللبية القصيرة، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986 ص 101.

2- سورة الضحى، الآية الأولى.

4- سورة النمل، الآية 27.

3- ينظر : علي البطل : الصورة في الشعر العربي : د. م. ج 1981 ص 70

فالشمس في هذا المعتقد هي الإله الذي يمنح الأشياء الثمينة مقابل الأشياء الزهيدة، و لدى وجب التوسل إليها و التقرب منها، ثم بين الشمس و الغزال صلة دينية و ثقفة فهما صورتان لمعنى واحد معبود مرتبط بالأمومة(1)، و أفادنا العلامة ابن خلدون بأن هناك قوما من اليهود و النصرى و الجوس كانوا يعبدون الشمس (2).

غير أنه مع مجيء الإسلام انقرض هذا الشكل من الديانات و خاصة في شبه الجزيرة العربية وإفريقيا وأصبحت الشمس ترمز إلى أشياء في إطار شرعي بعيدا عن الشرك، فالفنان الذي يرسم الشمس على لوحته فإنه يعبر حتما عن جمال الطبيعة أو السلام أو الحرية.

و الشمس كرمز موشوم على جسم الفرد تتعدد دلالاتها، فلدى الفرد الجزائري المقيم بالجنوب فهي تعبير على حياته اليومية (3) علما أن مناخ الصحراء حار وجاف من أثر شعاع الشمس. أما عن ذلك المقيم في الشمال فيعبر بها عن الحرية و السلام.

ب- الهلال: ☾

إنه غرة القمر إلى سبع ليالي من القمر أو القمر في آخر الشهر من ليلة السادس و العشرين منه (4) أو هو بداية الشهر عند الأمة الإسلامية بحسابها الفلكي (5).

1- ينظر: مبارك المليي : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث : الجزائر 1976 ص 74.

2- عبد الرحمن بن خلدون. ديوان المبتدأ و الختم في أيام العرب و العجم و البربر للبارون ملان ن ج 2 سنة 1847 ، ص 112.

3 - J. N. PRO BEST : LES TATOUAGES TRADITIONNELS DES INDIGENES ALGERIENS , ED/ JOANNES DESVIGNES ET SES FILS EDITEURS , 1930 P 03.

4- د/ خليل الساجر : العجم العربي الحديث (لاروس)، مكتبة لاروس، باريس 1973.

5- أبو المجد أحمد / الإحتهاد الديني المعاصر (قضايا و أفاق دار البعث للطباعة و النشر قسنطينة الجزائر الطبعة الأولى 1985 ص 150.

إنه شعار المسلمين يقابل الصليب عند المسيحية. كما أنه يقل عن الملك والقائد و المقدم و المولود البارز من الرحم المستهل بالصراخ و على الخير الطارئ و الفتح القادم من الناحية التي طلع منها و على صعود المؤذن فوق المنار لأن الناس يشخصونه بالأبصار و يشيرون إليه بالأصابع و يجاوبونه بالتكبير و التهليل و أدن باقتضاء الدين لرأيته (1) كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف " صوموا لرأيته و أفطروا لرأيته " (2) و نجده في بعض الأحيان يحل محل الشهر وفقا لما ذكره القرآن الكريم لقوله تعالى : " فمن شهد منكم الشهر فليصمه " (3)

و هكذا أصبح الهلال رمز الإسلام فنجده على قمم المساجد كما جسده بعض الدول الإسلامية على أعلامها (كالجزائر، تونس، تركيا. الخ) كما يعتبر رمز للقطاع الصحي و الصيدلاني في الجزائر و كذلك رمز للتدخل الطبي الإسلامي يعرف بالهلال الأحمر Croissant rouge. و اتخذته الزربية كشكل يعبر عن الفن الإسلامي، كما رمز الفن العربي في الجنوب إلى القمر نحتا و نقشا على الأحجار(4) غير أنه هاجر إلى فضاء آخر و هو الجسم البشري فأصبح مجسدا عليه بواسطة عملية الوشم، و لهذا فإن الهلال في عالم الوشم ينفرد به لرجال أكثر منه النساء فنجده في المجتمع الجزائري موشوما على ظهر اليد و الزند بالنسبة للرجال كما أنه منعدم عند النساء و فكرة وشم هذا الشكل تعدد إبان الحرب التحريرية حيث كانوا يعبرون به عن عقيدتهم الإسلامية.

1- ابن سرين : تفسير أحلام التفائل، دار الكتب العلمية، ط 01، بيروت، 1990، ص 214.

2- أبو المجد أحمد / الإجهاد الديني المعاصر (قضايا و آفاق دار البعث للطباعة و النشر -قسنطينة (الجزائر) الطبعة الأولى ص 147.

3- سورة البقرة : من الآية 185.

4- ينظر : جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : بيروت 1980.

تعتبر من الأجرام السماوية المضيئة بذاتها و مواضعها النسبية من السماء ثابتة (1) كما أنها تدل على عالم الناس و المذكر منها رجال و المؤنث نساء و العظام منها أشرف الناس و الصغارة عامة أو صبيان أو عبيد و نجوم الهداية صحابة الرسول صلى الله عليه و سلم كقوله عليه السلام " أصحابي كالنجوم " (2) ويلقب الفنان المشهور و الناجح في فن التمثيل المسرحي بنجم المسرح و السينمائي بنجم السينما و النجوم تختلف، فهناك السداسية تعرف بنجمة داود تستعمل من طرف اليهود كما نجدها مجسدة في علمهم و هناك النجمة ذات الفروع الخمس تستعملها العرب و الأجناس الغير يهودية و هي من أقدم الأشكال استعملها المصريون و الكلدانيون على الأواني الفخارية (3). كما أنها استعملت من طرف سكان إفريقيا الشمالية لطرد العين (4) الشريرة ثم أضحى شكلا بكتوغرافي Pictographique تزخر به الزرابي و باعتباره إشارة مهاجرة تخترق الأنظمة الدلالية (5) أصبحت دلالة في عالم الوشم تفيد الزينة فقط و هذا ما نجده عند المرأة القبائلية حيث تشمه ما بين الإبهام والسبابة و في بعض الأحيان تكون على شكل كبير على ظهر اليد و هذا ما نجده كذلك عند الرجال (6) و توشم النجوم أيضا بين الأعين بمنطقة أولاد نايل و تكون بشكل دائرة في منطقة غرداية، وجودها نادرا في الغرب الجزائري.

1- د/ خليل الساجر: المعجم العربي الحديث (لاروس)، مكتبة لاروس باريس 1973.

2- ابن سرين " تفسير الأحلام ص 215 التفائل - دار الكتب العلمية - لبنان ط 1990

3- عبد الجليل الطاهر - المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان 1969، ص 197

4- المرجع نفسه، ص 197.

5 - A. KHATIBI : La BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENOEL , PARIS 1973, P 81.

6- د/ عبد الجليل الطاهر، المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان 1969 ص 188.

IV- أشكال زخرفية:

إنها أشكال تنفرد بها النساء في عالم الوشم و هي كثيرة فلكل مجتمع أشكال يعتمد عليها و لازال أثرها قائما عند نساء شمال إفريقيا و منها:

1- المشاطي: Rateaux

وهي تشبه الأصابع الخمس و لكنها تظهر كتمثيل سيء لليد فيبدأ هذا الشكل بخط أفقي تنطلق منه خطوط عمودية تتغير حسب كل وضعية إنه رمز سحري في كل الحالات مرتبط بالاعتقاد بقدرته تلك الخطوط على الحفاظ من أخطار العين.

2- السلسلة: CHAINE

لقد حلت محل المجوهرات التي كانت تفقدها نساء شمال إفريقيا آنذاك و كانت تشم المرأة الجزائرية السلسلة على المعصم و ذلك لسببين :
- لغرض تجميلي حيث يظهر مثل الزنجير 'Beacelet'. (انظر الشكل رقم

(04)

-علاج شعبي نظرا لإصابة المعصم بتوعك، فتلجأ المرأة لعملية التشريط (انظر الشكل رقم 05) وللإشارة لقد استعملت السلسلة في الوشم الجنسي و خاصة عند المرأة المغربية يعرف بوشم الفخذين. (1)

3- الشبكة:

إنه الشكل الأساسي في الوشم الجمالي بحيث نجده الأكثر انتشارا عند نساء شمال إفريقيا و هي عبارة عن سلسلة من الخطوط مترابطة و متداخلة

¹ - GOBERT : REMARQUES SUR LES TATOUAGES DU NORD-AFRICAIN ,REVUE AFRICAINE
1956, P 115.

فتكاد تشكل قماشاً، تستعملها المرأة الجزائرية ابتداء من الساعد إلى غاية الأصابع و هناك من النساء من تستعملها على ظهر اليد إلى غاية الأصابع و الغرض منها تجميلي. (أنظر الشكل رقم 15).

المبحث الثالث : لغة الوشم Langage du tatouage

إذا كانت للحيوانات لغة كأصوات القردة (1)، منها صرخات سرور تصدر عنها عندما يطعمها مدربها و صرخات واهنة عندما تحزن، و نباح الكلاب (2) عندما تشعر بالخطر الآتي من الخارج.

و للطيور لغة كرقصة الإيروس (3) و هي تحلق في أجواء السماء. كما يتفرد النحل بلغة (4) تدعوا إلى الاعتقاد بوجود تنظيم اتصالي لسلوك النحل، و خاصة تلك الرقصات التي تؤديها النحلة لتعلم بواسطتها بقية النحل عن مصدر الطعام، و تثير الرقصة التي ترسم دائرة أن الطعام موجود على مسافة قريبة من دائرة وسطها الخلية و لا يتعدى قطرها المائتي متر و تلجأ النحلة إلى رقصة أخرى تحدد بواسطتها المسافة بدقة متناهية، تأخذ هذه الرقصة شكل حرف ثمانية "8"، و كل رقصة و لها دلالتها عند مجتمع النحل.

و للزربية لغة تشكيلية (5)، تعبر عن رسالة سلفية تريد بها البقاء و الخلود في وسط اجتماعي نسوي علماً أن من مهام اللغة توفير و تنظيم

1- د / ميشال زكريا : الألسنية (علم اللغة الحديث، المبادئ و الإعلام)، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط2 1983، ص23.

2 - BRUNO BETTELHEIM : PSYCHANALYSE DES CONTES DE FEES, ED /ROBERT LAFFONT, PARIS 1976, P 131.

3 - FAID UDINE ATTAR : LE LANGAGE DES OISEAUX , ED/ SINDBAD ,PARIS 1982 ,P161.

4- د / ميشال زكريا : الألسنية (علم اللغة الحديث، المبادئ و الإعلام)، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط2 1983، ص24.

5- ينظر - مجلة الحياة الثقافية، ص 67.

مجموعة من الرسائل (1). و للجسد لغة (2) تكمن في إيماءاته و غيرها من الحركات الذي يؤديها. فإن للوشم لغة لها نظام دلالي خاص شأنها شأن الميثوغرافيا (3) MYTHOGRAPHIE التي تعتمد في قراءتها على البيكتوغرافيا والإيديوغرافية (4). و تظهر لغة الوشم في نقطتين أساسيتين :

1- التعبير ويشمل الكتابة، الرمز و الإشارة.

2- الفن.

1- الوشم تعبير:

إذا كانت النقوش على الصخور من رسومات حيوانية وبشرية تعبيرا عن الحياة اليومية لإنسان ما قبل التاريخ (5)، و الأشكال الهندسية التي تزخر بها الزربية تعبيرا عن طلسم تشكيلي تنفرد به نساء شمال إفريقيا أو رسالة سلفية تريد بها البقاء و الخلود في وسط اجتماعي نسوي (6)، و إذا كانت حركات الممثل على خشبة المسرح تعبيرا عن مضمون السيناريو من كوميديا أو دراما، علما أن الشخصية هي رمز المسرح (7)، كما يعتبر الندب أو التشليخ المستعمل من طرف ذوي البشرة السوداء تعبيرا عن الحداد (8)،

1 - DAN SPERBER : LE SAVOIR DES ANTHROPOLOGUES, ED / HERMANN PARIS 1982, P94.

2- بيار آلان، ترجمة سمير الشيخاني : لغة الجسد (كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم)

3- DUCROT OSWALD ET TZVETON TODOROV : DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE DES SCIENCES DU LANGAGE, ED / DESEUIL PARIS 1972, P240.

4 - A. KHATIBI, LA BLESSURE DE NOM PROPRE, ED / DENOEL , PARIS 1973, P 70.

5 - MALIKA. HACHID : LES PIERRES ECRITES DE L'ATLAS SAHRAOUI , ENAG ALGER 1992, P 152.

6- ينظر مجلة الحياة الثقافية، ص 67.

7- تسعديت آيت حمودي : أثر الرمزية في مسرح توفيق الحكيم، دار الحدادة، بيروت 1986، ط1، ص 34.

8. WILLIAM CARRUCHE : TATOUGES ET TATOUES , ED/ TCHOU ,PARIS 1977 , P 19.

و الطلاء على الجسم عند الهنود تعبيرا عن الفرحة و السرور أو النصر(1). فإن للوشم تعبيرا لدى مجتمع شمال إفريقيا، تختلف دلالاته من الذكر إلى الأنثى كما تختلف أشكاله التعبيرية و التي ارتأينا أن نقسمها إلى ثلاث عناصر:

1-التعبير المتعلق بالكتابة الموشومة التي باستطاعتنا قراءتها بدون تعقيد

و تكون عادة باللغة الأجنبية.

2-الرمز.

3-الإشارة.

1-الكتابة Ecriture:

و هي الكتابة الموشومة التي تجدها في صيغة جملة أو كلمة أو الأحرف

الأولى Les initiaux أو حرف lettre.

1-الجملة:

و نجدها موشومة عادة باللغة الأجنبية كأن يكتب " Vive la patrie " ليعبر

عن الحنين إلى الوطن أو حبه الدائم له لأن تجسيد تلك الكتابة على جسمه معناه تخليدها و جعلها أبدية.

و هناك تعبيرات أخرى في صيغة جمل منها التي عثرنا عليها خلال

دراستنا الميدانية و هي عبارة كاملة موشومة على ذراع أحد الأفراد كانت لنا

معه دوما صلة حيث تظهر باللغة الأجنبية " MOUSSA NE PARDONS PAS " (في

غياب الصورة) فمن خلا قراءتها نستنتج أن حاملها رجل بيده سلطة لا

يتسامح مع كل من قام بمخالفة شأنه شأن الشرطي و الدركي. و لكن

الحقيقة غير ذلك، حيث روى لنا صاحبها أن العبارة الموشومة تعود إلى

1- IBID , P 26.

الأربعينيات، لما كانت أفلام الوستارن آنذاك تسيطر على السينما الجزائرية، فهي تعكس عنوان فيلم كان يحبه و هو "RINGO NE PARDON PAS" فتأثره بشخصية "RINGO" البطل في الفيلم جعله يأخذ العنوان نفسه و استبدل اسم البطل باسمه الشخصي، ثم قرر أن يشمها على ذراعه لتبقى أبدية و يتباهى بها في وسطه الاجتماعي كأنه البطل الحقيقي الذي يتحدى كل من اعترضه.

ب-الكلمة الموشومة:

يدعو الخاطبي هذا النوع من الكتابة بالإيديوغرافية التي قال عنها كتابة بالكلمات (1) و يلاحظ أن الكلمة الموشومة تنتشر عند الذكر، حيث تتموضع على الذراع أو الساعة و أحيانا على اليدين. و قد تكون تعبيراً عن اسم عاصمة أو اسم شخص أو معشوقته، و قد تكون تعبيراً عن أشياء أخرى. و من خلال دراستنا الميدانية التقطنا صورة فوتوغرافيا لساعد أحد الأفراد و شمت عليه كلمة "FREEDOM" (انظر الشكل رقم 01)، إنها كلمة فهمها صعب , و ليس في متناول كل ناظر أن يعرف معناه غير أن صاحبه أفادنا بأن هذه الكلمة تعني بها الإنسان الحر و هي شائعة لدى شريحة المتحولين HYPPE فهو تعبير عن الحرية في التجول أو عدم الاستقرار في مكان معين.

ج-الأحرف الأولى: Les initiaux:

تظهر في شكل عبارة ملخصة في أحرف بجدها موشومة على الجسم فهي لغز لا يفهمه إلا صاحبه لأن مضمون العبارة يظهر من خلال قراءة تلك

1 - A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENOEL , PARIS1973, P 70.

الأحرف الموشومة و الأمثلة عديدة في هذا الشأن منها " M.A.T " و دلالتها " أمي قبل كل شيء MAMAN AVANT TOUT "

د- الأحرف Lettres alphabétiques:

تعتبر الأحرف الموشومة كذلك تعبيرا يدور في نفسية الشخص يصعب علينا معرفة دلالتها. و قد ظهر هذا النوع في شكل أحرف عفوية عند المرأة التونسية من بينها الحرف " M " و " L " الموجودة على الفخذ (1) و الغرض منها تزييني شأنها شأن الأشكال الهندسية كما وجد الحرف " M " على بعض الأواني الفخارية عند القبائل الكبرى بالجزائر، فهم لا يعرفون مدلوله إنها مجرد زخرفة. (2) و يلاحظ أن الأحرف الموشومة تشيع عند الذكور إذ نجدها في المجتمع الجزائري بارزة على الكتف، الذراع و الساعد و اليد أحيانا. (انظر الشكل رقم 03 و 06)

2- الرمز:

يعتبر الرمز الوسيلة التعبيرية الوحيدة التي يملكها الفرد لكي يشكل حقيقة عاطفية معقدة يصعب التعبير عنها بصفة مباشرة، كما تطلق عبارة الرمز في التحليل النفسي على تلك الرابطة و العلاقة الثابتة بين بعض العناصر الصامتة للحلم التي لا تعطي مجالا للتداعيات (3). كما تتجلى في الأحلام (4) و الخرافات و الميتولوجيا (5) كالحرم (Tabou) الذي يصادفنا كثيرا في

1 - GOBERT : REMARQUES SUR LES TATOUAGES DU NORD AFRICAIN , REVUE AFRICAINE 1956, P 512.

2 - IBID , P 509.

3 - JACQUES CHAZANO : LES 50 MOTS CLES DE LA PSYCHANALYSE ,ED/ PRIVATE ,PARIS 1973 ,P150 ,151.

4 - PIERRE DACO : LES TRIOMPHEs DE LA PSYCHANALYSE , ED/ MARABOUT SERVICE ,PARIS 1968 , P 322.

5 - MARCEL MAUSS : ANTHROPOLOGIE ET SOCIOLOGIE , ED/ PUF ,PARIS 1950 ,P 300.

"بولونيزيا" و شمال إفريقيا فهذا الطقس يمثل غريزة لشخصية قوية تدافع عن نفسها و عن كل شيء غير أنه رغم التشابه الموجود بين الرموز الأكثر عمومية، فإنه من المستحيل تكوين قاموس عالمي لها لأن لكل فرد رمزيته الخاصة به (1) و لهذا فمن الضروري اللجوء إلى تداعيات الأفكار لإيجاد أو كشف المعنى الخفي للأحلام أو فلتات اللسان (2) و للإشارة فإن الرمزية أدخلت في طرق الاتصال غير الشفوية فأصبحت مجسدة على الجسم البشري عن طريق الوشم و هي كثيرة متعددة تختلف من فرد إلى آخر فالحمامة رمز للحرية و القلب رمز للحب و الوردة للسعادة والأمل و الأمثلة عديدة إذن فالرمز حل محل الرسالة (3) التي تحتوي على الدلالة الوضعية الموجهة للآخرين الذين يستوجب عليهم فك هذه الرموز المشومة على صاحبها الذي عجز التعبير عنها صراحة.

و الغالبية من الناس الذين لا يفهمون ما يعبر عنه هذا الجسم المشوم إنهم حتما لا يتأثرون بمضمون هذه الرسالة اللاشعورية، و أما من يفهمونها فإنه يتأثر بها ويعرف لما اختار الشخص الوشم كطريقة للاتصال. و في غالب الأحيان يتعذر على المتلقي فهم محتوى الرسالة كتلك الموجودة عند شريحة السيكوباتية أو الإطلاع على محتواه الحقيقي لأن الرموز تخفي حقائق لا يعلمها إلا صاحبها و هذا ما أكده الباحث " أوندري جيد Andre Guide " بقوله: " أن الحقائق مخبئة وراء الأشكال الرمزية. . . " (4).

1 - NOBERT SILLAMY : DICTIONNAIRE DE LA PSYCHANALYSE , ED/ LAROUSSE PREMIERE ,PARIS 1969 ,P 291 ,292.

2 - JACQUES CHAZANO : LES 50 MOTS CLES DE LA PSYCHANALYSE ,ED/ PRIVATE ,PARIS 1973 ,P 150.

3- د / محمود عودة : أساليب الاتصال و التغير الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، د. ت، بيروت، ص 15.

4- د/ إسماعيل رسلان : الرمزية في الأدب و الفن، د. ت، بيروت، ص 106.

كما نلاحظ أن الرمز أصبح مظهرا من مظاهر الجمال فهو لا يندفع من العمق الإنساني و ليس تعبيرا عن رغبات مكبوتة و إنما هو شكل لجأت إليه نساء مجتمعا العربي تعبيرا عن الزينة (1) و توضع على الأعضاء البارزة من الجسم، فنجدها على سبيل المثال على شكل نقطة على الخدين و خط مستقيم على الجبهة أو الدقن أو غيره من الأعضاء، و استعملت بعض الرموز كعلامات لتمييز قبيلة عن أخرى (2)، و استعمل في العهد الاستعماري على جباه الأطفال خشية الضياع و تسهلا لتمييزهم عن غيرهم (3). و أخيرا نقول إن الرمزية تلتقي مع التعبيرية في رفضها للمظاهر الخارجية باعتبارها أنها تسعى للتعبير عن الحقيقة الكامنة داخل النفس البشرية (4). بمعنى أن الرموز الموشومة على أعضاء الجسم هي حقيقة موجودة داخل نفسية الشخص و الشيء نفسه بالنسبة للأشكال الأخرى كالقلب، الورد و غيرها.

3- الإشارة:

لقد اختلفت الآراء حول معنى الإشارة فيذهب عادل الفاحوري إلى أنها فعل دلالي أو علامة فعلية (5) أي فعل له ما يفسره، فهو علامة حقيقية موجودة في الواقع و هناك رأي آخر يعتبر الإشارة كل حركة جسمية اكتسبت معنى خاصا و تتضمن شكلا من أشكال الاتصال كما يتراوح هذا الشكل التعبيري بين الحركة اللاإرادية لليد (6) إلا أن هذه الإشارات ذات

1-د/ عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان 1969، ص 189.

2-دولة موسى : الوشم دراسة اجتماعية -ثقافية، مجلة التراث الشعبي، ع 11، دار الجاحظ للنشر، بغداد 1979، ص 53.

3 - E. DAUMAS : MOEURS ET COUTUMES DE L'ALGERIE ,ED/ SINDBAD ,PARIS 1988 , P 151.

4-د/ رشاد رشدي : نظرية الدراما من أرسطو إلى الآن، مكتبة الأجلو المصرية، 1968، ص 179 -180.

5-د/ عادل فاحوري : علم الدلالة عند العرب (دراسة مقارنة مع الشياء الحديثة)، دار الطبيعة، بيروت، د.ت، ص 34.

6-د/ محمود عودة : أساليب الاتصال و التغير الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، د.ت، ص 24.

دلالة نفسية و اجتماعية بمعنى أنها قابلة للتفسير. و قد اكتشف التحليل النفسي أن أغلب الإشارات و الحركات اللاإرادية ذات دلالة من حيث هي تعبير حتمي عن انفعالات و رغبات مكبوتة في اللاشعور.

كما أن الإشارات و الإيماءات و كذا الأنساق اللغوية هي المجال الأساسي التي تستقي منه عملية الاتصال رسائلها، و تفهم في ضوءها المعاني المختلفة لهذه الرسائل (1) علما أن الرسائل عبارة عن إشارات. و الإشارة علامة تعبر عن شيء ما في مجال الخبرة. و لكن لنعد قليلا إلى الوراء، حيث تدخل الإشارة ضمن الاتصال و خاصة غير الشفوي، فهي عنصره الأساسي لفهم مضمونه الذي يعتبر كتابة إشارية سواء أكانت على حائط، صخور أم جسم بشري، و هنا يصعب الأمر بالنسبة للاتصال غير الشفوي حيث تغوص في عالم آخر ألا و هو عالم الوشم الذي تسيطر فيه الكتابة الإشارية التي يرى فيها الباحث "مالك شبل" أنها مستوحاة من فلسفة الشخص في الحياة (2) فهو يربط الوشم بالكتابة الإشارية التي كانت سائدة في عصور ما قبل التاريخ من جهة ثم بفلسفة الشخص في الحياة من جهة أخرى، علما أن هذه الأخيرة لها قواعد وليست في متناول كل شخص و لهذا يجب تحليل النص من خلال عناصرها : الكتابة الإشارية و فلسفة الشخص في الحياة.

أ- معنى الكتابة الإشارية : هي إشارات تعارفت عليها مجموعة من الفئات الاجتماعية للاتصال فيما بينها. و تعتبر الهيروغليفية إحدى الكتابات الإشارية التي وضعها جمع من الكهنة في بلاد مصر القديمة (3) كما استعمل

1- المرجع نفسه، ص 24.

2- M. CHEBEL : LE CORPS DANS LA TRADITION AU MAGHREB , ED/ PUF , PARIS 1984, P151.

3- و يل ديورانت، قصة الحضارة، الجزء 02 بيروت، د.ت، ص 170.

هذا النوع من الكتابة سكان ليبيا القدامى و عرفت بالكتابة الليبية Ecriture lybique (1) ولازال أثرها مجسدا على صخور الطاسيلي.

و الشيء الذي يؤكد بروز الكتابة الإشارية عبر الحضارات هو كونها إحدى عناصر الميتوغرافيا التي بدورها تعد إحدى القواعد و المبادئ الأساسية للكتابة (2) المؤلفة من أنظمة إشارية ذات طابع وقي كإشارات العمل الموضوع على الطريق المرتبطة بنهاية العمل، و دائم كإشارات المنوعات الموضوع على الأرصفة باللون الأبيض و الأحمر (3) التي ينظمها دليل الطريق de la المتفق عليها. ممنوع التوقف.

و هذه الأنظمة الإشارية هي محل اللمس و النظر (4). ولا تزال الإشارة وسيلة للاتصال عند الفئة العسكرية فهي ليست في متناول أي شخص بل لها مختصون يقومون بها و تدرس في المدارس العسكرية، وهناك من يستعمل الإشارية في الرسائل السرية و تعرف ب مورس MORCE الذي يكشف عنه المرسل إليه. و لكن الغريب في الأمر هناك من لجأ إلى تسجيل هذه الكتابة الإشارية على أعضاء جسمه البارزة بطريقة تجعلها أبدية تعبيرا عن أشياء مكتوبة و انفعالات جسدت و شما.

ب- فلسفة الشخص في الحياة: لا شك في أن لكل شخص فلسفة في الحياة، فالفرد منذ وجوده في هذا كون راح يهتم بذاته و يبحث عن ماهية و معرفة جوهرها و الإحاطة بالأمور المحسوسة.

1- المرجع نفسه، ص 170.

2 - OSWALD DUCROT ET TZVETA TODOROV : DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE DES SCIENCES DU LANGAGE, ED/ DU SEUIL , PARIS 1972 , P 240.

3 - LUIS J- PRIETO : PERTINENCE ET PRATIQUE (ESSAI DE SEMIOLOGIE) , ED/ MINUIT, PARIS 1978 P 31.

4 - OSWALD DUCROT ET TZVETAN TODOROV : DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE DES SCIENCES DU LANGAGE , ED/ DU SEUIL , PARIS 1972 , P 241.

إن الفلسفة الشخصية أو ما يصطلح عليها بالفلسفة العفوية ميزة لكل شخص، فهي نتاج عوامل عديدة و متنوعة بعضها موروث و البعض الآخر مكتسب. هذا التنوع الذي يعود في الأصل إلى النفس البشرية (1) جعلنا نعتقد أن جميع السلوكات و الإبداعات و النشاطات قد اعتاد عليها الأشخاص و أصبحت ملزمة عليهم في حياتهم اليومية تعتبر فلسفة لأنها صادرة من العقل الباطن للشخص (2) كما يظهر الوشم في إطار كتابة إشارية أبدعها الشخص من خلال أفكاره التي لا يمكن أن تكون منفصلة عن وسطه الاجتماعي. إلا أن الإشارة قد تنفرد في عالم الوشم بدون صياغتها الكتابية و هذا ما أشار إليه الرسام المغربي "الشرقاوي" حينما وصف الوشم أنه عبارة عن إشارات ذات طابع رمزي تشبه تلك المستعملة في صناعة الزرابي (3) فهنا أخذت الإشارة الطابع الرمزي و ليست هي الرمز ذاته لأنهما يختلفان من حيث التعريف و المفهوم (4) و لو أنهما يعتبران من عناصر الاتصال و لكن يبقى السؤال مطروحاً متى يكون الوشم عبارة عن إشارات طابع رمزي؟ و ما هي الصورة التي يظهر بها؟.

إن الناظر إلى أشكال الوشم على جسم بشري ما يصفها حتما بأنها رموز أو إشارات فهي لا تخرج عن هذين النطاقين بحيث لا يمكن أن يصف الشكل الموشوم بالمفهومين معاً لأنه يبدو له غير منطقي و لكن نظرة الرسامين و المفكرين تختلف عن تلك التي يتميز بها الشخص العادي، فالفلاسفة يجمعون بين اللذة و الألم في جسم واحد و الرسامون يجمعون بين الملموس

1- الموسوعة الطبية: المجلد 14، Genève، EDWANDER SA، 1991 / ص 2503.

2- د/ علي عبد المعطي محمد: مقدمات في الفلسفة، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 35.

3 - A. KHATIBI : MAGHREB PLURIEL , ED/DENOEL , PARIS 1983 , P 218.

4- د/ محمود عودة: أساليب الاتصال و التغير الاجتماعي، دار النهضة للطباعة و النشر، بيروت، د. ت، ص 22.

و المجرد على لوحة واحدة و غيرها من الأمثلة. و لهذا نحن بصدد مقولة الرسام شرقاوي حيث يقصد بالإشارة العلامة التي يختارها الشخص و يضعها على جسمه رامزا بها شيئا معينا، فالصليب الموشوم على مناخر فتيات منطقة القبائل، يعتبر إشارة و لكنه يرمز إلى الأثر المسيحي في المنطقة (1) وهناك من يعتبره مثلا على قوة الرموز الجبارة في بعث العواطف و الأفكار العميقة و التأثير على الفكر و السلوك (2) و الأمثلة عديدة في هذا الشأن. و من هنا نستنتج أن الإشارة التي تكلم عنها الرسام شرقاوي (3) ما هي إلا علامة يضعها الإنسان على جسمه.

III- الوشم فن:

إن الفن ذو نشأة فردية و عاطفية بحتة إذ هو تعبير صادق عن أحاسيس الفرد و انفعالاته إزاء الطبيعة و الآخرين بحيث تكون النفس المعبرة هي أساس التفاعل و شرطه. فإن كان الفنان يملك القدرة على التعبير عن هذه الأحاسيس بالكلام المتثور قال نثرا و إن كان يستطيع أن يعبر بكلام موزون و مقفى قال شعرا و إن كان ما يعترى جوانب نفسه يتجاوز قدرته على التعبير فإنه يتجه إلى درجة أعلى و هي الموسيقى التصويرية (4) أو إذا أراد أن يعتبر بأسلوب آخر أكثر وضوحا فإنه يعتبر بالرسم (5) مستدعيا يده التي تشكل الأداة الماهرة و العنيدة لإنجازاته (6) علما أن هذا الأخير يشكّل وظيفة دلائلية

1 - E. DAUMAS : MOEORS ET COUTUMÉS DE L'ALGERIE ,ED/SINDBAD, PARIS 1988 ,P 155.

2- د/ محمد أبو زيان فلسفة الجمال و نشأة الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1988، ص 167.

3 - ROBERT E. MULLER : L'ART D'INVENTER , ED/ NOUVEAU HORIZON , PARIS 1965 ,P 42.

4- د/ محمد أبو زيان : فلسفة الجمال و نشأة الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1988، ص 167.

5 - ROBERT E. MULLER : L'ART D'INVENTER , ED/ NOUVEAU HORIZON , PARIS 1965 , P 42.

6- روني هوع : معنى الفن و مصيره، ج 01، طبعة فلاماريون، باريس 1967، ص 22 - 23.

(1) أو النحت أو الوشم إن أراد لتعبيره البقاء و الخلود. غير أنه إذا اعتبرنا أن الفن لغة الوشم أو بمعنى آخر الوشم فن فأين يكمن طابعه الفني؟ و ما هي السمات الفنية التي تظهر في أشكال الوشوم؟ هذا ما سوف نتعرض إليه من خلال عرض القيم التشكيلية للفن و مقارنة الوشم مع بعض عناصر الفنون التشكيلية الشعبية : فن الزربية، الرسم، النقش.

1- القيم التشكيلية في الفن والوشم:

إن المعيار التشكيلي البحث هو الوسيلة التي تمكن الباحث من معرفة مظاهر الجمال التي يتميز بها أي فن من الفنون دون الاهتمام بمضمونه. فمن خلال قيمه و عناصره التشكيلية التي تتمظهر كما يلي :

أ- الخط: من أهم العناصر التشكيلية نظرا لصفاته الكامنة التي تتيح له القدرة على التعبير عن الحركة و الكتلة وهو لا يعبر عن الحركة بمعناها المرتبط ببعض الأشياء المتحركة فقط، وإنما بمعناها الجمالي الذي ينتج حركة ذاتية تجعل الخط يتراقص في رونق مستقل عن أية غرض إنتاجي (2) و إذا تتبعنا وظيفة الخط في عالم الوشم نجد أنه يلعب دورا أساسيا فهو الشكل الذي طور الوشم بعدما كان مقتصرًا في بداية الأمر على النقطة (3) أو مجموعة من نقاط، فنجد الخط الموشوم على جباه النساء في شمال إفريقيا و الرجال أحيانا أو على الدقن الذي يعرف عند المرأة الأوراسية بالسنبلة (4) و نجد في منتجات الفن العربي نمطين من أنماط الخط:

1 - JEAN PIAGET ET BARBEL INHELDER : LA PSYCHOLOGIE DE L'ENFANT , ED/ PUF ,PARIS 1966 P50.

2- أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي، دار المعارف، مصر، 1969، ص 102.

3- ليث الخفاف : وشم الحنك، مجلة التراث الشعبي، العدد الثالث و الرابع، السنة العاشرة، دار الجاحظ للنشر، بغداد 1979 ص 73.

4 - MATHEA GAUDRY : LA FEMME CHAOUIA DE L'AURES (ETUDE SOCIOLOGIE BERBERE) ,ED/ PAUL GEUTHNER ,PARIS 1929 , P 150.

- الخط المنحني الطياش: الذي يدور هنا و هناك متجولا في حرية و إطلاق في حدود المساحة المخصصة للزخرفة و هو لا يخرج عليها و الشيء نفسه نجده موشوما عند المرأة العراقية (1) و كذا المرأة البولونيزية، فيبدأ الخط من الشفة السفلى و يمر على الحنك ثم يتفرع في منطقة الصدر حتى يصل إلى البطن أين يشتبك و يعطي صورة زخرفية. كتلك الموجودة على الزريية و الأواني الفخارية و يعرف هذا النوع من الوشم في المغرب بالسيالة (2) و نلاحظ أن الخط المنحني يعطي إحساسا بالانطلاق و الاستمرار إلى ما لانهاية، يقف أحيانا وقفة قصيرة عند انتفاخه و لا يلبث أن يستمر كالساق أو سعف النخيل أو الخط الشعاعي الموشوم على جسم المرأة المغربية. (3)

- الخط الهندسي: وظيفته تحديد مساحات تتكون منها حشوات تتجه نحو الدقة و الصغر كلما ازدهر الفن و تضم هذه الحشوات زخارف خطية لينة من النوع الأول و في أغلب الأحيان تأخذ هذه الحشوات أشكال نجمية و مضلعة ذات زوايا كالمعين و المثلث نجدها منتعملة في فن الزرابي (4) و لها دلالة عند المرأة المغربية و حسب رأي الرسام المغربي "سجلماسي" أن المربع يرمز إلى المنزل و المعين إلى العين و المثلث يرمز إلى الفول (5). و لهذه الأشكال حضور في عالم الوشم، فنجد على سبيل المثال المرأة القبائلية تميّز نفسها عن النساء الأخرى بواسطة أشكال هندسية موشومة تضعها على بعض أعضاء جسمها، فإذا كانت تحمل و شما على شكل مثلث متساوي الأضلاع موشوما

1- ليث الخفاف : وشم الحنك، مجلة التراث الشعبي، العدد الثالث و الرابع، السنة العاشرة، دار الجاحظ للنشر، بغداد 1979، ص 47.

2 - A. KHATINBI LA BLESSURE DU NOM PROPRE , ED/ DENOEL .PARIS 1973 , P 88.

3 - IBID , P 79

4- بنظر - مجلة الحياة الثقافية، ص 79.

5 - M. SIJELMESSI : LA PEINTURE MAROCAINE .ED/ J. P TAILLANDIER ,PARIS 1972 ,P 177.

ما بين العينين من الأسفل إلى الأعلى فهي من سكان أعالي الجبال، أما إذا كانت واثمة بنجمة خماسية على الخد الأيمن و كذلك نقطة على الأصبع (1) فهي من القبائل السفلى.

و الشائع أن الخط الهندسي يعطي إحساسا بالاستقرار و الثبات حيث يقول "قيث" إن الزخرفة الهندسية تردنا إلى السكون و الاستقرار (2) و يقوم الخط بوظيفة أخرى وهي سلب صفة التجسيم عن بعض الأشكال الآدمية و الحيوانية أو الكتل و تحويلها إلى عنصر زخرفي كما هو الشأن في صناعة الزرابي و زخرفة الأواني الفخارية و الخزف، حيث يتصف بالخفة و الرشاقة و هكذا بسط الخط سلطانه و أقر ذاته و أعطانا من التنوع في مظاهر جماله المطلق ما لا نجد في فن من الفنون.

ب- اللون: إنه صفة طبيعية من صفات الأشياء و لا يمكن رؤية اللون في الظلام، فهو مرتبط أشد الارتباط بالنور و إن مصدر جمال كثير من الأشياء مستمد من ألوانها. لذلك كان للألوان غذوبتها وجمالها الخاص كما أن هناك استعمالات مختلفة للألوان في العمل الفني منها استعمال اللون لذاته أي لقيمته الجمالية الخاصة و هناك استخدام اللون استخداما رمزيا كما هو الشأن عند الرسامين و يستعمل اللون كمحاكاة النموذج و إبراز طبيعته و حجمه في الحيز و المكان (3) كما هو الشأن بالنسبة للوشم الذي يبرز من خلال لونه الأخضر أو الأزرق و هما من الألوان العالمية التي يجسد بها الوشم على الجسم كما تعرضت لها معظم التعريفات الاصطلاحية للوشم (4). غير

1 - J. N. PROBEST : LES TATOUAGES TRADITIONNELS DES INDIGENES ALGERIENS ,ED/ JOANNES DESVIGNE ET SES FILS EDITEURS , PARIS 1932 ,P 117.

2- د / أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي، دار المعارف، مصر 1969، ص 102.

3- د/ أبو صالح الألفي : الفن الإسلامي ، دار المعارف ، مصر 1969 ، ص 105.

4- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم : لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت، ج 09، بيروت، ص 638.

أن هناك بعض الأوشام المؤقتة كالحناء (1) التي تأخذ اللون البرتقالي و الحرقوس المستعمل كثيرا عند المرأة المغربية (2) الذي يأخذ اللون الأسود تزول بتعرضها لعنصر الماء يوميا.

2- مقارنة الوشم مع بعض عناصر الفن التشكيلي :

و بناء على خصوصيات الفن التشكيلي يبدو أن الوشم لا يخلو من هذه الخصائص التشكيلية خاصة إذا ما حاولنا مقارنته مع بعض عناصر أو أنواع الفنون التشكيلية الشعبية كالزربية و النقش و الرسم و التي سوف نعرضها كما يلي:

أ- الوشم و الزربية:

لقد حاولنا أن نحدد علاقة الوشم مع فن الزربية من خلال النقاط التالية:

- من حيث النشأة: تعتبر الزربية ذو نشأة ريفية (3) شأنها شأن الوشم (4)، كما أنها قديمة قدم الوشم على وجه هذه المغمورة حيث كانت لها مكانة في العهد الفرعوني (5) فكان يوشم على ظهر الميت إشارة خاصة لتمييزه عن الآخرين عند الفراعنة (6) و إن الأشكال الموشومة الموجودة على الموميات للدليل على قدم ظاهرة الوشم.

1 - A. KHATIBI , LA BLESSURE DU NOM PROPRE ,ED/ DENOEL ,PARIS 1973, P10.

2 - IBID , P 110.

3 - M. BDJEUI : ARTS POPULAIRE RUREAUX , ALGER 1975 , P 28.

4- ليث الخفاف : وشم الخنك، مجلة التراث الشعبي، العدد الثالث و الرابع، السنة العاشرة، دار الجاحظ للنشر، بغداد، 1979، ص 47.

5 - M. BDJEUI : ARTS POPULAIRE RUREAUX , ALGER 1975 , P 27.

6-د/ عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1969، ص 187.

- من حيث الممارسة: إن ممارسة صناعة الزرابي تنفرد به النساء عادة (1) و نادرا ما نجد اهتمام الرجال بهذه الحرف و يعتبر الوشم ممارسة يطغى عليها الجانب النسوي، فإذا ما بحثنا في الوسط الجزائري عن الجسم الموشوم فنجد أكثره نسوي أما عن تلك الوشوم التي يحملها أجسام الرجال فهي مرتبطة بالانحراف خاصة عند السجناء و شريحة السيكوباتية، فهي على العموم عملية عصابية أما إذا أخذنا شريحة الوشامين في المجتمع الجزائري فهي مجموعة من النسوة تعرف بالنائليات و العامريات باستثناء المرأة الأوراسية التي تشم جسمها بنفسها (2)، أما عند فئة الرجال فنجد الوشم عبارة عن عملية جماعية.

- من حيث التقنية : إن التقنية المستعملة في صناعة الزرابي تكمن في تلك النقاط المعقدة (3) تتخذ ألوانا مختلفة و الشيء نفسه بالنسبة لظاهرة الوشم فهي تعتمد أثناء ممارستها على الجسم البشري الذي يخضع لعملية الغرز بالإبر أو نحوها (4) فكل وخزة على الجلد تصبح نقطة ثم تصبح هذه النقاط خطا و من هنا كانت نظرة العرب للوشم أنه كتابة بالنقاط. (5) أما من حيث الأشكال فنرى أن صناعة الزرابي تعتمد على الخطوط الهندسية، كالمربع و المعين و المثلث و الصليب و الخطوط المتوازية التي تزخرف بها الزرابي الأغواطية (6). إذن فالزربية خريطة للرغبات التي تعوقها غريزة الألوان و عقدها الهندسية داخل لا شعورنا و أحلامنا وهذا على حد قول النزعة

1- ينظر - مجلة الحياة الثقافية، ص 67.

2 - JOURNAL : EL WATAN DU 16/10/1994 , P 13 ,, APS.

3 - M. BDJEOUI : ARTS POPULAIRE RUREAUX , ALGER 1975 , P 28.

4- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت، بيروت، ص 638.

5- A. KHATIBI , LA BLESSURE DU NOM PROPRE ,ED/ DENOEL ,PARIS 1973 ,P 69.

6 - M. BDJEOUI : ARTS POPULAIRE RUREAUX , ALGER 1975 ,P 36.

السريالية التي ترى في الفن أنه ينبع من العقل الباطن و من الأحلام (1) كما يعتبر الجسم البشري فضاء تسبح فيه الرموز و الإشارات نابعة من أعماق الشخص نفسه معبرا عن السعادة أو التشاؤم. وللأشكال الهندسية في عالم الوشم قديمة فلقد وجدت عند السكان الليبيين القدامى حيث عثر على أو شام عبارة عن خطوط مز دوجة و سلسلة من المعينات (2) كما لوحظت هذه الأشكال عند نساء مجتمعنا الجزائري، خاصة المرأة الأوراسية و القبائلية، فنجد الأوراسيات يحملن شكل المعين على خدودهن، أما القبائليات فيضعن المثلث المتساوي الأضلاع ما بين العين و النجمة الخماسية على الخد الأيمن للتمييز القبلي و الصليب الذي يوشم على مناخر الفتيات الصغار (3) كما كان يوشم على جباه أطفال اليهود المغاربة. (4)

إن اللون هو العملية الأخيرة التي تعطي للزربية طابعها الجمالية غير أنها تفرض في واقعها أن يكون الصباغ ذو تجربة (5) كما تبرز أشكال الوشم بلونها الأخضر أو الأزرق الذي يكون ناتجا عن مواد أو وسائل معدة لذلك. تستغرق صناعة الزرابي وقتا زمنيا يتراوح ما بين أسبوع أو شهر أو أكثر و الشيء نفسه بالنسبة للوشم قد يدوم أكثر من أسبوع و خير مثال على ذلك تلك اللوحة الفنية التي جسدها أستاذ الوشم الشهير " يوشيهيتو ناكاتو" على جزء كبير من الجسد و الذي أنجزها مستغرقا حوالي سنتين (6).

1- د/ تيسعديت أبت حمودي : أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، دار الحداثة، ط 01، بيروت، 1986، ص 37.

2 - GOBERT : REMARQUES SUR LES TATOUAGES DU NORD-AFRICAINE , REVUE AFRICAINE 1956 P 509.

3 - E DAUMAS : MOEURS ET COUTUMES DE L'ALGERIE ,ED/ SINDBAD ,PARIS 1988 ,P 151.

4 - A. KHATIBI , LA BLESSURE DU NOM PROPRE ,ED/ DENOEL ,PARIS 1973 ,P 81.

5 - M. BEDJAOU : ARTS POPULAIRE RUREAUX , Alger 1975 , P 21.

6- مجلة العربي فبراير 1995 وزارة الإعلام الكويت ص 184.

ب- الوشم و النقش:

إن الغرض من مقارنة الوشم بالنقش كونه إحدى عناصر الفنون التشكيلية (1). و لهذا يجب إبراز التشابه في ممارسة فن النقش على الخشب و الصخور من جهة وعلى الجسم البشري من جهة أخرى، علما أن الوشم نتاج وخزات في الجلد تنقش بواسطة عظمة مذبية النهاية أو إبرة مغموسة بمزيج يترك أثرا على الجلد (2).

إن الحديث عن النقوش من منظورها الفني و أرضيتها الأكثر تلاثما حاليا يستدعي الوقوف عند الفن الصخري بشمال إفريقيا (3) و خاصة تلك النقوش التي لازالت تؤكد على تواجد حضارات سابقة في عصور ما قبل التاريخ (4) المنتجة بالأسلوب الطبيعي نجدها منتشرة في منطقتي ليبيا و مصر و يلاحظ أن في نفس الفترة كان الوشم سائدا مما أدى ببعض الباحثين يذهبون إلى الاعتقاد أن الأشكال المشومة آنذاك ما هي إلا رسومات بيكتوغرافية جسدها الإنسان ما قبل التاريخ على الصخور ثم حولها على جسمه خاصة تلك الأشكال الحيوانية المؤكدة على وجود عنصر الطوطمية (5) و يقصد بها الزينة، لأن في تلك الفترة لقد استعمل الإنسان الحجارة زينة متدللية (6)، مما يؤكد على اعتناء إنسان ما قبل التاريخ بجسمه.

غير أننا نقول أن النقش أصبح فنا تشكيليا عندما انتقل من الصخر إلى الخشب حيث أصبح يلون أثره بألوان متعددة مع تعدد أشكاله ثم عرف

1-د/ أحمد بن نعمان : الشخصية الجزائرية من منظورها الأثروبولوجي، د. م. ج، الجزائر، 1990، ص 300.

2-دولة موسى : الوشم دراسة اجتماعية - ثقافية، مجلة التراث الشعبي، ع 11، دار الجاحظ للنشر، بغداد 1979، ص 51.

3-د/ عبد الصادق صالح : الفن الصخري في شمال إفريقيا، د. م. ج، الجزائر، د. ت، ص 02.

4 - MALIKA HACHID : IES PIERRES ECRITES DE L'ATLAS SAHRAOUI ,ENAG ,ALGER 1992 , P 153.

5 - S. FREUD : TOTEM ET TABOU ,ED/ PETIT BIBLIOTHEQUE ? PAYOT , PARIS 1966 P 125.

6 - FARIDA BENOUCHE : BIJOUX ET PARURES DE L'ALGERIE , ALGER 1977 , P 07.

مسلكا آخر حيث أصبح يمارس على الجسد البشري بوسائل أخرى اخترعها
الوشام. و هكذا أصبح النقش إجراء يعتمد عليه في الوشم.

ج- الوشم والرسم:

إن العلاقة بين فن الرسم و فن الوشم واضحة فهي علاقة تكاملية بحيث
يعتبر الرسم الإجراء الأولي في عملية الوشم، فهو جوهره، فرسم الفكرة على
عضو من أعضاء الجسم البشري كاف للتعبير عليها حيث تصبح لها دلالة
معينة، لأن الرسم كما يقال يشكل الوظيفة دلالية (1).

و ما الوشم إلا النتيجة النهائية التي يظهرها بها الرسم الموجود على
العضو بلونه الأخضر أو الأزرق، و لهذا يجب الإتقان و التفنن في رسم الشكل
أولا، ثم نمر عليه بالوخز أو النقش بواسطة إبرة أو نحوها، خاصة إذا ما كان
الوشم يشمل مساحة كبيرة من الجسد كإنجاز لوحة فنية موشومة على الظهر،
ثم فإن أشهر الوشامين هم في الأصل رسامين (2) مثل ماك دونالد
و "ناكاتو" و غيرهم من الرسامين.

إذن فالوشم هو رسم أبدي منقوش على الجسم البشري ينحصر لونه في
الأخضر أو الأزرق.

و أخيرا نقول أن الوشم كشكل من أشكال النقش يحتل مكانة فريدة
فهو علامة ثابتة تنقش على الجسم البشري غير قابلة للنقل و لا للبيع كغيره
من الفنون الأخرى و لا يمكن الاحتفاظ به في المتاحف كالرسومات والنحت.

1 - JEAN PIAGET ET BARBEL INHELDER : LA PSYCHOLOGIE DE L'ENFANT ,ED/ PUF ,PARIS
1966 P 50.

2 - ROALD DAHL'S : TALES OF THE UNEXPECTED , PENGUIN BOOKS ,GREAT BRITAIN 1979 ,P
102.

الفصل الثالث : تحليل نماذج من أشكال الوشم

قراءة الأشياء مصدرها القدرة على التحليل و التمييز بين المعطيات التي تنقلها لنا العين أو الأذن، و هي حركة مزدوجة تعتمد التحليل و الاستنتاج، تحدث بمحض إرادتنا و تتم من خلال دمج مجموعة من العناصر بصورة تدريجية، كما هو الحال في الرواية (1) و الصورة المتحركة التي تعتبر لغة الأفلام (2) و غيرها من الأمثلة. و لكن هل تحدث العملية نفسها أثناء تأملنا صورة معزولة ثابتة ؟

إنّ تأمل الصورة سيميولوجيا يدفعنا في المرحلة الأولى إلى تأكيد ما يميزها ظاهريا من غيرها من الأشياء الدالة من حيث وضعها التماثلي، و شبهها المدرك بصفة جمالية مع الشيء الممثل (3)، ذلك أنّ التحليل السيميولوجي ما هو إلاّ تحليل مجموعة عناصر تتحول عن طريقها الصورة إلى رسالة، (4) تستدعي تجربة محللها لأنها تمثّل حقيقي. (5)

وقراءة الصورة الثابتة تختلف منهجيا من باحث إلى آخر، فقد اعتمد الباحث الفرنسي " بيار فريسنول PIERRE FRESNAULT " في كتابه (6) على منهج قائم على أسس واضحة، تنطلق من الشكل ضابطة سياقه التاريخي، فاحصة طبيعته و حاصرة مميزاته لتدرك المضمون في تحليّاته المختلفة. و قد وظيفه في تحليل ست و أربعين صورة مختلفة الأنواع :

1- الصورة الإشهارية (7) : اعتمد الباحث الأسس التالية :

1- PIERRE FRESNAULT-DERUELLE: L'IMAGE MANIPULEE, CH CORLET 1983, P 11.

2-C. METZ: LANGAGE ET CENIMA, PARIS, LAROUSSE 1972, P 42.

3. C / METZ : ESSAI SUR LA SIGNIFICATION AU CINEMA PARIS 'KLINCKSIECK 1971 T02 P 151

4. GUY GAUTHIER : INITIATION A LA SEMIOLOGIE DE L' IMAGE : CH CORLET 1984 P152

5. IBID P 143

6. PIERRE FRESNAULT-DERUELLE: L'IMAGE MANIPULEE, CH CORLET 1983.

7-IBID P15,26, 27, 34, 54, 55, 64, 69,70, 72, 73, 75, 93, 97, 107, 109, 114, 120.

أ- الشكل :- سياقه التاريخي .

- طبيعته .

- مميزاته .

ب- المضمون .

2 الصورة الكاريكاتورية : (1) و أهم الأسس المعتمدة هي :

أ- الشكل :- طبيعته .

- مميزاته .

ب- التأويل .

3 الألواح الزيتية : (2) و هنا يعتمد الباحث الأسس التالية :

أ- الشكل :- طبيعته .

- عناصره الخلفية .

- مميزاته (الحركة، اللون، الألبسة) .

ب- التحليل (التأويل) :- ماذا تمثل هذه اللوحة الزيتية؟

4 - الصور السينماتوغرافية (3) : أهم الأسس المعتمدة في تحليل هذه

الصور هي :

أ- الشكل :- طبيعته .

- خصائصه .

1- PIERRE FRESNAULT - DERUELLE : L'IMAGE MANIPULEE , CH. CORLET ,PARIS 1983 , P 13.

35. 39. 103. 111. 117. 121. 123. 132

2-IBID , P 12,46,139,161.

3 - IBID , P 54,55,13,114,139,153.

- سياقه التاريخي.
- تصنيف عناصره.
- ب- تحليل العناصر المركبة.
- ج- المضمون.

5- الصور العادية: (1) و من أهم الأسس المعتمدة هنا في تحليل هذه

الصور ما يلي:

أ- الشكل: أ1- المساحة و سياقها التاريخي.

أ2- العنصر الجوهري و سياقها التاريخي.

- طبيعته.

- مميزاته.

ب- التأويل (حسب العناصر المجتمعة في الشكل)

أما الباحث " جي جوتي GUY GAUTHIER "، فقد استعرض في كتابه

منهجاً وظيفه في تحليل ثمان و خمسين صورة مختلفة و هي:

1- الصور العادية: (2) و أهم الأسس المعتمد عليها هنا ما يلي:

أ- الشكل: أ1- طبيعته.

أ2- سياقه التاريخي و المكاني.

أ3- خصائصه.

أ4 - تركيب العناصر الدالة.

1- PIERRE FRESNAULT : L'IMAGE MANIPULEE , ED/ CH CORLET 1983 ,P 38. 79. 90. 140

2- GUY GAUTHIER/ INITIATION A LA SEMIOLOGIE DE L'IMAGE / CH CORLET 1984, P 15. 17.

19. 21. 51. 68. 72. 92. 93. 137. 128.

ب- التأويل.

2- الصور الإشهارية : (1)

أ- الشكل : 1أ - طبيعته و سياقه التاريخي.

2- تفكيك عناصره الدالة.

3- مميزاته.

4- تحليل العناصر و تركيبها.

ب- التأويل : مضمونها.

5- صور مرسومة (2): و هنا يعتمد الباحث الأسس التالية:

أ- الشكل : 1أ - طبيعته.

2- مميزاته.

3- تفكيك عناصره.

4- الوقوف عند كل عنصر.

5- تركيبها.

ب- تأويل الكل المركب.

ج- الخلاصة و الاستنتاج.

على أنه لا يقف عند هذا الحد بل يضيف عناصر جديدة إلى أجدية

منهجيته، يعرضها الباحث " بيار فريسنول PIERRE FRESNAULT " (3) خلال

تحليله شكلا إيقونيا مركبا، تقوم على أسس هي:

1- GUY GAUTHIER : INITIATION A LA SEMIOLOGIE DE L'IMAGÉ , ED/ CH CORLET, PARIS 1984
P 28. 57. 63. 107. 109. 115.

2- IBID , P 73,76, 77,89, 115, 119, 120.

3 - VOIR /LA METHODE DE PIERRE FRESNAULT/ DURELLE : LIMAGE MANIPULEE : CH
CORLET 1983 P 124.

أ- الشكل : أ1- وصف خلفية الشكل.

أ2- تحديد طبيعة الشكل الموشوم.

أ3- خصائصه : - عمره.

- لونه.

- عمقه.

أ4- تفكيك الشكل المركب.

ب- المضمون : ب1- تحليل كل عنصر على حدى.

ب2- دمج العناصر من جديد.

ب3- إعطاء مدلولها من خلال:

- المقول.

- المسكوت عليه.

ج- خلاصة

و سنحاول في هذا الفصل الاستفادة مما قد مه الدارسان السابقان في

معالجة نماذج من أشكال الوشم، نصنفها إلى قسمين يُنحل كل قسم منهما

إلى أنواع مختلفة و هي:

1- أشكال بسيطة:

1- نباتية.

2- حيوانية.

و هنا نعتد على أسس لتحليل هذه النماذج من الأشكال و هي: (1)

أ- الشكل : أ1- تحديد المساحة الموجودة عليها الشكل وعمرها.

أ- الشكل : أ1 - تحديد المساحة الموجودة عليها الشكل وعمرها.

أ2- تحديد طبيعة الشكل الموشوم (عمره).

أ3- خصائصه (العمق- اللون).

ب- المضمون: تحليل عناصره من خلال المقول و المسكوت عليه.

II - أشكال مركبة : تتخذ أنماط مختلفة هي:

1- ثنائي: أفعى وخنجر.

2- ثلاثي: قلب، عين و سيف.

3- رباعي: يد، أفعى، عين، و لفظ الجلالة.

المبحث الأول : أشكال بسيطة

هي أشكال موشومة تظهر منفردة على عضو من أعضاء الجسم

البشري، نجدها موشومة عند المرأة كما نجدها عند الرجل، منها :

1 - أشكال نباتية:

تتمثل في الزهرة و السنبله.

1- الزهرة :

الزهرة هي المحور الذي يحمل أعضاء التكاثر في النباتات الزهرية و قد

اتخذت أساسا لتقسيمها إلى فصائل و أجناس و أنواع لأنها العضو الثابت

التركيب في النباتات (1).

1- د/ شكري إبراهيم سعد : النباتات الزهرية : دار الفكر العربي بيروت، لبنان، ص43، د. ت.

و هي من الرموز القديمة جدا، فقد استعملتها المرأة المصرية في العهد الفرعوني على جبهتها، تعرف بزهرة " اللوتس LOTUS " (1) التي يصعب الحصول عليها لندرتها، و لها حضور في الحكاية الشعبية.

و في عهد الكلدانيين والإغريق، كانت ترسم على الأواني الفخارية. و تحتوي الكتابة القرطاجية على زهور ذات أربع أو ثمان وريقات و أحيانا ست عشرة، منظمة الواحدة إلى جانب الأخرى (2).

و الحفاظ على البيئة سلوك حضاري، يعكس حب الإنسان للطبيعة (3) أشجارها و زهورها مختلفة الألوان التي تجلب دوما أنظار بني البشر و تشدهم إليها؛ فيهرعون إلى قطفها ثم تقديمها إلى الآخر في المواقف الاجتماعية المختلفة، إنها بذلك تعكس قدسيته التي يضيفها الإنسان عليها؛ فتتخذ لديه شكل طوطم (4)، يسعى بعد غياب الزهرة عن مجاله الإدراكي إلى تجسيده على الأعضاء البارزة من الجسم، يريد تخليدها من خلال عملية الوشم التي تضيف عليها وظيفة أخرى تباين وظيفتها الطبيعية و هذا ما سنبينه من خلال قراءة أهم الأشكال الموشومة التي تحصلنا عليها عن طريق التصوير الفوتوغرافي و تتمظهر كما يلي :

أ- زهور متفرعة عن ساق واحد :

(انظر الشكل رقم 07) إنه شكل موشوم على ظهر ساعد شخص عمره 45 سنة، عبارة عن خط جعل لنفسه أرضية PLATE FORME انطلق منها

1-د/ عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية : المكتبة العصرية، صيدا، لبنان 1969 ص 205

2 - المرجع نفسه، ص 206.

3 - VOIR / GEORGES MILLANVOYE : MINI ENCYCLOEDIE DES MEDECINES NATURELLES : ED FRANCE LOISIRS PARIS 1986 P 05.

4 - S/ FREUD : TOTEM ET TABOU : ED/ PETITE BIBLIOTHEQUE PAYOT 1966 P 121.

متفرعا بادئ ذي بدء فرعين: يمينا و يسارا، كل فرع به ورقة على يمينا و زهرة في مؤخرته، ثم يستمر في هيمنته و بسط سلطانه فيترك على اليمين أوراقا تارة وعلى اليسار زهورا تارة أخرى و ينتهي بزهرة كبيرة ذات خمس وريقات.

و هو شكل بارز، ساطع اللون، ذو عمق، يؤكد على إتقان صنغته التي تمت حسب ما رواه حامله بوسائل بسيطة: إبرتان ملتصقتان، تستعمل إحداهما للوخز و الأخرى لحشو الأثر بالوسائل المعد لذلك و عادة ما يكون الحبر الصيني الذي يعطي الشكل لونه البارز. إذا هي عملية مباشرة تتم تماشيا مع الرسم الأوّلي للشكل.

و ترجع عملية وشم هذا الشكل إلى سن المراهقة، منذ ثلاث و عشرين سنة خلت في مكان كان حامله يلقي يوميا أصدقاءه الحاملين و شوما مختلفة، علما أن الوشم عملية جماعية عصابية⁽¹⁾ تنفسية، فروى حامل الشكل الموشوم أنه نقله طبق الأصل عن أحد الزملاء الذي وشمه على باطن الساعد أما أنا فقممت بوشمه على ظهر الساعد لكونه الجانب البارز من الجسم و بالتالي يلفت نظر الآخرين. إنه وشم يمثل باقة من زهور غير مصحوبة بترسيخ ليسانبي⁽²⁾ و لهذا أصبح الشكل مبهم حيث أضحت العلاقة بين الدال و المدلول نسبية أو بالأحرى منعدمة فيجب اللجوء إلى حامله للحصول على مدلول ما يحمله. لقد أفادنا صاحب هذا الشكل إن المراد منه تلك الهدية التي تقدم إلى أعز الأصدقاء أو الصديقات، فإنه يرى في الزهور المحبة و العاطفة و الحنان

1- سيغموند فرويد/ ترجمة جورج طرابيشي / النظرية العامة للأمراض العصابية / دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان 1980 ص

و السعادة، فهي بالنسبة له لا تقدر بثمن و بالتالي يجب تجسيدها على الجسم حتى نهاية العمر.

غير أن الشكل الموشوم له مدلول آخر عند المجتمع الواشم و المستوشم في الغرب الجزائري، يتمثل في الذاكرة أو التذكر و المعروفة بالأجنبية "LA PENSEE" يتذكر بها المريض في المستشفى و الميت بوضعها على ضريحه و في عالم الوشم عادة ما توشم الزهور مصحوبة بأسماء إناث أو أحرف الأولى للمعشوقة أو أحرف يوضح فيها حنانه نحو أمه (انظر الشكل رقم 06) و هنا يصبح المدلول واضح نوع ما على غرار الزهور الموشومة التي بصدد قراءتها.

و الشيء الذي نستنتجه من هذا الشكل الموشوم هو أنه يمكن تصنيفه ضمن الوشم التذكاري حيث نجد أن المستوشم كلما رفع يده و رأى الزهور أعادت له الذاكرة موضوعه المرغوب و المحبوب. والدلالة التي يمكن استنتاجها هنا هي دلالة نفسية اجتماعية.

ب- زهرة بدون ساق :

(انظر الشكل رقم 08) إنه شكل موشوم على باطن الساعد لأحد الأشخاص يبلغ من العمر 42 سنة.
إنّ تأملنا حول هذا الشكل جعلنا نعتقد أنه عبارة عن بخط جعل لنفسه دائرة صغيرة و منها انطلق في تكوين منحنيات تظهر لنا في صيغة وريقات و من بينها ما هي مزدوجة (مضغفة).

و هكذا انتهى هذا الخط بزهرة منفردة ذات الوريقات الخمسة. إنّ هذا الشكل ذو عمق نظرا لبروز لونه الأخضر و هذا يعود للتقنية التي وظفت فيه

حيث استعمل حامل الوشم إبرتين ملتصقتين لنقش الرسم الأوّلي حاملة معها الحبر الصيني الذي يحشى مباشرة بعد عملية الوخز. و رغم عمره الذي يقدر ب 23 سنة إلا أنه لازال بارزا يجلب النظر من مسافة بعيدة مما يؤكد على الإتقان في عملية الوشم و حامله أراد الوشم عن قناعة.

أما عن مدلول أو معنى الشكل الموشوم، فلقد أفادنا حامله بما يلي: "ما هو إلا بداية لوشم باقة زهور كاملة، غير أنني فكرت وأدركت نفسي بأنها عملية بربرية مؤلمة و ليس لها مكانة في الوسط الاجتماعي بحيث تشوه سمعة الأسرة و لهذا ظهرت في شكل زهرة بدون ساق".

غير أننا نرى بأن لهذه الزهرة بعد تاريخي حيث كانت تعتبر من التمايم شأنها في ذلك شأن " الخمسة " و " الصفيحة الحديدية"، لقد استعملها سكان ليبيا القدماء و الفراعنة على أبواب منازلهم و الجدران معتقدين أنها تصد العيون الشريرة (1). بمعنى آخر كانت عندهم بمثابة طوطم (2) الذي يحميهم من المصائب التي تنجم عن غضب الطبيعة، و قد أشرنا سابقا بأن الكتابة القرطاجية تحتوي على زهور ذات الأربع وريقات. غير أننا نعود إلى زهرتنا الموشومة و التي نحن بصدد قراءتها حيث اعتبرناها تعويذة (3) تحمي صاحبها من العين الشريرة و خاصة تلك الدائرة البيضوية الشكل الموجودة في وسط إحدى الوريقات التي تتشكل منها الزهرة، ثم نستشف أن قوة هذه التميمة (الزهرة) تنبع من الدائرة المحورية للزهرة، فهي شبيهة بمحرك المروحة الآلية الذي يساهم في دوران الأجنحة و بالتالي تبعد الذباب و غيرها من الحشرات و تكيف الهواء.

1- عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية : المكتبة العصرية : صيدا، لبنان 1969 ص 207 .

2- سوسن عامر : الوشم في الفن الشعبي : مجلة التراث الشعبي، العدد 09 ، دار الجاحظ للنشر، بغداد العراق ، 1978 ، ص 31

3- بوكينيو : نبات جبلي يعرف بإملاكه لنسبة عالية لمادة اليحضور.

و هكذا تبدو وظيفة الزهرة المنعدمة الساق ذات الوريقات الخمسة تستمد قوتها من الدائرة المحورية، فتتصدى للشؤم المتدفقة من العين الشريرة من كل جهة. شأنها في ذلك شأن النجمة الحماسية في تصديها للشؤم (1)، و بالتالي يمكن تصنيف هذه الزهرة الموشومة ضمن الوشوم الاعتقادية ذات دلالة ثقافية و اجتماعية- أي دلالة سوسيوثقافية-.

ج- السنبلة : (الخط الشعاعي):

(انظر الشكل رقم 09) يظهر هذا الشكل في صيغة خط شعاعي (2) ينطلق من منطقة ما بين الحاجبين لينتهي في وسط الجبهة، يأخذ شكل السنبلة. صاحبتة، امرأة عمرها 53 سنة، علما أن عمر الوشم يتجاوز 38 سنة لازال بارزا نظرا للتقنية التي وُشم بها. فلقد أفادتنا هذه المرأة الفاضلة بما يلي: " لقد فرض علي هذا الشكل آنذاك لأنّ والدتي تحمل مثيله على جبهتها، وقد وُشم عليّ في السن الخامس عشر من عمري، بوسائل تقليدية : الإبرة و مادة الكحل و نبات أخضر يدعى بالعامية " بوقينيو" من قبل واشمة من بني عامر و بعد أيام ظهر الوشم بلونه الأخضر ". لكننا نتساءل في الحقيقة عن علة تمسك هذه العائلة بهذا الرمز الموشوم و ماذا يخفي من ألغاز؟

فكان الحديث مع المستوشمة حول مدلول هذا الرمز الذي يبدو أكثر انتشارا في الوسط النسوي الجزائري، حيث أفادتنا بما يلي :

- فالة خير.

- يجنب المرأة من العقم.

1- د/ عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان 1969 ، ص 208

2- بنظر : لبث الحفاف: وشم الحنك : مجلة التراث الشعبي، العدد الثالث و الرابع، دار الجاحظ للنشر بغداد العراق 1979 ص 73.

إذا اعتبرنا أن شكل السنبله الموشومة على الجبهة فالة خير أي يأتي من ورائها الخير و البركة فإننا نعتقد بأن المستوشمة من مجتمع ريفي يعتمد في حياته اليومية أو معاشه على المحاصيل الزراعية (قمح و شعير). فالإنسان الريفي يقوم بجرث الأرض، معلقا عليها آماله زارعا البذور منتظرا بفارغ الصبر الأمطار، لعلها تكون كافية لنمو الزرع و تظهر السنابل مليئة بحبوبها. فالناظر إلى مساحة خضراء مغطاة بالسنابل تجعله يردد عبارة " إنه عام خير و بركة ". هكذا أصبحت السنبله طوطم بالنسبة للمرأة الريفية يحميها من المجاعة و يشكل لها الاكتفاء الذاتي، و لهذا يجب عليها حمايتها من كل المخاطر التي تتاحها من حين إلى آخر، خاصة ذلك الاعتداء الطبيعي من قبل الطيور و الجراد على السنابل لاسيما عند اكتمال شكلها. و هذا ما زاد في قوة الاعتقاد بين المرأة الريفية و السنبله حيث ذهبت إلى حد تجسيدها على أعضاء جسمها عن طريق الوشم. كونها رمز للخصوبة و العطاء من جهة و علامة تدلنا على الهوية الحقيقية لحاملتها أو بعبارة أخرى إنها امرأة ريفية مزارعة. تسعى من أجل نجاح الموسم الزراعي، علما أن السنبله تحتل حيزا إما على الجبهة أو الدقن.

أما إذا اعتبرنا أن السنبله فالة تجنب العقم. نستنتج بأن المرأة الريفية الجزائرية لا تؤمن بنظام تحديد النسل، بل تريد كثرة النسل و إنجاب أكبر عدد من الأطفال. علما أن الإنجاب هو قانون الحياة و الموت يتضمن قوة تجعل جسد المرأة أسيرا له إلى حد ما.

و هكذا تصبح الأم أسيرة للطفل من جهة أثناء الحمل، و أسيرة للأب من جهة أخرى أي يجب عليها أن تلد و ترضي زوجها. إذا هذه القوة التي تجسم و تجرح جسدها تلزمها باستجماع صورة جسدها في شكل طقموس

و رسوم، و الوشم ذكرى إصابة الحياة هذه. (1) غير أنّ إذا أخذنا تصور المرأة الريفية الجزائرية من الجانب العقائدي، نجد أن اعتقادها الديني واضح من خلال تأثرها بما ورد في القرآن الكريم من آيات كقوله تعالى: ﴿المال و البنون زينة الحياة الدنيا. . .﴾. (2)

ثم يأتي اعتقاد آخر يأخذ الجانب التزكّي للسنبلة الملامى و قد عني القرآن الكريم بهذه الصورة في سياق حديثه عن الإنفاق في سبيل الله فقال عز و جل: ﴿مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة و الله يضاعف لمن يشاء و الله واسع عليم﴾. (3)

وللمرأة الريفية تصور آخر للإنجاب، فهي ترى فيه توسيعا لنفوذ الأسرة و هيمنة الاسم العائلي في الوسط الاجتماعي، ذلك أن أطفال اليوم هم رجال الغد الذين يعتنون بخدمة الأراضي التي يعجز عنها آباؤهم في الكبر؛ تبين ذلك عبارة نطقت بها المستوشمة " لا حياة لزوجين بدون أطفال". و الخلاصة أن السنبلة في الوشم، تحمل دلالة اجتماعية تكمن في وفرة عدد الأولاد و العيش في سعادة دائمة شأنها في ذلك شأن دلالة السمكة عند المجتمع المصري (4). و تحمل دلالة ثقافية يطغى عليها الجانب الفلاحي متمثلة في الخصوبة و الاكتفاء الذاتي الأمر الذي يجعلها لدى المرأة فال خير، و من هنا يمكن إدراج رمز السنبلة ضمن الوشم الفالي.

1- ينظر - مجلة الحياة الثقافية ص 65

1- سورة الكهف الآية 111.

3- سورة البقرة الآية 261.

4- سوسن عامر: الوشم في الفن الشعبي : مجلة التراث الشعبي، العدد 09، دار الجاحظ للنشر ببنغازي العراق 1978 ص 33.

II - أشكال حيوانية :

أفرض التصوير الفوتوغرافي أشكالاً حيوانية متعددة نستعرضها فيما يلي:

1 - الحمامة الزاجلة:

(انظر الشكل رقم 10) يتموضع هذا الشكل على ظهر الساعد الأيسر لشخص عمره 43 سنة، يجده الناظر العادي مركبا من عنصرين : حمامة ورسالة و لكن الحقيقة غير ذلك، لأن الرسالة التي تحملها الحمامة في منقرها ما هي إلا دال على نوعية الحمامة كالحمامة البيضاء COLOMBE التي ينعتها رجال الكنيسة بالحمام المقدس(1).

فالرسالة بالنسبة للحمامة الموشومة شأنها في ذلك شأن علبة السجائر والشخص المشهر PUBLICITEUR فهي تدلنا على أن حاملتها التي تظهر على غلاف المجلة -فضلا عن جمالها الذي يثير الانتباه - تقوم بوظيفة إشهارية لهذا النوع من السجائر(2)، فعلبة السجائر دالة على صفة حاملتها الموجودة. و أما الرسالة التي تحملها الحمامة في منقارها فإنها تدل على صفتها ووظيفتها اليومية إذ لا يمكن عزل عنصر الرسالة عن عنصر الحمامة الزاجلة.

فنحن بصدد دراسة شكل حيواني منفرد، متمثل في الحمام الزاجل ذي الوظيفة التواصلية في أيام الحرب و السلم(3). وهي تعرف بالزاجلة نسبة للزاجل أي الشخص الذي يرسل الحمام. و من مميزاتها أنها أليفة، تتغذى على الحبوب، مخلصة إخلاص(4) الحمامة المطوقة عند ابن المقفع و الحمامة التي

1- BRUNO BETTELHEIM/ PSYCHANALYSE DES CONTES DE FEES / ED: ROBERT LAFFONT 1976 P 137.

2- PIERRE FRESNAULT-DURELLE / L'IMAGE MANIPULEE : ED/ C H CORLET 1983 P 64

3- د/ خليل الساجر : القاموس العربي الحديث ، مكتبة لاروس ، باريس 1973

4- ابن المقفع : كليله و دمنة، موفم للنشر 1988، ص 149

أرسلها النبي نوح عليه السلام لتنظر أمر الماء، فأتته بورقة خضراء، فدعا لها بالخير لوفائها خلاف الغراب(1) الذي شغلته عن مهمته جيفة طافية على سطح الماء و هدهد النبي سليمان عليه السلام الذي حكى القرآن على لسانه : ﴿ اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون . . . ﴾ (2) و كان وفاء الهدهد لنبيه كذلك.

و لكن الحمامة الزاجلة تأخذ بعدا تعبيريا حيث أصبحت لغة التواصل، نستشف ذلك من خلال قول الشاعر " مصطفى بن إبراهيم " في إحدى قصائده الشعرية معبرا عن الحمام الزاجل ب " القمري " : (3)

يا قمري نبغي تدير جميل	توصل من درقوا بشق جبال
وادع فاس و صد عقب الليل	قادر ترجع لي هنا محال
عيد سلامي ليه شوفه كيف داير	و ياقيك بفايتي عنده جيران
بقيهم بالخير قبل ألا تسافر	سيدي يحيي بايعه مولى برهان
قل لهم هذا السلام إلي مهاجر	تسمحوا له و العفو من الرحمان

كما أصبحت رمز البريد و المواصلات، فنجدها مجسدة على الظروف الخاصة بالرسائل، تدلنا على السرعة و الإخلاص و الأمانة، و استقرت أخيرا على الجسم مجسدة طوطما يقف وراء كل سلوك يصدر عن الإنسان؛ يفسر

1 - كان العرب شديد التشاؤم من الغراب و لدى قالوا : " ليس في الأرض شيء ينشأ به إلا و الغراب أشأم منه " ينظر : محمد مرندي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مصر 1306هـ، مادة " غرب " ، و يعتقدون السويديون بان لفرهان ماهي إلا صورة لأشباح القتلى الذين لم يقدر لهم أن يدفنوا تحت طقوس المسيحية، ينظر : فوزي العنتيل : الفلكلور ما هو؟ القاهرة 1987، ص 101.

2 - سورة النمل، الآية 23.

3- د/ عبد القادر عزة : ديوان مصطفى بن إبراهيم، الشركة الوطنية للتوزيع و النشر، الجزائر 1977، ص 248، 250، 151، 267.

ذلك الشكل الذي بين أيدينا حيث ذكر المستوشم الملابس التي أحاطت بذلك، فهو يرجع إلى عشرين سنة خلت حيث كانت تربطه بفتاة علاقة غرامية في المهجر (فرنسا)، وشاءت الأقدار أن يعود إلى موطنه الأصلي؛ فأخذ يرسلها مرارا و لكن لا جواب لديها و رغم ذلك، فإنها قريبة من قلبه، الشيء الذي جعله يستنجد برمز له مكانة في الشعر الملحون و الأغنية الشعبية و هو الحمام الزاجل، المعروف في الوسط الجزائري بـ "القمرى" و ذلك بإدخال عنصر خيالي عليه و هي الرسالة التي طالما انتظر جوابها؛ فحسدها على ساعده عن طريق عملية الوشم لتبقى أبدية أي ذكرى خالدة على جسمه، حيث استعمل تقنية تجعل الشكل يثير الانتباه فقام برسم الفكرة بواسطة الحبر الصيني ثم بدأ مباشرة عملية الوخز، فكان تسرب الحبر داخل الجرح بسهولة. إنه الطائر الذي لا تعترضه الحواجز فهو حرٌ طليق في أجواء السماء، فيه الأمل أن يبحث عنها في كل مكان و يبلغها الرسالة.

ومن خلال ما روى المستوشم نستخلص أنه مرّ بعلاقة غرامية سعيدة،

سرعان ما انفكت عراها؛ فأصابته صدمة نفسية TRAUMATISME PSYCHIQUE

(1) حيث انسحب الليبدو من العالم الخارجي المتمثل في الموضوع المرغوب،

المحبوب (الفتاة)، وأصبح يعيش هذه العلاقة المفقودة في نفسيته، الشيء الذي

جعله يلجأ إلى جسمه لإشباع هذه الرغبة بتأليمه عن طريق عملية الوشم التي

هي هاهنا نوع من المازوشية MASOCHISME (2) الآتي مصدرها من الرغبة في

1-S/ FREUD : LS CINQ LECONS DE LA PSYCHANALYSE , ED/ PETITE BIBLIOTHEQUE PAYOT
1985 P 12.

2. S. FREUD : LES CINQ LECONS DE LA PSYCHANALYSE , ED/ PETIT BIBLIOTHEQUE PAYOT
1985, P 52.

العدوانية على الذات (1)، فهي بداية العصاوية (2) التي يظهر فيها المستوشم شخصا غير عادي، تتجلى في حركاته بصمات عقله الباطن (3) الذي يُصعدُ ميلا جنسيا تجاه الآخر، يجعلنا نسلك هذا الشكل في عداد الوشوم الجنسية مادام مضمونه " علاقة حب " لها دلالة نفسية واضحة.

2- الأفعى (الحية) : VIPER

(ا نظر الشكل رقم 11) إنه شكل موشوم على باطن الساعد الأيسر لشخص يبلغ من العمر 44 سنة، إذا تأملناه و جدناه خطا ينطلق من اليسار؛ متفرعا إلى خطين يستمران معا مشكلين منعرجا على اليسار و آخر على اليمين حتى يلتقيان مشكلين رسما بيضويا، ينفذ منه خط منفرد مسافة قصيرة ثم يستقر، معطيا شكل أفعى تزحف نحو اليمين متأهبة للدغ و بروز خط قصير في نهاية الدائرة (الرأس) يعبر عن اللسان الذي يحمل السم.

والأفعى من الزواحف القاتلة (4) و هي أنواع: منها مائة و أخرى برية، تختلف طولاً و حجماً. و تختلف دلالتها من مجتمع إلى آخر، فهي علامة الموت في المجتمع الهندي و رسول الآلهة عند بعض القبائل البدائية المتمية لحضارة " يوروبا YORUBA " التي تقطن وسط إفريقيا (5) و هي تمثل عند سكان هايتي السود مساعداً للإله في بناء الكون. (6)

1- جان لابلانز و ج. ب. بوناليس، ترجمة د/مصطفى الحجازي: معجم المصطلحات التحليل النفسي، د. م. ج، الجزائر، ط01، 1985، ص253.

2- سيغمووند فرويد، ترجمة: جورج طرابيشي : النظرية العامة للأمراض العصاوية، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت 1980، ص50.

3- المرجع نفسه، ص 51.

4- DICTIONNAIRE PETIT LAROUSSE / ED: LAROUSSE PARIS 1980.

5- ROBERT FARRIS THOMPSON : L'ECLAIR PRIMORDIAL (PRESENCE AFRICAINE DANS LA PHILOSOPHIE DE L'ART AFRO-AMERICAINS) ED/ CARIBEENNE POUR TRADUCTION FRANCAISE 1985 P 106.

6- IBID , P 191.

وفي الثقافة الإسلامية تحذير واضح منها لأنها مصدر خطر، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " خمس كلهن فاسقة يقتلن في المحرم و يقتلن في الحرم : الفأرة، و العقرب، و الحية، و الكلب العقور و الغراب " رواه أحمد (1).

و الشيء الذي أثار انتباهنا، ذلك التناقض الموجود على أبواب الصيدليات في شكل يتضمن هلالا تتوسطه أفعى ملتوية على كأس و ما يستقيه الناس من أدوية.

و قد أرجع أحد الأطباء وجود الأفعى في هذا الشكل إلى دور سمها في صناعة الأدوية، و هو الأمر الذي يعود تاريخيا إلى الحضارة اليونانية. (2)

وللأفعى في عالم الوشم معنى آخر، فقد استجوبنا مستوشما يحمل شكلا يعود إلى ثلاث و عشرين سنة مضت عن مدلوله، فأفادنا بأنه وشمه و هو في السجن ملخصا فيه ذكرى أليمة، تعكس تجربة حب فاشلة مع امرأة تجسدت فيها كل معاني الخداع و المكر؛ انتهت بدخوله السجن.

و يبدو لنا من خلال هذه القصة، أن المستوشم قد جمع في ذهنه بين شيئين متناقضين، بين نوع حيواني يتمثل في الأفعى و نوع بشري يتمثل في المرأة. و لكن إذا شاطرنا الشخص في الرأي و جزمنا بأن المرأة هي الأفعى القائلة، فهل معناه كل النساء أفاعي؟

لقد وضع قاموس لاروس المرأة الأفعى فيذكر: " هي المرأة الشريرة " (3) التي تحمل مميزات الأفعى كحيوان زاحف كالخداع و الغدر، فإنها تتسرب

1 - أحمد بن حنبل : المسند، الجزء الأول، مطبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ط 04، 1403 هـ / 1983 م.

2-REVUE MENSUELLE, SCIENCE ET VIE, N° 832, JANVIER 1987, P 105.

3- DICTIONNAIRE PETIT LAROUSSE : ED/ LAROUSSE PARIS 1980.

كتسرب المياه على الأرض لا تميز بين الصغير و لا الكبير، فإنها تتأهب لكل حركة صدرت من جسم ما.

و يذهب الشيخ عبد الرحمان المجدوب إلى أبعد من ذلك، حيث يحذر من مخاطر النساء بقوله:

بُهتَ النساءُ بهتين من بهتُهُم جيتْ هارَبُ
يُتَحَزَّمُوا بِاللَّفَاعِ و يُتَحَلَّلُوا بِالْعَقَارِبِ (1)

و المقصود هنا "بالبهت" الحيلة و الخداع، و لهذا فالشاعر يخص النساء المكيدات و الشريرات اللائى يتجاوزن مخاطر الأفاعي، فيعلن منها أحزمة. و المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات تتداول في وسطه هذا النوع من التشبيهات، فهو ينظر إلى النساء المكيدات أو الساحرات بأنهن مثل الأفاعي و الدليل على ذلك ما يتردد في الأوساط الشعبية من كلام كأن يقال "أفلا نة لفعى".

و ليس غريبا، أن نجد هذه الثقافة تنعكس بكل تفاصيلها في مجتمع الوشم.

و محاولة ضبط البعد النفسي لهذا الشكل تُفضي بنا إلى القول بأنه جرح انفعالي BLESSURE EMOTIONNELLE (2) نجم عن تدهور علاقة عاطفية مع امرأة، ترتبت عنها صدمة نفسية (3) أبعدت الأنا النفساني عن وظيفته و أحلت الأنا الجسماني محله فاستثار إحدى ميكانيزماته الدفاعية و هي التفريغ (4)

1 - نور الدين عبد القادر : كتاب القول المأثور كلام الشيخ عبد الرحمان المجدوب : المطبعة التعليلية بالجزائر : بدون تاريخ ص 44.

2. S. FREUD / LES CINQ LECONS E LA PSYCHANALYSE / ED PAYOT, PARIS 1981 P 51.

3- جان لا بلانش، و ج. ب. بوننالس، ترجمة د. مصطفى حجازي : معجم المصطلحات التحليل النفسي، د. م. ج الجزائر، ط 01، 1985، ص 573.

4 - المرجع نفسه، ص 574.

CATHARCIS إخراج النزوات العدوانية (1) من اللاشعور بطريقة مُقنعة
MASQUEE حيث تظهر في رموز تجسد على الجسم عن طريق عملية الوشم
مثلا في الأفعى.

و خلاصة القول، يمكن تصنيف هذا الشكل ضمن الوشوم الجنسية لأنه
يمثل رغبة الانتقام من المجتمع النسوي و يعكس دلالة نفسية اجتماعية.

المبحث الثاني : أشكال مركبة

نستطيع تصنيفها أربعة أصناف هي:

1 - أشكال ثنائية التركيب.

2-أشكال ثلاثية التركيب.

3-أشكال رباعية التركيب.

4-أشكال زخرفية.

1 - أشكال ثنائية التركيب:

(ا نظر شكل 13) يحوي شكلا طوله 10 سم، موشوما على باطن
الساعد الأيمن لشخص عمره 54 سنة، يتضمن أفعى مرسله لسانها، ملتوية
على خنجر في اتجاه القبض، إنها في حالة تأهب للدغ.

يقدر عمر هذا الشكل 33 سنة، إنه شكل يلفت الانتباه لأنه يجمع بين
خطرين : الأفعى من جهة، و الخنجر من جهة أخرى. الشيء الذي جعلنا
نتساءل عن معناه.

1. LUDWIG KNOLL : ENCYCLOPEDIE DE PSYCHOLOGIE PRATIQUE ,ED/ AIMERY SOMOGY
,PARIS 1980 ,P 188.

لقد صرّح حامله أنه يعود إلى الستينات حينما كان سجيناً إثر تجربة قاسية مر بها إذ ألبس تهمة التعدي الجنسي على امرأة.

فمن أين تأتي دلالة الانتقام؟ من الشكل كله أو من أحد عنصريه؟ فإذا اعتمدنا رواية المستوشم وجدنا الأفعى ترمز إلى المرأة الشريرة (1) التي أدخلته إلى السجن و الخنجر وسيلة الانتقام و الغدر. (2) و تبدو الأفعى في هذا الشكل حية، يدل على ذلك أكثر من عنصر فهناك :

1- وضعية رأسها الملامس مقبض الخنجر تحدياً لكل يد تحاول الإمساك به.

2- وضعية لسانها الدالة على تأهبها للدغ.

3- التواؤم على الخنجر يدلنا على هيمنتها المطلقة على مصدر الخطر الذي يريد مواجهتها من حين إلى آخر.

فانتصار الأفعى هنا واضح و يصبح كلام المستوشم باطلاً، حينما ذكر أنه انتقم من الأفعى و قضى عليها نهائياً و لو كان هذا صحيحاً لسقطت من الخنجر فيخلو مقبضه و يصبح استعماله سهلاً غير أن الأفعى استحوذت على مقبض الخنجر حتى لا تعطى الفرصة لأي شخص أن يستعمله. فهو إذن شكل يرمز إلى معركة بين امرأة متمثلة في الأفعى و رجل متمثل في الخنجر، تتجلى فيه هيمنة الأفعى (المرأة) على الخنجر (الرجل) مما يؤكد انتصارها الواضح، فهي الحاكمة و المسيرة شؤون المنزل، إنه العودة إلى النظام الأمومي MATRIARCAT الذي كان سائداً قديماً.

1- VOIR DICTIONNAIRE PETIT LAROUSSE / ED: LAROUSSE PARIS 1980.

2 - د/ عمر بن قينة : أشكال التعبير في القصة الليبية القصيرة : المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986 ص 101.

فكيف يفسر انهزام الرجل أمام المرأة يا ترى؟ هل هو راجع لضعف في

شخصيته أو ناتج عن سحر جعله لا يحرك ساكنا في مواجهتها؟

إن الصفات التي أعطاها الشيخ عبد الرحمان المجدوب للنساء، تجعلنا نستخلص بأن المرأة قادرة على تحطيم الرجل بما أن خطورتها تتجاوز خطورة الأفعى (1) و بالتالي أول شيء تلجأ له لمحاربة الرجل هو السحر (2) الذي يعتبر ممارسة نسائية محضة. و هناك من تستعمل طريقة أخرى تلجأ بها إلى المحاكم بحجة أنها امرأة ضعيفة أمام رجل قوي يعاملها معاملة حيوانية أو يتعدى على حرمتها كما عبر عليه المستوشم.

و خلاصة القول، إن هذا الشكل تعبير رمزي عن واقعة حقيقية جسدها صاحبها على عضو من أعضاء جسمه، يصور لنا صراعا بين جنسين مختلفين، استطاعت فيه المرأة - بمكرها و حيلتها مستغلة ضعف شخصية رجل انغمس في المنكرات من شرب خمر و لعب قمار - أن ترميه داخل السجن، فلم يملك من رد سوى أن ينتقم من نفسه ومنها بتأليم جسده عن طريق عملية الوشم لأنها دوما مستقرة في ذاكرته.

و الشكل بعد ذلك يمثل من الناحية النفسية " إسقاط (3) حادثة لازال مكنونها ساري المفعول في لاشعور الشخص على ذاته من جهة و انتقام من نفسه من جهة أخرى لإحساسه بالذنب من جراء سلوكاته الماضية و ذلك بتأليم جسمه عن طريق الوخز بالإبر، إنها العدوانية على الذات في صورتها

1 - نور الدين عبد القادر : كتاب القول المأثور للشيخ عبد الرحمان المجدوب : دار الطبعة العالمية بالجزائر 1990 ص 44.

2 - ينظر - الإنسان و الذنوب : إعداد المكتب العالمي للبحوث، بيروت 1989 ص 56.

3- جان لابانش، أو. ج. ب بوتاليس، ترجمة د. مصطفى حجازي : معجم المصطلحات التحليل النفسي، د. م. ج الجزائر، ط 01،

1985، ص 70.

اللاواعية التي تعتبر من خصائص العصائية (1) مما يصنف هذا الشكل ذي الدلالة النفسية الاجتماعية ضمن الوشوم الجنسية لأنه صادر عن علاقة عاطفية كانت المرأة السبب في انقطاعها.

II - شكل ثلاثي التركيب :

(أنظر الشكل رقم 13) و هو شكل موشوم على باطن الساعد لأحد الأشخاص يبلغ من العمر 54 سنة، مركب من قلب يتوسطه حاجب و عين، يخترقه سيف.

يقدر طوله 6 سم، و عرضه 02 سم. و عمره حسب تصريح المستوشم 30 سنة. ويعتقد أن الحاجب عنصر مستقل عن العين و يحمل دلالة مستقلة على العناصر الأخرى. إلا أننا نعتبره منحني شعاعيا دالا على العين البشرية التي يرتبط بها دوما حفظا و حضورا (2) و الدليل على ذلك المثل الشعبي الذي يقول : " أشحال ما أغلاو العينين، و الجواب فوقهم" (3).

و يذهب شاعر الملحون " ابن مسايب" في وصف الوشم ذا كرا الحاجب و العين فيقول: (4)

أعمل الجيم جمال الزين الغرة و الحاجب و العين
وإذن فهو شكل مركب من ثلاثة عناصر : السيف، القلب و العين،
تكمن دلالاته على حد قول المستوشم في ذلك الحب الذي ينتهي بتدخل
طرف أجنبي مجهول، يتمثل في العين المدمرة أي تلك التي تخشى معظم

1 - سيغموند فرويد: ت. جورج طرايشي : النظرية العامة للأمراض العصائية : دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت 1980 ص 51.

2 - ابن سيرين : تفسير أحلام التفاضل : دار الكتب العلمية، بيروت، ط 02، 1992 ص 385.

3 - د/ عبد الكبير الخطاطي ت: محمد بنيس : الإسم العربي الجريح، الطبعة الأولى ن دار العودة بيروت 1980 ص 39.

4 - إعداد و تقديم الحفناوي أمقران السحنوني و أسماء سيفاوي : ديوان ابن مسايب، د. م. ج الجزائر 1990 ص 156

المجتمعات من مخاطرها التي تصيب الأطفال والحيوان و المحاصيل الزراعية و غيرها من الممتلكات.

و الملاحظ أن ما أدلى به المستوشم في هذا الصدد سطحي، لا يقنع الدارس؛ و لذلك فنحن مضطرون إلى تفكيك الشكل إلى مكوناته الأساسية و تحليله تحليلاً يؤدي في النهاية إلى استنباط دلالاته:

1- السيف :

قيل إن السيف سلاح ذو نصل حديدي و له غمد يُغمد فيه (1) و يرى البعض الآخر أن السيف هو سلاح مصنوع من شفرة حديدية LAME D'ACIER مُقرّن، مرسخ بمقبض مصحوب بحام GARDE (2).

و قد ارتبط السيف في العصر الجاهلي بشائبة شاعر/فرس، إذ كانت العرب لا تهنيئ إلا بفرس تنتج و شاعر ينبغ، فللشاعر حلبته التي يصلح فيها و يجول و للفارس ميدانه الذي يطعم فيه سيفه هامات الرجال في ساحات المعارك التي أملتها طبيعة حياتهم القائمة على الجروب من أجل السلب و النهب و الأخذ بالثأر، و هي سلوكات عرفوها في أيامهم (3) المشهورة مثل يوم ذي قار بين بكر و الفرس و يوم عين أباغ و كان بين المناذرة و الغساسنة و نقلت عنهم أخبار حروبهم كحرب البسوس (4) بين قبيلتي بكر و تغلب و حرب داحس و الغبراء (5) بين قبيلتي عبس و ذبيان؛ و قد كانت هذه

1 - د/ تحليل السحر : لاروس العجم العربي الحديث، باريس 1973

2- Dictionnaire Encyclopedique (Petit Larousse) : Librairie Larousse Paris 1980

3 - محمد أحمد حاد المولى و علي محمد البحايوي و محمد أبو الفضل إبراهيم : أيام العرب في الجاهلية، دار الجيل، ط01، بيروت، 1988، ص 120.

4 - أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، تحقيق و إشراف لجنة من الأدباء، دار الثقافة، ط 06، بيروت، 1404 هـ / 1983 م، ص 280

5 - الرجوع نفسه : ج 10، ص 289.

الحروب مجالا خصبا تغنى فيه الشعراء ببطولات الفرسان على صهوات
خيولهم، يلقاها الدارسون ماثورة في دواوين الجاهليين و الإسلاميين
و العباسيين (1) و غيرهم في الأعصر التالية و نقرأ في كتب العرب
صفحات مشرقة عن أسماء السيف، صفاته، خصائصه و أماكن صناعته.
على أن السيف أصبح له في عصرنا دور تمثيلي رمزي، يُستعمل في
الدلالة على التحية و النصر و الانتقام خلافا لما كان عليه قديما.
و يبدو أن المستوشم قد تأثر بوسطه الاجتماعي الذي لازال يعتقد في
السيف رمزية المواجهة و الانتصار؛ فعمد إلى إسقاطه (2) على ذاته معبرا عن
نهاية علاقة عاطفية باحترق رمزها الذي يظهر في شكل قلب، سوف نتكلم
عنه لاحقا.

→ القلب :

إنه عضلة مجوفة MUSCLE CREUX يتموضع في الصدر، وظيفته استقبال
الدم من الأوردة و نقلها إلى الشريان، و هو ذو شكل هرمي و محوره مائل
أماما و يسارا (3). إنه عضو أساسي لضمان حياة الإنسان (4) مما جعله
يتصدر الأعضاء الداخلية الأخرى من حيث المكانة و القيمة عند صاحبه (5)،
فأصبح رمزا يضرب به المثل خارج مكانه الأصلي، حيث استقر في الوسط
الاجتماعي تعبيرا رمزيا تتداوله مختلف الفئات الاجتماعية، فيظهر مستودع

1 - إيليا الحاوي : شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب اللبناني، ط 01، بيروت 1981، ص 180.

2 - جان لابلان، ج. ب. بوناليس، ترجمة د. مصطفى حجازي : معجم المصطلحات التحليل النفسي، د. م. ج، ط 01، الجزائر 1985،
ص 70.

3. P. ANDRE DOMART ET JACQUES BOURNEUF/ PETIT LAROUSSE DE LA MEDECINE /
LIBRAIRIE LAROUSSE PARIS 1989 P 194.

4. M. CHEBEL / LE CORPS DANS LA TRADITION AU MAGHREB / ED: PUF 1984 P 51.

5. Y. MARQUET / LA PHILOSOPHIE DES IHWAN AL SAFA / ALGER 1973 P240.

الحروب محالا خصبا تغنى فيه الشعراء ببطولات الفرسان على صهوات
خيولهم، يلقاها الدارسون ماثورة في دواوين الجاهليين و الإسلاميين
و العباسيين (1) و غيرهم في الأعصر التالية و نقرأ في كتب العرب
صفحات مشرقة عن أسماء السيف، صفاته، خصائصه و أماكن صناعته.
على أن السيف أصبح له في عصرنا دور تمثيلي رمزي، يُستعمل في
الدلالة على التحية و النصر و الانتقام خلافا لما كان عليه قديما.
و يبدو أن المستوشم قد تأثر بوسطه الاجتماعي الذي لازال يعتقد في
السيف رمزية المواجهة و الانتصار؛ فعمد إلى إسقاطه (2) على ذاته معبرا عن
نهاية علاقة عاطفية باختراق رمزها الذي يظهر في شكل قلب، سوف نتكلم
عنه لاحقا.

2- القلب :

إنه عضلة مجوفة MUSCLE CREUX يتموضع في الصدر، وظيفته استقبال
الدم من الأوردة و نقلها إلى الشريان، و هو ذو شكل هرمي و محوره مائل
أماما و يسارا (3). إنه عضو أساسي لضمان حياة الإنسان (4) مما جعله
يتصدر الأعضاء الداخلية الأخرى من حيث المكانة و القيمة عند صاحبه (5)،
فأصبح رمزا يضرب به المثل خارج مكانه الأصلي، حيث استقر في الوسط
الاجتماعي تعبيرا رمزيا تتداوله مختلف الفئات الاجتماعية، فيظهر مستودع

1 - إيليا الخاوي : شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب اللبناني، ط 01، بيروت 1981، ص 180.

2 - جان لابلاش، ج. ب. بوناليس، ترجمة د. مصطفى حجازي : معجم المصطلحات التحليل النفسي، د. م. ج، ط 01، الجزائر 1985،
ص 70.

3- P. ANDRE DOMART ET JACQUES BOURNEUF/ PETIT LAROUSSE DE LA MEDECINE /
LIBRAIRIE LAROUSSE PARIS 1989 P 194.

4- M. . CHEBEL / LE CORPS DANS LA TRADITION AU MAGHREB / ED: PUF 1984 P 51.

5- Y. MARQUET / LA PHILOSOPHIE DES IHWAN AL SAFA / ALGER 1973 P240.

مختلف السلوكات السلبية كالنفاق و الحقد و الكراهية التي يعكسها المثل الشعبي المغربي : " السِّنْ يَضْحَكُ للسِّنْ و القَلْبُ فِيهِ الخُدَيْعَةُ " (1)

كما استعمل في السلوكات الإيجابية كالحب و العشق ثم جسد في الكتابة الإشهارية و غيرها من الكتابات الأخرى، فحل محل فعل " أحب AIMER " مثل العبارة التالية " J'♥winsthon " أي: أُحِب سيجارة وانسطون.

و ليس القلب هو الحب، بل موطن العواطف و المشاعر و القلب في حال التعبير عنها يتحول رمزا، فقد قال جميل بن معمر (2) في إحدى قصائده:

أبتين إنك قد ملكت فأسجحي و نخذي بحظك من كريم واصل

و هو يريد بأنّ معشوقته " بثينة " قد ملكت حبه الصادر من عمق قلبه. و هكذا أصبح القلب مصدرُ الحب العميق في عالم الرمزية و التعبيرية، فهناك من يعبر عن مكنوناته النفسية المليئة بالرغبة الجنسية (3) يجسدها شكل قلب مصحوب بتزيين لسانني (4) أي بعبارة واضحة يصوغ فيها اسم المعشوقة أو الأحرف الأولى منه كتابة على حائط أو على أعضاء جسمه البارزة كالساعد أو ظهر الكف عن طريق عملية الوشم (انظر الشكل رقم 03)، مما يساعدنا على معرفة الاتجاه الحقيقي لهذا الخطاب. و هناك من ذهب

1 د/ عبد الكبير الخطاطي، ت. محمد بنيس: الاسم العربي الجريح: دار العودة ن بيروت 1980 ص 42.

2 - أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، تحقيق لجنة من الأدباء، دار الثقافة، ج 08، ط06، بيروت، 1404هـ/1983م، ص100.

3 - الرغبة الجنسية : منبعها الغريزة (أنظر كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدي، ترجمة د/ محمد فتحي الشنطي، دار النهضة العربية للطباعة بيروت 1970 ص 42.

4- R. BARTHES / RHETORIQUE DE L'IMAGE P 42.

إلى وشم شكل القلب بدون ترسيخ لساني مما يجعله مبهما، يضطرنا إلى استفهام المستوشم عن دلالة الحقيقية،
و خير مثال على ذلك هذا الشكل الذي نحن بصدد تحليل عناصره،
حيث صرّح حامله أن شكل القلب يمثل تلك العلاقة العاطفية التي كانت تربطه مع إحدى الفتيات في الماضي حيث دامت خمس سنوات، و شاءت الأقدار أن يتدخل عنصر أجنبي فيحرقها و يجعل منها صراعا مليئا بالكراهية و الحقد انتهى بفراق. إنها العين التي يحسب لها ألف حساب في المعتقدات الشعبية و التي سوف نتكلم عنها لاحقا.

3- العين:

هي عضو النظر، يحميها جفنان علوي و سفلي، متموضعة على مستوى الوجه شأنها في ذلك شأن الأنف و الشفتين و غيرها من الأعضاء البارزة. غير أن العين مرهونة بالبصر و لهذا قيل أن القدرة على قراءة الأشياء مصدرها المعطيات التي تنقلها لنا العين (1).

غير أنه بالرغم من الوظيفة الإيجابية و الأساسية التي تقوم بها العين خدمة لبني البشر، إلا أنها تتصف في بعض الأحيان بالصفات السلبية التي يُطلق عليها العين الشريرة.

تعتبر العين الشريرة في أجزاء كثيرة من الشمال الإفريقي مصدرا خطيرا لجلب الشؤم و النحس (2)، حيث نجد عبارات تردد في الأوساط الاجتماعية مثل "عينك مالحين" أو "أعين الشياطين" أو "يا رب احفظني من العين".

1- PIERRE FRESNAULT- DERUELLE / L'IMAGE MANIPULÉE : ED / C. H CORLET, PARIS 1983 , P

و لا يقتصر أثر العين على الإنسان فقط، بل قد تصيب الحيوانات
و المحاصيل الزراعية (1). و يرجع الاعتقاد بالعين الشريرة إلى مصدرين هما :
- تميزها بخصائص تظهر بوضوح في نظرتها الشريرة خاصة عند
العجائز (2).

- الدهشة التي تظهر على العين الحاسدة توحى بأنها تمتلك قوة خارقة.
(3)

و تزداد خطرا و فداحة إذا اقترن بها الكلام، لأن الفم الكريه يؤكد
العين الحاسدة الشريرة.

ويسود هذا الاعتقاد بالأثر السيء الذي تحدثه العين الحاسدة لدى
الشعوب الأوروبية، فعندما يتحدثون عن الصحة و السعادة و الحظ، فإنهم
يمسون قطعة خشب باعتبارها مادة عازلة ضد الشرارة الكهربائية.

و ليست القوة الخارقة التي تتميز بها العين الشريرة متوفرة في كل عين،
و إنما في أعين بعض الأفراد الذين تنفجر عيونهم بقوة خارقة تشعر بها و تحس
بها، فإن كانت العين مركزة في محجرها و تتصل الحواجب برأس الأنف تعتبر
من أكثر العيون خطرا. كما تعتبر العين ذات اللون الأزرق مصدر كثير من
المخاوف لأنها ناذرة و خارقة للعادة و غير عادية.

و تتميز عيون النساء بالخطر و توصف بأنها أكثر شرا و أشد رهبة من
عيون الرجال.

إن المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات ينشغل هو كذلك بمخاطر
العين الشريرة التي كانت سبب وفاة العديد من الناس (4) و فقرهم

1- PIERRE BOURDIEU / SOCIOLOGIE DE L'ALGERIE : QUE SAIS- JE : ED/ PUF 1974 P 32.

2- M. CHEBEL: LE CORPS, DANS LA TRADITION AU MAGHREB ; ED/ PUF ,PARIS 1984 P 46.

3- IBID P 47.

و مشاكلهم الاجتماعية كالطلاق و غيره من المشاكل العائلية، الشيء الذي جعلنا نجزم بأن المستوشم متأثر بثقافة وسطه الاجتماعي الذي يعتقد كل الاعتقاد في العين الشريرة فأرجع انقطاع علاقاته الغرامية إلى العين الشريرة. ونستخلص أن هذا الشكل يصور فترة حرجة من حياة الشخص عاشها في عزّ شبابه كانت مبنية على علاقة غرامية، ثمّ فرضت عليه العين الشريرة قوتها فضرب قلبه بسيف قاتل رامزا بطريقة لاشعورية إلى حبه الضائع و من هنا يمكن إدراج هذا الشكل ضمن الوشوم الجنسية لأنه يرمز إلى انقطاع علاقة عاطفية لتدخل عنصر اجتماعي يتمثل في العين الشريرة. و لهذا فالدلالة التي نستخلصها من خلال تحليلنا لهذا الشكل هي دلالة نفسية اجتماعية ثقافية في آن واحد.

III - شكل رباعي التركيب :

(ا نظر الشكل رقم 14) إنه شكل موشوم على الذراع الأيمن لشخص يبلغ عمره 45 سنة، مركب من عناصر ثلاثة : أفعى، كف، عين و لفظة "الجلالة" الله". يظهر في صورة كف مفتوح ذي أصابع خمسة، تلتوي عليها أفعى، وتتوسطه عين و حاجب، و في الرّسغ رسخت لفظة الجلالة كتابة. و يمتدّ زمنّا إلى ثلاث و عشرين سنة مضت، طوله 5,5سم و عرضه 3,5سم، صادفنا مرات عديدة في المحلات التجارية و المنازل و الأماكن العمومية، مصحوبا غالبا بترسيخ لسانيا، في أسفله مثل " احفظني يا رب " أو " عين الحسود لا تسود" و غيرها من العبارات التي تجعله آخذًا صفة التمايم التي تحتل مكانة في المعتقدات الشعبية في المغرب العربي.

و إذا كان هذا الشكل يتواتر وروده في عالم الوشم فهل هذا يعني أنه يحمل الدلالة نفسها التي يحملها خارجه ؟

و هو - حسب تصريح المستوشم - بمثابة دعاء رمزي " يدعوا الله (كلمة أسفل الكف) أن يحميه من مخاطر العين المحسدة في التواء الأفعى على الأصابع.

إذن حسب حامل الوشم أن الأفعى رمز للخطر الذي يتدفق من العين الشريرة.

و لكن أية دلالة تحملها الكف المفتوحة ؟ أهي الخطر أم أنها تمثل وسيلة دفاع ضد الأخطار الصادرة عن العين الشريرة كما هو الحال عليه في الثقافات الشعبية المغاربية ؟ و إذا كان ذلك كذلك لماذا جسدت كلمة الله أسفل الكف ؟

و سوف نجيب عن هذه الأسئلة من خلال تأويلنا لعناصر هذا الشكل الدالة و ذلك ابتداء من الأعلى إلى الأسفل كما يلي :

1 - الأفعى :

أشرنا سابقا إلى الأبعاد التي تحملها الأفعى في الثقافة الشعبية، من ذلك أنها ترمز إلى المرأة الشريرة التي تنفث السم في العلاقات الاجتماعية.

2 - الكف (الخمسة) :

هي عضو الأخذ و العطاء و اللمس و الإحساس (1). و تعرف في بعض المعاجم اللغوية "بالكف" (2). غير أن الحديث عن اليد يؤدي بنا إلى

1- ANDRE DOMART ET JACQUES BOURNEUF : DICTIONNAIRE PETIT LAROUSSE DE LA MEDECINE ,ED/ LIBRAIRIE LAROUSSE ,PARIS 1989 ,P471.

2 - الأمير أمين آل ناصر الدين: الرافد (معجم لغوي للإنسان و البيعة)، الجزء الأول، مكتبة لبنان بيروت، ط 1981 ص 27.

النظر في الأصابع الخمسة التي لا يمكن فصلها عن اليد، وكل أصبع له وظيفة خاصة به. و يختلف مدلول اليد حسب الوضعية التي تكون فيها :

فعندما تكون مغلقة، فلكل الأصابع وظيفة واحدة تمثل القوة (1) و الهيمنة و السلطة و الملكية.

و إذا كانت مفتوحة، فهي تدل على التحية و السلام، و يقال عنها في الثقافة الشعبية المغربية ب " يد فاطمة" (2).

إذا نحن بصدد اليد المفتوحة التي يدعي بني البشر أنها تحميه من شؤم (3) العين الشريرة(4)، و لهذا فإننا نصادف دوما كلاما يتردد في الأوساط الشعبية " خمسة في عينيك".

إن الحديث عن اليد (الخمسة) رمز الحماية من المخاطر، ليست حديثة العهد، بل يعود تاريخها إلى العهد الفرعوني بل إلى أبعد من ذلك حيث عرف سكان سومر و بابل هذا الرمز (5). و قد عُثر كذلك على هذا الشكل مجسدا على صخور طاسيلي؛ مما يؤكد أن إنسان طاسيلي قديم (6). و بما أن رمز الخمسة (اليد) يعتبر من الرموز المهاجرة، فقد انتقل من الجدران و مداخل المنازل إلى الزربية فالأواني الفخارية ثم أخيرا استقر على الجسم البشري عن طريق عملية الوشم(7). و لهذا نستنتج أن المستوشم الذي نحن بصدد تحليل

1- M. CHEBEL : LE CORPS DANS LA TRADITION AU MAGHREB. ED/ PUF 1984 P 65.

2 - يد فاطمة : نسبة إلى فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه و سلم.

- VOIR: A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE ; ED/ DENOEL PARIS 1973 P 89.

3 - د/ عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1969، ص 209.

4- MALIKA HACHID : LES PIERRES ECRITES DE L'ATLAS SAHRAOUI ,ENAG , ALGER 1992 ,P 152.

6- ج.كي. زيريو : تاريخ إفريقيا العام، مع 01، (المنهجة و عصر ما قبل التاريخ في إفريقيا)، جين أفريك، اليونيسكو 1980، ص 580.

6- M. HACHID : LES PIERRES ECRITES DE L'ATLAS. ED/ ENAG 1992 P 152.

7 د/ عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1969، ص 197.

وشمه، هو ذو اعتقاد واضح في اليد التي تواجه كل المخاطر، نابع من الوسط الاجتماعي الذي نشأ فيه و استقر في اللاشعور الجمعي مما أدى بالشخص إلى تجسيد شكل اليد لا شعوريا على ذراعه مؤشرا على الخطر المحسد في الأفعى و هي تهيمن على كل الأصابع، و هو خطر مصدره العين الشريرة التي سنتحدث عنها فيما بعد.

3- العين :

للعين كما سبق ذكره أثر سلبي يخشاه الناس و يعبرون عنها في سلوكياتهم المختلفة.

و الواقع أن العين الشريرة ليس لها مصدر معين بل هي صفة تأتي من النظر و الملاحظة المتكررة لشيء معين بصفة يومية مصحوبة بكلام التفاؤل، كأن ننظر إلى رضيع فنقول: " كم هو جميل " فرمما في حالة من الأحوال يصاب الرضيع بمرض خطير أو قاتل، فتكون ردود أسرته : " لقد أصابته أعين الناس ". فهذا هو الاعتقاد السلبي للعين و الذي يُخشى خطره، و يربك الإنسان كما قال المستوشم في تحقيق العديد من المشاريع في حياته اليومية و من بينها الهجرة إلى فرنسا. و لازالت العين تلاحقه رغم وجود اليد المفتوحة الحامية من كل خطر، التي عجزت عن المواجهة، و ليس في وسع الشخص إلا اللجوء إلى قوة عظمى ألا و هي قوة الله عز و جل. و هكذا تبدو أن لفظة الله الموشومة أسفل اليد للدليل على اعتقاد المستوشم.

و لهذا فالناظر إلى هذا الشكل يقول حتما إن صاحبه ذو عقيدة إسلامية تميز فيها كلمة الله بين رجل مؤمن و آخر مشرك. و إن كنا عرفنا المستوشم يصدر في اعتقاده من الأسطورة و الخرافة فإن فشل اليد في القيام

مهمتها الدفاعية؛ جعلته يراجع نفسه ثم يفر إلى عقيدة التوحيد طلبا للخلاص.

و تذكرنا لفظة الله الموشومة أسفل اليد بتلك البسمة المحسدة على عانة نساء بنغازي عن طريق الوشم (1)، التي اعتبرها الباحث "مالك شبل" تناقضا في حياة المرأة في المغرب العربي أي بين نص قرآني مقدس و وشم محرم. و النقد نفسه يمكن توجيهه للمستوشم الذي جسد على ذراعه كلمة قرآنية ﴿الله﴾ مخترقا حكم الإسلام في هذا السلوك حيث يعده تغييرا لخلق الله.

و هكذا تبرز العناصر المختلفة الدالة التي يطغى عليها الجانب الأسطوري و الديني مصنفة هذا الشكل ذي الدلالة الاجتماعية و الثقافية في عداد الوشم الاعتقادي.

المبحث الثالث : أشكال زخرفية

لم يقتصر فن الزخرفة في شمال إفريقيا على الأواني الفخارية (2)، والنحاسية و غيرها فحسب بل تعداها إلى الجسم البشري الذي أضحي فضاء رحبا توشم فيه أشكال زخرفية، صادرة عن ميول الفرد خاصة في الوسط النسوي، حيث نجد على سبيل المثال النساء المغربيات يلجأن إلى زخرفة أياديهن بواسطة الحناء أو "الحرقوس" (3). و لما كانت هذه الزخرفة مؤقتة

1- M. CHEBEL : LE CORPS DANS LA TRADITION AU MAGHREB : ED/ PUF 1984 P152.

- VOIR AUSSI/ A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE : ED/ DENOEL PARIS 1973 P 69.

- /// /// GOBERT: REMARQUE SUR LE TATOUAGE DU NORD AFRICAIN / REVUE AFRICAINE 1956 P 515.

2- GOBERT: REMARQUE SUR LE TATOUAGE DE NORD AFRICAIN : REVUE AFRICAINE ; 1956 P 501.

3- A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE ; ED/ DENOEL PARIS 1973 P 75.

تزول بملامسة الماء لها؛ لجأت بعض النساء إلى تجسيدها بطريقة تجعلها
سرمدية.

و تحيلنا الصور الفوتوغرافية إلى أشكال زخرفية، تبين هذه العملية عند
نساء مجتمعنا محور الدراسة الميدانية، و هي تتمثل فيما يلي:

1- شكل زُخرفي عبارة عن نسيج معمم، لا يترك أثراً لبروز المساحة غير
الموشومة.

2- زخرفة تظهر في شكل شبكة مفتوحة.

3- زخرفة متفرقة تضم أشكالاً متباينة.

و هي أشكال تنفرد بها النساء، حيث تموضع على ظهر الكف ممتدة
إلى غاية المرفق.

1- شكل زخرفي معمم (المغلق):

(ا نظر الشكل رقم 15) هو شكل زُخرفي لامرأة تبلغ من العمر 67
سنة، موشوم ابتداء من نهاية الأسلة مرورا بظهر الرُسخ (1) أو المعصم ثم
ظهر الكف و ينتهي بنقاط على الأصابع باستثناء السبابة.

و رغم قدمه الذي يقدر ب 51 سنة، إلا أنه لازال لونه بارزا، مما يؤكد
أنه ذو عمق، يعود إلى التقنية التي استعملت فيه من قبل نساء بني عامر اللائي
يتفنن في إنجاز أحسن تحفة فنية على البدن عن طريق الوشم.

فكان عمر طالبة الوشم آنذاك 16 سنة حيث تمت عملية الوشم
بالمشروط. و بعد تسرب الدم و وضعه في إناء يتم تفريغه في حفرة بعيدا عن
المنزل ثم يردم بالتراب. و بعد الانتهاء من عملية الوخز تُمسح و تُحفف

1 - الرُسخ : المفصل بين الكف و الساعد و بين الساق و القدم (انظر : الأمر أمين آل ناصر الذنين : الرافد " معجم لغوي للإنسان و البيئة
" الجزء الأول، ط02، مكتبة لبنان - بيروت 1981 ص27.

المساحة الخاضعة للعملية بمادة الكُحْل و بعد ذلك تُضمَد المساحة الموشومة بقماش أبيض أو أصفر خافت يشبه عمامة الرجل. غير أن الشيء الملاحظ هنا أنه لا ينبغي على المستوشمة و أهلها رؤية وشمها حتى تشفى منه و إلا أُصيبت بأذى من جراء عملية الوشم، و إن خافت من مراقبة وشمها احتاطت بالكتابة (1). و بعد زوال آلام الوشم، تلجأ المستوشمة إلى قطف أوراق نباتية جبلية تدعى بالعامية بنبات " بوقنينو " الأخضر حيث تقوم بمسح أوراقه على الجرح المنقوش بطريقة متكررة حتى يتخذ الشكل الموشوم لونه الأخضر العميق.

و الشكل عبارة عن نقاط متفاوتة الحجم موشومة على الأصابع و موزعة كالتالي:

1- على الخنصر تظهر نقطتان عموديتان موزعة على القسم الأول

و الثانية من الأصبع.

2- على البنصر تبرز لنا نقطة على القسم الأول و يليها وشم خاتم.

3- أما على الوسطى فتبرز نقطتين كبيرتي الحجم و متشابهتين.

4- عدم وجود نقاط موشومة على السبابة (الشاهد).

و هنا يُطرحُ السؤال لماذا استثنى هذا الأصبع بالذات من الوشم؟ و هذا

ما سوف نجيب عليه لاحقاً.

و جميع هذه النقاط الموشومة مفصولة قليلاً عن الوشم المجسد على ظهر

الكف الذي يتشكل من خطوط و نقاط صغيرة متلاحمة و منسقة، تتخذ

طابعاً نسيجياً زخرفياً، بحيث تعتبر من الوشوم التي لها مكانة في الوسط

الاجتماعي الريفي و تعرف ب "اللوحه" حسب تصريح حامله الوشم، غير
أن هذا الشكل من الوشم يعرف عند المرأة المغربية بالنسيج المعمم (1).
و قد أفصحت المستوشمة حين سألناها عن مضمون الشكل و سبب
وشمه أنها رأت في المنام أنها قدمت إناء من الدم لفتاة آتية من بعيد فأخذته
و ذهبت به.

و في الصباح الباكر روت لوالدها ما رآته في حلمها، فكان تأويله لهذا
الحلم أنه عمر الوشم المقترن بسن البلوغ (2) و يجب عليها أن تشم، فأنفق
عليها مالاً ليرى الوشوم مجسدة على جسم ابنته أما والدتها فتمثل دورها في
اختيار نموذج من النماذج التي عرضتها الواشمة، و هكذا استغرقت عملية
الوشم حوالي اثنتي عشرة ساعة من الألم و المعاناة.

ولهذا الشكل عند المستوشمة قيمة بحميلية و هو علامة تميزها من الفتيات
الأخريات من القبيلة نفسها اللائي يحملن وشوما مختلفة.

و الشيء الذي أثار انتباهنا، يكمن في تلك النقاط الموشومة على
الأصابع و التي تبدو معزولة عن وشم ظهر الكف فهل تعتبر عنصرا دالا
مستقلا عن الوشوم الأخرى أو هي لصيقة بها و لا يمكن فصلها عنها؟

إن ما صرحت به حامله الوشم حول هذه النقاط الثنائية الموشومة على
الأصابع أنها مرتبطة كل الارتباط بالشكل النسيجي الموشوم على ظهر
الكف، المنتهي بشكل مخروط corné في مؤخرة الأسلة (3)، تفيد الزينة.

1- A. KHATIBI : LA BLESSURE DU NOM PROPRE : ED/ DENOEL PARIS 1973 P 81.

2 - إن الوشم عند بعض المجتمعات مقرون بسن البلوغ (أنظر : دولة موسى : الوشم دراسة ثقافية و اجتماعية، مجلة التراث الشعبي، ع 11،
دار الماحظ للنشر ، بغداد 1979 ، ص 51

3 - الأسلة: نصف الساعد الذي يلي الكف (أنظر الأمير أمين آل ناصر الدين : الرأفد - معجم لغوي للإنسان و البيئة، مكتبة لبنان، بيروت،
ط 02، ج 01، 1982، ص 27.

و الخاتم المحسد على الوسطى دليل على ذلك. فالكل يشكل لنا زينة متدلّية pendeloque (1) عوض أن تجسد على صدر المرأة، جسدها على اليد لأن من تقاليد المرأة الجزائرية أنها لا تشم منطقة الصدر و الظهر على غرار المرأة العراقية التي يصل و شمها إلى غاية الصدر(2) و كذلك المرأة البولونيزية (3) التي تشم الجسم كله. و هكذا أصبح الشكل النسيجي يأخذ طابع الحلّي التمييزي إنه اللباس الثاني الذي تكلم عنه الباحث " هربر " حينما عاين الوشوم التي تزخر بها المرأة المغربية آنذاك (4).

أما عن السبابة التي ينعدم فيها الوشم فهي أمر يرجع إلى الاعتقاد الديني لحاملة الوشم، حيث ترى أن السبابة هي إصبع مقدس يستعمل للشهادة و التحية أثناء الصلاة، و لهذا فلا يجب تشويهه بوشوم مما يستتج أن هذه الفئة من المجتمع تحاول دوما التوفيق بين تقاليدها أو طقوسها و اعتقادها الديني حتى و لو أدى بها الأمر أن تتناقض معه.

و أخيرا نقول إن حلم المرأة جسد على جسمها عن طريق عملية الوشم في شكل فريد من نوعه، لا يمكن لأيّ فنان مختص في ميدان الرسم أن يعيد رسمه كما هو ظاهر مما يدل على مهارة الواشمة في التقنين و التفنين في ميدان الوشم. و لهذا يمكن إدراج هذا النوع من الوشوم ضمن الوشم التجميلي ذات الدرجة العليا له قيمة المجوهرات و الحلّي. أما عن الدلالة التي يحملها هذا الشكل الزخرفي هي دلالة اجتماعية نفسية كون الوشم نتاج حلم.

1- FARIDA BENOUNICHE : BIJOUX DE L' ALGERIE. ENAG ALGER 1977 P 26.

2 - ليث الخفاف : وشم الحنك : مجلة التراث الشعبي، ع 03 و 04، دار الجاحظ للنشر، بغداد 1979، ص 47.

3- A. KHATIBI / LA BLESSURE DU NOM PROPRE : ED/ DENOEL PARIS 1973 P 79.

4- IBID , P101.

II - شكل زخرفي مفتوح :

(انظر الشكل رقم 16) إنه شكل زخرفي موشوم ابتداء من ظهر الأسلة مرورا بالمعصم إلى غاية الجزء الأول من ظهر الكف، ثم ينتقل إلى الأصابع باستثناء السبابة والإبهام لامرأة يبلغ عمرها حوالي 58 سنة. إنه شكل متكون من ثلاثة عناصر اتخذت لنفسها أرضية مختلفة من الجسم جسّد فيه حيث يظهر كما يلي:

1 - نقاط موشومة على الأصابع:

و تتموضع كما يأتي:

- أ- نقطتين لهما نفس الحجم موشومتين على الخنصر ذات شكل عمودي، و كل نقطة تحتل قسمة من الإصبع.
- ب- نقطتان على البنصر ذات حجم كبير عن تلك المجسدة على الخنصر، حيث كل نقطة لها مكانها الخاص بعيدا عن الأخرى.
- ج- تظهر لنا نقطتين متفاوتتين في الحجم موشومتين على الوسطى، حيث تمثل لنا النقطة الكبيرة المجسدة على القسمة الأولى من الإصبع بمثابة الخاتم. أما النقطة الموشومة على القسمة الثانية فهي نقطة عادية.
- د- يبدو لنا أنّ السبابة لم تظهر عليها النقاط الموشومة و هنا يبقى السؤال مطروح لماذا أبعدت السبابة من عملية الوشم؟ و هذا ما سوف نجيب عليه لاحقا.

2 - شكل زخرفي:

يظهر عبارة عن خطوط متقاطعة تأخذ صفا عموديا تشكل أحيانا معينات و تارة مثلثات يتوسطها صف من النقاط في شكلها العمودي

و بجانبها خط شعاعي عمودي هو الآخر يحتل منطقة الفتر (1) و تنتهي هذه الزخرفة بشكل نباتي موشوم على ظهر الأسلّة (2). غير أن الشيء الملاحظ في هذا الشكل الزخرفي الموشوم يتوسطه مساحة خالية من الوشم بينه و بين النقاط الموشومة على الأصابع مما يظهر لنا عبارة عن شكل مفتوح.

إنّ تأملنا الشكل الموشوم البارز بلونه الأخضر و كأنه حديث العهد رغم قدمه الذي يقدر ب 43 سنة لدليل على العمق الذي يكتسيه و التقنية التي استعملت فيه جعلنا نتساءل عن مضمونه و مكانته بالنسبة لحاملته و وسطها الاجتماعي.

لقد أفادتنا حاملة هذا الشكل الموشوم، أنها قامت بوشمه في السن السادسة عشر من عمرها، و ذلك في فصل الربيع -الذي يُعد من المواسم الأكثر نجاحا لعملية الوشم (3) فهو كذلك موسم نساء بني عامر في التجوّل بحثا عن طالبين الوشم - حيث عرض عليها نماذج من أشكال الوشم التي تريد تجسيدها على أعضاء جسمها، و كل نموذج تقابله قيمة مالية، فاختارت النموذج ذو القيمة المالية العالية، لأنه يُمثل الحلّي و الذي يُعرف بالعامية " كرفاج بولحية"، علما أن والد المستوشمة آنذاك كان يتمتع بثروة مالية زاخرة من أبقار و أغنام و أراضي فلاحية شاسعة، الشيء الذي جعلها تشم نموذج من أشكال الوشم المناسب لذلك. و بعدما وافق والدها على أن تترين بالوشم، بادرت الواشمة في عملية الوشم بوسائل تقليدية تتمثل في المشرط و الكحل. فبدأت في المرحلة الأولى بوخز النقاط على الأصابع و در عليها الكحل مباشرة

1 - الفتر : ما بين طرف الإبهام و طرف السبابة إذا بسطهما. (انظر: الأمر أمين آل ناصر الدين : الرافد - معجم لغوي للإنسان و البيئة،

مكتبة لبنان، بيروت، ط 02، ج 01، 1982، ص 27.

2 - المرجع نفسه، ص 28.

مع توسيع من حجم النقطة الموجودة على القسمة الأولى من الوسطى لتكتسي طابع الخاتم. ثم انتقلت إلى الجزء الثاني من ظهر الكف فبادرت في نقشه دون رسم مسبق مع حشوه مباشرة بمادة الكحل مما يدل على الخبرة و المهارة الفنية التي تتمتع بها الواشمة. و هكذا دامت عملية الوشم مدة ثلاثة ساعات للألم و المعاناة، فعلا إنها عملية مؤلمة تتطلب صبرا لمن أرادها. و بعد جفاف الجرح و زوال الآلام الناجمة عن عملية الوشم، لجأت المستوشمة إلى اقتطاف نبات جبلي كثير اليبخضور يعرف في وسطها الاجتماعي ب " بوقثونو" استعملته في حك الجرح ليترك أثرا لونه أخضر و بالتالي يحول لون اللون الأسود الذي خلفه الكحل سابقا.

أما عن مضمون هذا الشكل فصرحت أنه يفيد الزينة أي بمثابة الزينة المتدلية التي تتموضع على الصدر و هي من أعلى الحلي الذي كان يُصنع من الفضة الخالصة، غير أن تجسيده على منطقة الصدر عن طريق عملية الوشم يبدو غير منطقي بالنسبة للمرأة الجزائرية، لأن الوشم على الصدر من اختصاص الرجال (1). و من ثم ارتأت أن تجسده على ظهر الكف باعتباره عضوا بارزا من الجسم من جهة و ليقى حليّ أبديّ من جهة أخرى دال على حلي حقيقي يوضع على الصدر يُعرف في الأوساط الشعبية ب "كرفاج بولحية" نسبة للشكل الذي ينتهي به و المشوم على ظهر الأسلة حيث يظهر عبارة عن لحية أسفل الدقن.

غير أننا نتساءل هنا حول هذا النموذج من الحلي المشوم على ظهر اليد هل كان دليل على افتقار المستوشمة لهذا النوع من الحلي - علما أنها من طبقة بورجوازية - أو كان لغرض آخر؟ و لماذا لم تكتف بالحلي الحقيقي

1 - د/ عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و إجتماعية : المكتبة العصرية، صيدا، لبنان 1969، ص 189.

و المصنوع من الفضة كزينة متدلّية بما أن هذا النوع من الحلّي عرفه المجتمع الجزائري مند القدم (1)؟

لقد صرحت المستوشمة أن وشمها هذا راجع إلى حبها لهذا النموذج من الحلّي المتدلّي، الذي تستعمله في المناسبات والمسمى في الأوساط الشعبية بـ «كرفاج بولحية»، جعلها تحلم دوماً به وتتمنى في يوم من الأيام أن تصل إليه و تجعله للأبد على جسمها.

أما عن النقاط الموشومة على الخنصر و البنصر و النقطة التي تظهر على القسم الثاني من الوسطى لها علاقة مباشرة بالزخرفة الموجودة على القسمة الثانية من ظهر اليد، فتشكل السلسلة التي توضع على العنق يربط فيها الحلّي ليأخذ شكل الزينة المتدلّية Pendeloque (2) و الذي ينتهي بزخرفة صغيرة تمثل اللحية.

نستنتج أن الشكل الزخرفي الموشوم على جسم المرأة إشباع هوامي "satisfaction fantasmatique" وهوام المرأة هنا لا يتناقض مع الواقع الذي يبرز فيه الحلّي كحقيقة، المستعمل من طرف والدتها و أقاربها. ومن هنا تكون هوام الفتاة الذي بدأ يراودها في أحلامها اللاواعية و أحلام اليقظة. فتجسد على شكل وشم، و إلا انعكس و تحول إلى صدمة نفسية (3).

1- TATIANA BENFOUGGAL : BIJOUX DE L'AURES. ED/ ENAP ,ALGER 1977 P 157.

2 -معجم المصطلحات (التحليل النفسي) جان لا بلاش د. ج. بيوتنايس -ترجمة الدكتور مصطفى ججازي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر - ط 01، 1985، ص 420

3 - المرجع نفسه، ص 574.

كما يمكن اعتبار الوشم المجسد على جسم المرأة ما هو إلا إشباع نرجسي " Satsfaction narcissique " (1)، تريد من خلاله أن تتصدر قائمة الجمال في زمانها.

خلاصة القول أن الشكل الزخرفي المفتوح الموشوم على ظهر يد المرأة يدرج ضمن الوشوم الزخرفية ذات الطابع الجمالي التمييزي، ذو دلالة سوسيو نفسية.

III - شكل زخرفي ذو عناصر متباينة :

(انظر الشكل رقم 17) إنه شكل زخرفي متباين العناصر موشوم على باطن الساعد الأيسر لامرأة تبلغ من العمر 56 سنة هي كما يلي :

- خطان شعاعيان : ذو حجم كبير، يظهران في شكل متوازي و متباعدان عن بعضهما البعض ينتهيان عند المعصم أين يربطهما خطا شعاعيا آخر يظهر في شكله الأفقي و كأنه سقف.

- صف يتكون من أربعة نقاط موشومة في شكلها العمودي تتوسط الخطان الشعاعيان.

- على الجهة اليسرى من باطن الساعد و في أسفل الخط الشعاعي الموجود على اليسار هناك شكل مستقل موشوم يمثل لنا (الخمسة) اليد.

- على الجهة اليمنى و أسفل الخط الشعاعي الموجود يمينا يظهر لنا شكل يشبه حبة القمح ذو حجم كبير تتوسطه بقعة بيضاء متمثلة في لون الجلد.

1 - خان لابلانش و ج بورتاليس ، ت . مصطفى حجازي : معجم المصطلحات التحليل النفسي ، د . م . ج ، الجزائر 1985 ، ص 512 .

إن المتأمل إلى هذا الشكل الموشوم يذهب حتما إلى الجزم بأنه وشم حديثا أي نشأته على العضو لا تتعدى شهرا وذلك نظرا لبروز لونه الأخضر الساطع و يلفت النظر من بعيد و لكن الحقيقة غير ذلك فإن الشكل الموشوم حسب ما صرحت به قابلية وشمته في السن الخامس عشر من عمرها معنى ذلك يقدر قدم هذا الشكل ب 41 سنة و رغم ذلك لا زال أثره قائم ينتظر من يوليه الاهتمام مما يدل على التقنية و الوسائل التي استعملت فيه حيث صرحت المستوشمة أنها استدعت أحسن

و أتقن نساء بني عامر في فن الوشم، و كانت الفترة المناسبة للعملية هي فصل الربيع (شهر مارس) حيث يكون الجلد مهياً (1) للوخز أو الغرز و هكذا بادرت الواشمة عملها بعد اختيار الأشكال التي تريد المستوشمة تجسيدها على جسمها، ثم باختيار العضو التي تقام عليه عملية الوشم دون رسم مسبق للشكل و الشيء الملاحظ في عملية الوشم تكون الموافقة من طرف مجلس العائلة أي الوالد والوالدة والجددة إذا كانت حاضرة لأن الواشمة تتفاوض بادئ ذي بدء مع أهل الفتاة التي تريد الوشم و بالتالي هم الذين يتحملون مصاريف الوشم من محاصيل زراعية و نقود مالية تمت عملية الوشم هذه في غرفة لا توجد فيها الواشمة والمرأة طالبة الوشم، و لا يحقق لأي فرد من أفراد عائلتها تتبع عملية الوشم عن قرب و لا المرأة نفسها أن تنظر في الكيفية التي تشم بها الواشمة إنه قانون الوشم عند نساء بني عامر. و كانت الفترة التي استغرقت فيه العملية مدة ساعة ونصف للألم والمعاناة، وبعد جف الجرح من الدم و زوال الألم لجأت المستوشمة إلى نبات جبلي يعرف بالنيلة يترك أثر لونه أخضر الجسم و به يحك الجرح حتى يصير أخضر و هكذا يظهر

الوشم و يحافظ على لونه لحد الآن. غير أنه يبقى السؤال مطروح حول المعاني التي تحملها هذه العناصر المتباينة في الأشكال و التي تشكل لها زخرفة بما أن العلاقة بين الذل و المدلول في الوشم نسبية جعلنا حتى اللجوء إلى حامل هذه الوشوم للحصول على معانيه لقد سألنا حاملة هذا الشكل الزخرفي المركب و المتباين في أشكال عن ما ذا يمثل لها أو ماذا تخفي هذه الأشكال الموشومة على جسمها ؟

لقد أفادتنا صاحبة هذا النموذج الزخرفي الموشوم على أن مدلوله يكمن في ما يلي :

- إن الخط الأفقي الذي يظهر في شكله المعوج و الموشوم على مقبض اليد يدل على نهاية الحقل الزراعي و كأنه حصار (سياج Siège) يميز الحقل عن الحقول الأخرى.

- أما بالنسبة للخطين الشعاعيين يظهران بحجم يفوق حجم الخط الشعاعي الذي تشمه المرأة على الجبهة فهؤلاء الخطان يمثلان الأشجار دالة بنفسها على الخصوبة و بالتالي تدل كذلك على وجود المياه.

- أما عن النصف العمودي المكون من أربعة نقاط الموجود ما بين الخطين فيمثل الحرث مما يؤكد على أن بصدد الجانب الفلاحي.

- أما عن النقطة الكبيرة الحجم الموشومة أسفل الخط الشعاعي الأيسر فهي تدل على حبة القمح التي تنتظرها بفارغ الصبر فهي رمز العطاء بما أنها من مكونات السنابل.

- أما عن اليد (الخمسة) الموشومة أسفل الخط الشعاعي الأيمن فإن المراد منها تلك الطلسم أو التعوذة التي يلجأ لها المجتمع التقليدي عادة لحمايته من العين الشريرة أو الكوارث الطبيعية.

إذا فاليد (الخمسة) رمز قديم عثر عليه مجسد على صخور طاسيلي (1) و كذلك استعمله الفراعنة (2) قديما كرمز لمواجهة العين الشريرة و غيرها من الشؤم. و استمر هذا الرمز في وجدانيته إلى يومنا هذا حيث نجده مجسد على جدران المنازل و مداخلها و كذلك داخل المحلات التجارية يحمل نفس الدلالة.

و لهذا فالغرض من الخمسة الموشومة هو حماية الحقل بما فيه من أشجار و محاصيل زراعية إذا فمن خلال تحليل هذه العناصر نستنتج أن المرأة الموشومة من مجتمع زراعي تميل كثيرا إلى هذا الميدان. إنها تعتمد على قوتها اليومي على المحاصيل الزراعية.

و أخيرا نستخلص أن هذا الشكل الزخرفي المرتب من عناصر متباينة الوشوم على مقبض اليد ما هو إلا تعبير عن الحياة اليومية التي عاشتها هذه المرأة في الوسط الاجتماعي و هي حياة بسيطة لا تظهر فيها مؤشرات العنف كالتى نجدها مجسدة عند بعض الذكور المتمثلة في الخنجر و الأفعى و غيرها من الرموز إنها حياة اجتماعية يبرز فيها الواقع من جهة المتمثل في الثروة الزراعية أي الاعتقاد في اليد (الخمسة) التي سوف تحميهم من المصائب. و لهذا يمكن إدراج هذا النوع من الوشوم ضمن الوشم الاعتقاد لأن المرأة هنا لها اعتقاد تلي بالجانب الزراعي، و بالتالي فإن الدلالة التي تحملها هذا الشكل الموشوم هي دلالة اجتماعية اقتصادية.

1- MALIKA. HACHID : LES PIERRES ECRITES DE L'ATLAS SAHRAOUI , TOM 01, ENAG ,ALGER 1992 ,P152.

2- د/ عبدالجليل الطاهلر : المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العالمية، صيدا، لبنان 1969، ص201.

IV- شكل زخرفي ثلاثي التركيب :

(انظر الشكل رقم 18) إنه شكل زخرفي ثلاثي التركيب يمتد وشمه ابتداء من ظهر اليد إلى غاية نهاية الساعد لعجوز تبلغ من العمر حوالي 75 سنة.

يقدر طول هذا الشكل الموشوم ب 14 سم أما عرضه فيختلف من عضو إلى عضو أخر فإن الشكل الموشوم على ظهر اليد يقدر عرضه ب 5,4 سم أما على مستوى المعصم يقدر ب 5,2 سم أما على الساعد فيبلغ عرض الشكل 3 سم.

لقد وشم هذا الشكل حسب ما صرحت به العجوز في 1940 لما كان عمرها 15 سنة و رغم قدمه مازال بارزا، ذو عمق واضح يعكس التقنية الماهرة التي استعملت فيه.

و يذكر أن العملية استغرقت أسبوعا في تشكيل هذه اللوحة الفنية على عضو من أعضاء الجسم بوسائل بسيطة فأخذ لونه الأسود بخلاف الوشوم الأخرى التي تظهر خضراء أو زرقاء.

وأما عن معناه، فقد قالت العجوز إنه علامة تميز بها الطبقة الاجتماعية من الأخرى. حيث كانت وحيدة والديها اللذين ينتميان إلى الطبقة البورجوازية؛ فعمدت أمها إلى وشمها حتى تميزها من الفتيات الأخريات.

و هذا الشكل -حسب المستوشمة- مركب من أجزاء مختلفة متموضعة على مناطق مختلفة من الجسم و هي كالآتي:

1- على ظهر اليد:

تظهر خطوط متشابكة و نقاط تنتهي بخطوط متوازية متوجهة نحو الأصابع ممثلة الزربية التي كانت فراش الطبقة البورجوازية آنذاك.

2- على النصف الأول من الساعد:

بما أن هذا العضو مهياً لحلي خاصة عند المرأة فإن أمها وشمت لها أشكال تأخذ صفة الحلي، إنها السلاسل المسحلية و عددها ثلاثة تأخذ شكل الجنزير "Gourmette" وتدل على قيمته وجودته.

3- النصف الثاني (نهاية الساعد):

يعبر هذا الشكل عن الأشجار المثمرة التي تمثل الثروة الفلاحية. وفي ضوء هذا الحديث، نستطيع تفكيك هذا الشكل إلى ثلاثة عناصر جوهرية وهي:

أ- الزربية:

تمتد هذه الزربية الموشومة ابتداء من ظهر اليد إلى غاية المعصم وهي مشكلة من خطوط متشابكة تأخذ شكل المعينات في صفوف عمودية، بينها خطان متوازيان بهما نقاط في صف عمودي.

و ينتهي شكل الزربية الموشومة بخطوط كثيفة متوازية- تمثل الأهداب التي تنتهي بها الزربية المنسوجة -على ظهر يدها لدليل على اهتمام هذه العجوز بصناعة الزرابي التي تعتبر فناً نسائياً قديماً (1) مارسته المرأة المصرية في عهد الفراعنة. (2)

1 - ينظر - مجلة الحياة الثقافية ص 68.

2- M. BDJAOUI / ARTS POPULAIRE RUREAUX , ALGER 1975 P 27.

وفضلا عن ذلك، فإن هذا الشكل يدل صراحة على تجذر حب العجوز للزرايبي في عقلها الباطن لأنها خريطة الرغبات و الإرادات التي تعوقها غريزة الألوان و عقدها الهندسية (1).

فعقل العجوز كان في عهد الطفولة منصبا على صناعة الزرايبي لأن التعليم حصره الاستعمار الفرنسي في فئة معينة فكان على الأهالي التوجه إلى الحرف أو الصناعة التقليدية الموروثة عن الأجداد.

و الزربية فن قديم في الوسط الجزائري شأنها في ذلك شأن ظاهرة الوشم من حيث التقنية والأشكال. فمن حيث التقنية، نجد الزربية و الوشم يتقاطعان في مجموعة نقاط، تكون في الزربية معقودة و في الوشم مغروزة بواسطة إبرة أو نحوها (2). ومن حيث الأشكال فإنها تتداخل في الحقلين معا، فنجد المثلث و المعين و غيرهما؛ تعبيرا عن مكونات نفسية من خلال تجسيد عنصرين جوهريين في الفنون الشعبية على مساحة بارزة من جسمها هي ظهر اليد لتبقى الزربية أبدية و رمزا للذاكرة، فكلما رفعت يدها لشرب أو أكل و رأت وشمها تذكرت عهد المراهقة المليء بالسعادة.

ب - الجنزير " Gourmète " :

موشوم على وسط الساعد الأيسر لهذه العجوز و هو ثلاث سلاسل مختلفة الأشكال. فهل يرجع لجوء هذه العجوز إلى تجسيد هذه الأشكال المعبرة عن الحلبي عن طريق الوشم إلى استحالة الحصول على المجوهرات آنذاك أو إلى فقدان الحلبي ؟

1 - بنظر - مجلة الحياة الثقافية ص 67.

2- A. KHATIBI / LA BLESSURE DU NOM PROPRE ,ED/DENOEL ,PARIS 1973, P 70.

إن الحديث عن الحلبي، من حيث هو وسيلة تزيين و تحميل، ليس حديث العهد وإنما هو قديم، لجأ الإنسان إليه قبل تعلمه كيفية ارتداء الملابس إذ أخذ يفكر في تزيين جسمه و تحميله عن طريق أطواق و عقد مصنوعة من شدره بيض النعامة، و الزينة المتدلية بواسطة حجارة مصقولة و منقوشة أكتشفت في مبانينا التاريخية التي لا زالت شاهدة على هذا النوع من التراث (1)، أضف إلى ذلك الحلبي المعدني الذي استعملته المرأة الأوراسية الممتد أصله إلى العهد الفينيقي و القرطاجي - خلال القرن التاسع قبل الميلاد- حيث يرجع لهم الفضل في إدخال تقنيات جديدة على صناعة الجواهرات بمنطقة شمال إفريقيا (2) مما يؤكد معرفة المجتمع الجزائري بصناعة الحلبي و الجواهرات مما ينفي الفرضية التي تقول بانعدام الجواهرات لدى المرأة الريفية و وجودها عند الطبقة البورجوازية و المتوسطة أحيانا.

ولكن ما الذي دفع العجوز و هي التي تنتمي إلى الطبقة البورجوازية أن تشم هذا الشكل ؟ أننا لا نجد لهذا السلوك تفسيرا سوى أنها أرادت أن تدلل على ملكة الحلبي و تخلدها على ساعدها.

ج - الأشجار :

هي أشكال تأخذ صفة شجرة الكاليتوس " Calyptus " موشومة على مؤخرة الساعد الأيسر، تختلف في الطول حيث نلاحظ خط يمثل شجرة طويلة وعلى جانبيه أشجار صغيرة في شكل صلبان.

1- FARIDA BENOUNICHE : BIJOUX ET PARURES D'ALGERIE , AIGER 1977, P 07.

2- TATIANA BENFOUGHAL / BIJOUX DE L'AURES , SERIE ETHNOGRAPHIQUE ,ENAP ALGER 1978 P19.

و وجود الأشجار هنا، يذكرنا بالزراعة في المجتمع الريفي الذي تنحدر منه هذه العجوز و هي في نظرها علامة على الثروة الفلاحية التي تزخر بها أسرتها في حين نجد النساء المجتمع الأوراسي تكثر لديهن وشوم تتخذ شكل أشجار دون معرفة دلالتها (1).

و أضرب الأشجار التي نجدها في هذا الشكل هي في نظر العجوز كما يلي :

- شجرة ذات ساق طويل: ترمز إلى الأراضي الزراعية المحيطة بها، الموروثة عن الأجداد السابقين الذين ينحدرون من أصل واحد. وطولها مؤشر على قدمها وتدل على تاريخ أجيال سابقة عمرت تلك الأرض، كما تدل على وجود الماء و الاخضرار

- أشجار صغيرة : هي أشجار غرسها والدها في عز شبابه لكنها لم تنم كثيرا بسبب الجفاف الذي أصاب المنطقة آنذاك وهي كثيرة تحاصر الأراضي الأخرى، دالة على وجود حياة بشرية مستقرة ولها دور فعال يتمثل في حماية الأراضي الفلاحية من ظاهرة التصحر و انجراف التربة.

ومن خلال تحليلنا عناصر هذا الشكل، نستخلص هذه النتائج :

- للعجوز دراية بشؤون الزراعة.
- لها معرفة بصناعة الزرابي.
- إن المجوهرات التي تحملها العجوز ميراث رمزي، لا يمكن الاستغناء عنه لأنه يعبر عن اللاشعور الجمعي.

1- MATHEA GAUDRY: LA FEMME CHAOUIA DE L'AURES (ETUDE DE LA SOCIOLOGIE BERBERE) ED/ PAUL GEUTHNER 1929 , P 150.

والشكل فضلا عن ذلك يعبر عن واقع اجتماعي حقيقي عاشته العجوز
مع أسرتها في عز شبابها وجسده الوشم الذي كان له مكانة في وسطها
الاجتماعي، يمكن إدراجه ضمن الوشم التسجيلي لأنه يسجل لنا تراثا يكتب
له الخلود و البقاء في ثقافتنا الشعبية ثم إن الدلالة العامة التي يحملها هي دلالة
ثقافية اجتماعية.

الخاتمة

أفرزت دراسة ظاهرة الوشم و مناقشة أبعادها المختلفة نتائج عدة،
نسوقها في النقاط الآتية:

1- الوشم ظاهرة قديمة، تركت بصماتها في مختلف الحضارات، و ما تزال الدراسات عن أصولها تقدم نتائج ظنية شأنها في ذلك شأن اللغة، معتمدة على الحفريات تارة و الفن الصخري تارة أخرى.

2 - عرفت هذه الظاهرة تطورا تاريخيا ملحوظا، عكسته المفاهيم التي أفرزتها البنيات الاجتماعية المختلفة، فقد أخذ مفهوما اعتقاديا تظهرت فيه الطوطمية و برزت الأسطورة بمختلف تجلياتها.

و في مرحلة أخرى، أصبح المجتمع الإنساني يولي الجسم اهتماما خاصا، فعمد إلى إدخال تحسينات عليه في شكل وشوم تجميلية و تزيينية، تلقى لها ذيوعا في المجتمع النسوي.

على أن انقراض الوشم التجميلي لدى المرأة، ترك المجال واسعا أمام انتشار الوشم الجنسي لدى الرجال خاصة.

و مع التطور الاجتماعي، أصبح الوشم ذا قيمة فنية تضاهي القيمة التي تكتسبها اللوحة الزيتية عند المتلقي.

3- خضعت تقنية الوشم لتطور ملحوظ، فقد أعتمد بادئ ذي بدء على وسائل تقليدية مثل شوك النباتات و أنياب الحيوانات و الحديد الذي كان يُستعمل في وشم العبيد و السجناء قديما. ثم أستفيد من التطور العلمي الحاصل، فعدا الإجراء الأول في العملية هو رسم الفكرة المراد تجسيدها ثم نقشها بعد بواسطة إبر أو نحوها، و حشو الجرح بالخير الصيني ليكتسي اللون الأخضر.

استمرت هذه التقنية إلى غاية سيادة مفهوم الوشم في الفن التشكيلي، حيث ابتكرت آلات إلكترونية لإزالة الألم الذي كانت تسببه الإبر من جراء عملية الوخز، و هذه الطريقة تعتمد حاليا في المجتمع الغربي. على أن إزالة الوشم تبقى مشكلة مطروحة، فكل المحاولات التي قدمت باءت بالفشل الذريع.

4 - إن معظم أشكال الوشم مستمدة من مظاهر الطبيعة الخارجية مثل النبات، الحيوان، الجماد. و تظهر كما يلي :

- شيوخ الأشكال النباتية التي تنصدرها السنبله و سعف النخيل في مجتمع النساء.

- تنتشر الأشكال الحيوانية و الجمادية في الوسط الرجالي.

5- تعدّ مظاهر الطبيعة الخارجية متنفسا يعكس معالم الطبيعة الداخلية للواشم في تجلياتها المختلفة من حب / كره، و فرح / حزن، و أمل / يأس و قوّة / ضعف، و وفاء / غدر. . . الخ.

6- يعتبر الوشم عند المرأة الجزائرية التقليدية بمثابة إشباع هوامي نظرا للغموض الذي كانت تراه في صورتها الجسمية، و ذلك مند الطفولة. أما عند الرجل في الوسط الجزائري، فيعتبر الوشم عملية عصابية جماعية.

و الشيء الملاحظ أنه رغم السلبيات التي أصبح يخلفها الوشم في عصرنا الحالي، كالإيدز و السرطان و غيرها من الأمراض المعدية، فضلا عن تلك التشويهات التي يتعرض لها الجسم المشوم إثر محاولة إزالة الوشوم، إلا أنه لازالت بعض الفئات الاجتماعية و لاسيما في المجتمع الغربي تلجأ إلى هذه الممارسة اعتقادا منهم أنها موضة العصر.

فما موقف الطب من هذه الممارسة البربرية على الجسم؟ وهل بإمكانه وضع قوانين صارمة لمنع هذه الممارسة حفاظا على الوسط الاجتماعي؟ وماهي التدابير التي يجب اتخاذها من أجل القضاء على هذه الظاهرة؟

الملاحق



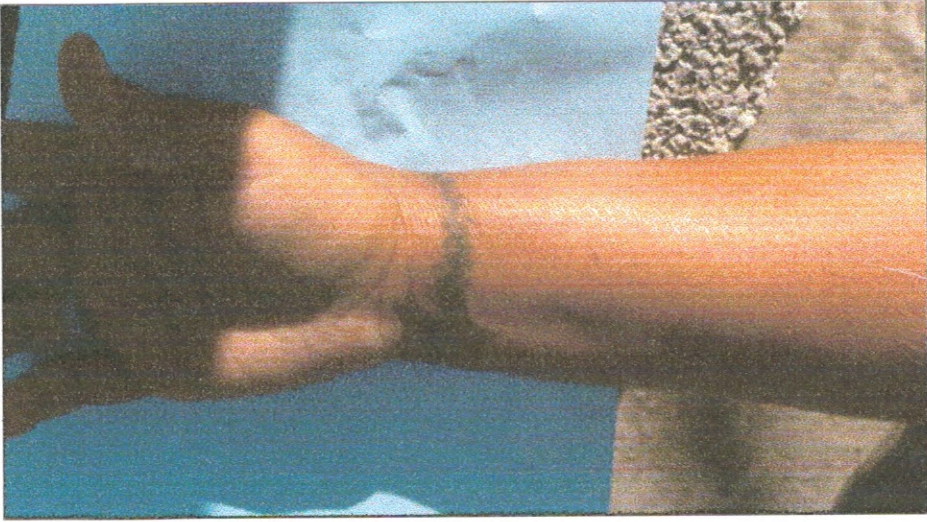
الشكل رقم : 01



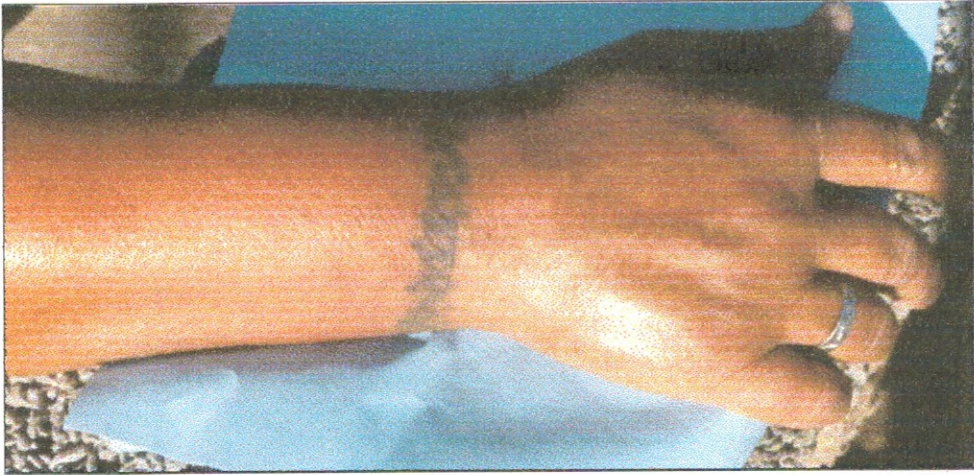
الشكل رقم : 02



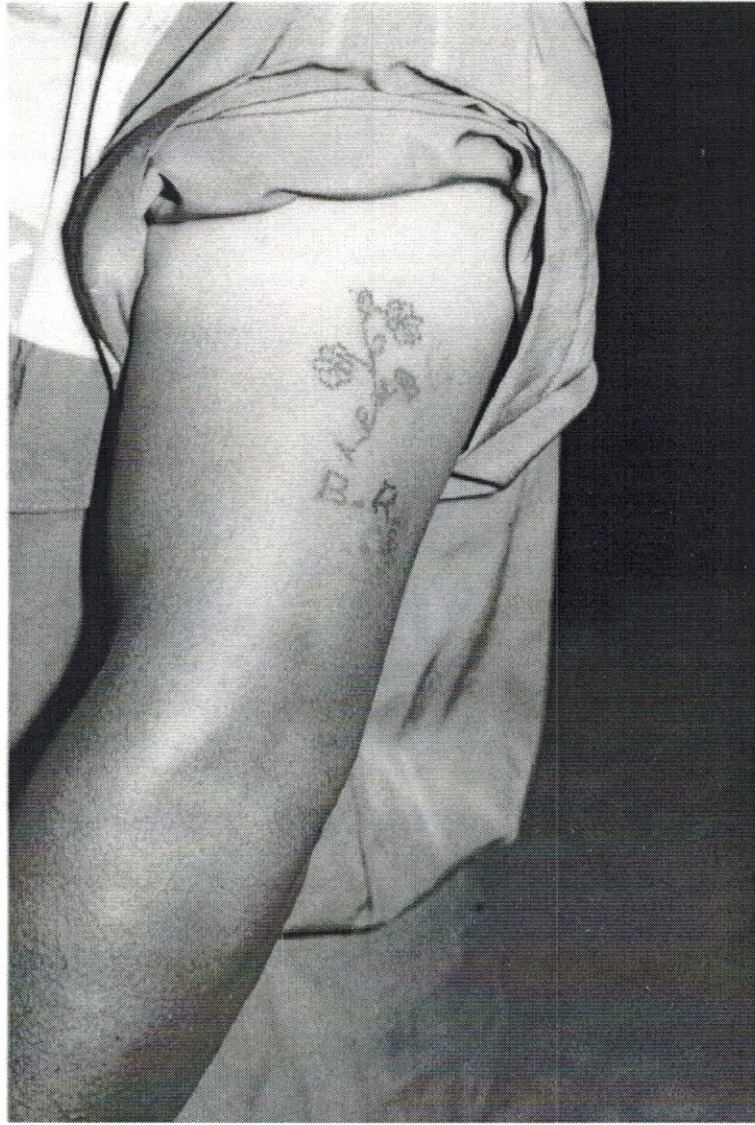
الشكل رقم : 03



الشكل رقم : 05



الشكل رقم : 04



الشكل رقم : 06



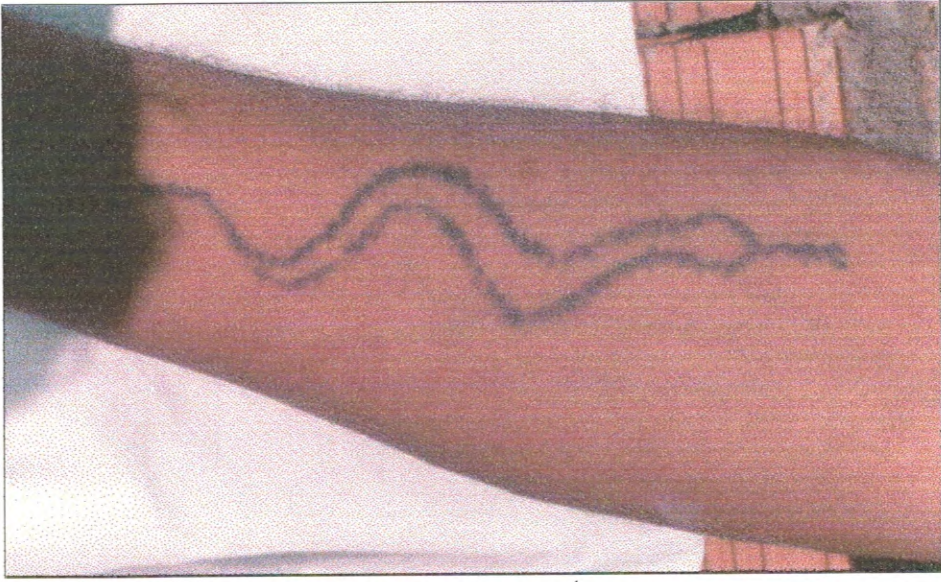
شبي : رقم ٥٧ الشكل رقم : ٧



شبي : رقم ٥٨ الشكل رقم : ٨



الشكل رقم : ٩



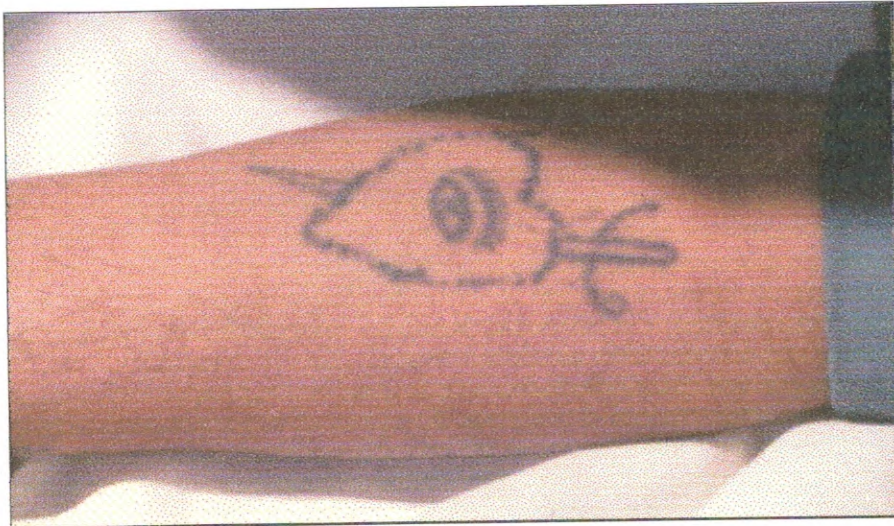
شئ رقبه 11 الشکل رسم: 11



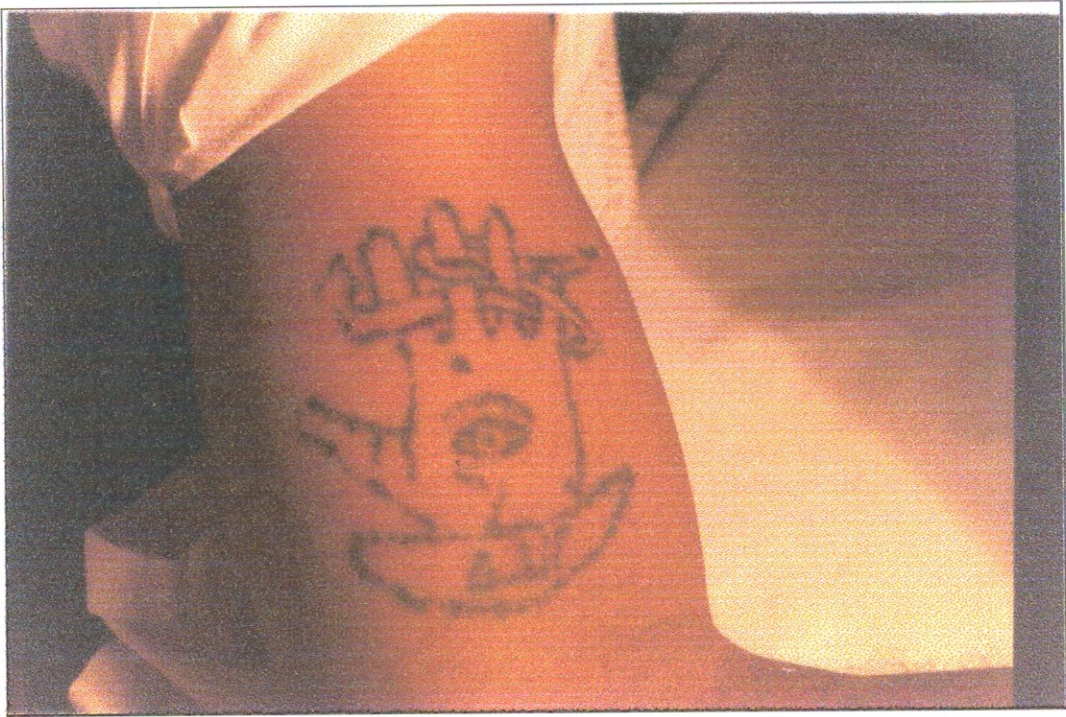
الشکل رسم: 10



الشكل رقم : 12



الشكل رقم : 13



استکل رسم : 14



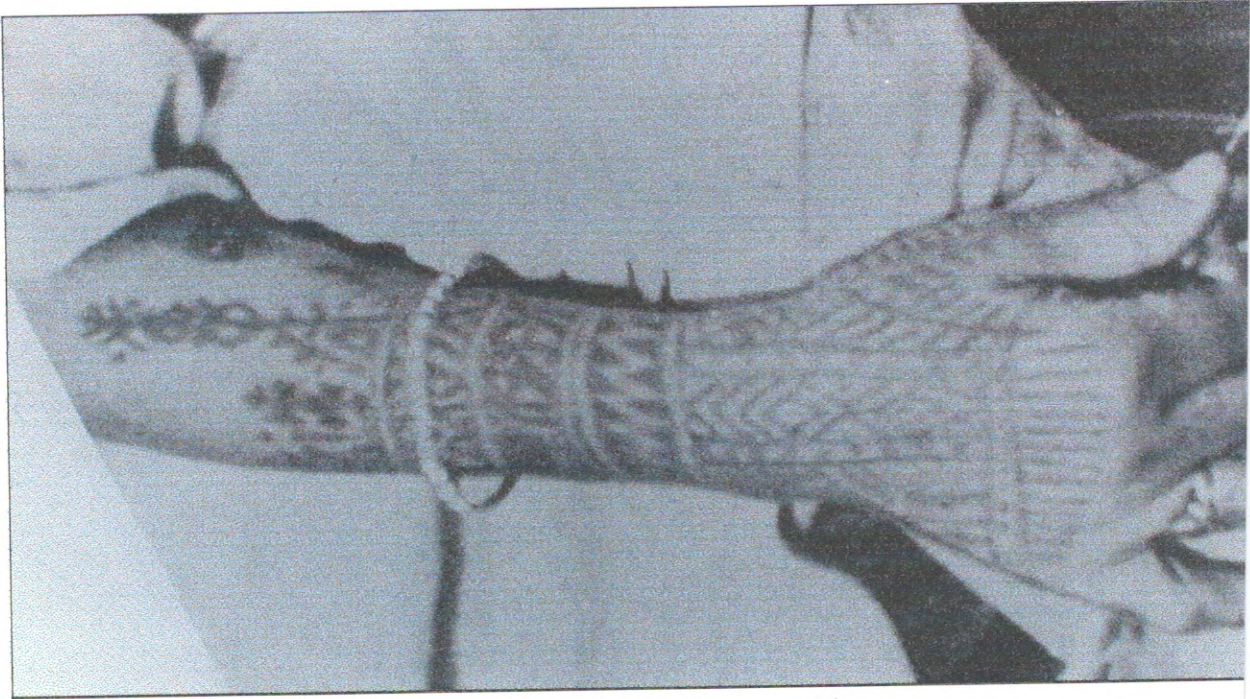
الشكل رقم: 17



الشكل رقم: 15



الشكل رقم : 16



الشكل رقم : 18

قائمة المصادر والمراجع

I - المصادر :

1- القرآن الكريم

2- الدواوين وشروحها :

1.2- جمهرة أشعار العرب : أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، دار بيروت للطباعة و

النشر ط01 بيروت 1984.

2.2- ديوان الأعمشى : دار بيروت للطباعة و النشر، ط01، بيروت 1986.

3.2- ديوان ابن مسايب: الحفناوي أمقران السحنوني و أسماء سيفاوي: ، د. م. ج،

الجزائر 1990.

4.2- ديوان طرفة : دار بيروت للطباعة و النشر، ط01، بيروت 1402 / 1982م.

5.2- ديوان عبيد بن الأبرص: دار صادر للطباعة و النشر، دار بيروت للطباعة و النشر،

ط01، بيروت 1964.

6.2- ديوان مصطفى بن براهيم : د/عبدالقادر عزة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع

الجزائر 1977

7.2- شرح ديوان أبي تمام : إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني ط01 بيروت 1981.

II- المراجع

I- باللغة العربية:

- 1- د/ إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلومصرية للطباعة، ط02 1963.
- 2- إ/ ابن سيرين : تفسير أحلام التفاؤل، دار الكتب العلمية، بيروت ط01 1990.
- 3- ابن المقفع : كليلة و دمنة، موفم للنشر، بيروت 1980.
- 4- د/ أبو صالح الألفي : الفن الإسلامي، دار المعارف، مصر 1969.
- 5- أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد (الأصفهاني) : الأغاني، دار الثقافة، ط06، بيروت 1404 هـ/ 1983 م.
- 6- د/ أبو المجد أحمد : الإجهاد الديني المعاصر، دار البحث للطباعة و النشر قسنطينة، ط01 1985.
- 7- أحمد بن حنبل : المسند، مطبعة المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط04، 1403 هـ - 1983 م.
- 8- د/ أحمد بن نعمان: الشخصية الجزائرية من منظورها الأنثروبولوجي، د. م. ج 1990
- 9- د/ إسماعيل رسلان : الرمزية في الأدب و الفن، د. ت.
- 10- إعداد المكتب العالمي للبحوث: الإنسان و الدين، بيروت 1989.
- 11- د/ تسعديت أيت حمودي: أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، دار الحدائنة، بيروت ط01 1986.
- 12- ج. كي. زيرو : تاريخ إفريقيا العام، مج الأول، جين أفريك، اليونيسكو 1980.
- 13- د/ جمال الدين الرمادي: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، دار الكتاب اللبناني، د. ت.
- 14- د/ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت 1980.
- 15- د/ حي محمودي: الأعشاب الطبية(من الحديقة النبوية)، المطبعة الجزائرية للمجلات و الجرائد 1994.
- 16- دائرة المعارف الدينية و الأخلاقية، الجزء الربع.
- 17- د/رشاد رشدي: نظرية الدراما من ارسطو إلى الآن، مكتبة الأنجلومصرية 1988.

- 18- شارل أندري جوليان، د/محمد مزالي، البشير بن سلامة: تاريخ إفريقيا، دار السداد التونسية للنشر 1969.
- 19- د/عادل فاخوري: علم الدلالة عند العرب (دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة)، دار الطبعة بيروت د. ت.
- 20- د/عبد الجليل الطاهر: المجتمع الليبي دراسة أنثروبولوجية و اجتماعية، المكتبة العلمية، صيدا لبنان 1969.
- 21- د/عبد الحميد رابد و جمال الدين مختار: الحضارة المصرية في العهد الفرعوني.
- 22- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، الجزائر-بيروت 1982.
- 23- عبد الرحمان بن خلدون: ديوان المبتدأ و الخبر من أيام العرب و العجم و البربر للبارون ملان ج 02 1847.
- 24- د/عبد الصادق صالح: الفن الصخري في شمال إفريقيا، د. م. ج 1990.
- 25- عبد العزيز البكري: المسالك و الممالك، الخزينة العامة للرباط رقم 488.
- 26- عبد الله ناصع علوان: تربية الأولاد في الإسلام، ج 01، دار السلام للطباعة و النشر حلب بيروت، د. ت.
- 27- د/علي البطل: الصورة في شعر العرب، د. م 1981.
- 28- د/علي زيعور: التحليل النفسي للذات العربية، بيروت 1977.
- 29- د/علي عبد المعطي محمد: مقدمات في الفلسفة، دار النهضة العربية بيروت 1985.
- 30- د/علي عبد المعطي محمد: فلسفة الفن، دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت 1985.
- 31- د/عمر بن قينة: أشكال التعبير في القصة الليبية القصيرة، م. و. ك الجزائر 1986.
- 32- د/فاروق إسماعيل: الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ج 01 1984.
- 33- د/فوزي العنتيل: الفولكلور ما هو؟ القاهرة 1987.
- 34- د/مبارك الملي: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، الجزائر 1976.
- 35- د/محمد أبو ريان: فلسفة الجمال و نشأة الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية، مصر 1988.

- 36- محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البحاري، محمد أبو الفضل إبراهيم : أيام العرب في الجاهلية، دار الجليل، بيروت 1988.
- 37- محمد بن علان الصديقي الشافعي : دليل الصالحين لطرق رياض الصالحين (شرح كتاب دليل الصالحين للإمام النووي)، مج 04، دار الفكر، بيروت، د. ت.
- 38-د/محمد جمال الدين مختار: الحضارة المصرية في العهد الفرعوني.
- 39 -د/ محمد رياض : الإنسان دراسة في النع و الحضارة، دار النهضة، بيروت 1975.
- 40-محمد شكري الألويسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ط03، ج03 دار الكتاب العربي، مصر د. ت.
- 41- /محمد عزة دروزة : تاريخ الجنس العربي 5 /234.
- 42-د/محمود عودة : أساليب الإتصال و التغيير الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت د. ت.
- 43-د/ ميشال زكريا : الألسنية (عل اللغة الحديث، المبادئ و الإعلام)، المؤسسات الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط02 1983.
- 44-د/نورالدين طوالي: الدين و الطقوسو التغيرات، ديوان المطبوعات الجامعية.
- 45- نور الدين عبد القادر: كتاب القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمان المجدوب، المطبعة الثعالبية بالجزائر د. ت.
- 46- ويل ديورانت : قصة الحضارة، الجزء 02 بيروت د. ت.

II- باللغة الأجنبية:

1- بالفرنسية:

- 1- A .Khatibi : LA BLESSURE DU NOM PROPRE ; ED/ DENOEL PARIS 1973 .
- 2- A .Khatibi : MAGHREB PLURIEL ; ED/ DENOEL PARIS 1983 .
- 3- ARPAG .MEKHITARIAN : LA PEINTURE EGYPTIENNE ; ED/ ART ALBERT SKIRA S .A GENEVE 1978 .
- 4- BRUNO .BETTELHEIM : PSYCHANALYSE DES CONTES DE FEES; ED/ ROBERT LAFFONT PARIS 1976 .

- 5-C .METZ : LANGAGE ET CINEMA ; PARIS LAROUSSE 1971 .
- 6-C .METZ : ESSAI SUR LA SIGNIFICATION AU CINEMA ; ED/ KLINCKSIECK
TOM 02 PARIS 1971 .
- 7- CLAUDE LEVI-STRAUSS : LE TOTEMISME AUJOURD'HUIT; ED/ PUF PARIS
1974 .
- 8- CLAUDE LEVI-STRAUSS : L'IDENTITEE ; ED/ PUF PARIS 1975 .
- 9- DAN .SPERBER : LE SAVOIR DES ANTHROPOLOGUES ;ED/ HERMANN
PARIS 1982 .
- 10-EDMON .LOCARD : TRAITE DE CREMINALISTIQUE ; PARIS 1932 .
- 11-11-EDWARD .WESTERMARK : SURVIVANCES PAIENNES DANS LA
CIVILISATION MAHOMETANE ED/ PAYOT PARIS 1959 .
- 12-EUGENE .DAUMAS : MOEURS ET COUTUMES DE L'ALGERIE ; ED/
SINDBAD PARIS 1988 .
- 13-FARID UD DINE .ATTAR : LE LANGAGE DES OISEAUX ; ED/ SINDBAD PARIS
1982 .
- 14-FARIDA .BENOUNICHE : BIJOUX ET PARURES D'ALGERIE ; ALGER 1977
- 15-GRIGAUT : CHIRURGIE ESTHETIQUE ET PLASTIQUE ; ED/ MALOINE S A
PARIS 1981 .
- 16-GUY .GAUTHIER : INITIATION A LA SEMIOLOGIE DE L'IMAGE ; CH.
CORLET 1984 .
- 17-J-FAIVRE ET CL .ZENATTI : CHIRURGIE ESTHETIQUE ; ED/ MALOINE SA
PARIS 1980 .
- 18-J-H- PROBEST : LES TATOUAGES TRADITIONNELS DES INDIGENES
ALGERIENS ; ED/ JOANNES DESVIGNE ET SES FILS EDITEURS 1930 .
- 19-JACQUE .CHAZANO : LES 50 MOTS CLES DE LA PSYCHANALYSE ; ED/
PRIVATE 1973 .
- 20-JEAN .PIAGET : LA PSYCHOLOGIE DE L'ENFANT; PUF 1966 .

- 21-JEAN .DAVID : PROBLEMES SOCIOLOGIQUES ET JURIDIQUES POSES PAR LE TATOUAGE DEPUIS 1939 DANS QUELQUE PAYS D'EUROPE ; ED/ ESF PARIS 1950 .
- 22-LOUIS .GUIMBARD : LA TAPISSERIE DE HAUTE ET BASSE LISSE ; ED/ LIBRAIRIE D'ART R .DUCHET 1928 .
- 23-LUCIEN .LEVY BRUHL : LA MYTHOLOGIE PRIMITIVE ; ED/ PUF 1963 .
- 24-LUIS .J .PRIETO : PERTINENCE ET PRATIQUE (ESSAI DE SEMIOLOGIE) ; ED/ MINUIT PARIS 1978 .
- 25-MALEK .CHEBEL : LE CORPS DANS LA TRADITION AU MAGHREB ; ED/ PUF 1984
- 26-26-MALIKA .HACHID : LES PIERRES ECRITES DE L'ATLAS SAHRAOUI ; ED/ ENAG ALGER TOME 01; 1992 .
- 27-MARCEL .MAUSS : SOCIOLOGIE ET ANTHROPOLOGIE ; ED/ QUADRIGE PUF PARIS 1950 .
- 28-MATHEA .GAUDRY : LA FEMME CHAOUIA DE L'AURES , ETUDE SOCIOLOGIE BERBERE ;ED/ PAUL GEUTHNER 1929 .
- 29-MICHEL .DUCHET : ANTHROPOLOGIE AU SIECLE DES LUMIERES ; ED/ FLAMMARIAN PARIS 1977 .
- 30-MOHAMED .BEDJOUI: ARTS POPULAIRES RURAUX ; ALGER 1977 .
- 31-MOHAMED .SIJELMASSI : LA PEINTURE MAROCAINE ; ED/ J .P TAILLANDIER ; PARIS 1972 .
- 32-NAFISSA .ZERDOUMI : ENFANTS D'HIER (EDUCATION DE L'ENFANT ALGERIEN AU MILIEU TADITIONNEL) ; ED/ FRANCOIS MASPERO PARIS 1979 .
- 33-PIERRE .BOURDIEU : SOCIOLOGIE DE L'ALGERIE ; ED/ PUF 1974 .
- 34-PIERRE .DU BOURGUET : L'ART EGYPTIEN

- 35-PIERRE .DACO : LES TRIOMPHE DE LA PSYCHANALYSE ; ED/ MARABOUT
SERVICE 1968 .
- 36-PIERRE .FRESNAULT DERUELLE : L'IMAGE MANIPULEE ; CH CORLET
1983 .
- 37-ROBERT .E .MUELLER : L'ART D'INVENTER ; ED/ NOUVEAU HORIZON
PARIS 1965 .
- 38-ROBERT .FARRIS .THOMPSON : L'ECLAIR PRIMORDIAL (PRESENCE
AFRICAINNE DANS LA PHILOSOPHIE ET L'ART AFRO-AMERICAINE) ;ED/
CARIBEENNES PARIS 1985 .
- 39-ROLAND .BARTHES : RHETORIQUE DE L'IMAGE .
- 40-R .HADJAM : GUIDE MEDICAL DE LA FAMILLE , ED/ DIFFUSION
COMMUNICATION , OMEGA , ALGER 1996 .
- 41-SIGMUND .FREUD : TOTEM ET TABOU , ED/ PETIT BIBLIOTHEQUE PAYOT
1966 .
- 42-SIGMUND .FREUD : LES CINQ LECONS DE LA PSYCHANALYSE ; ED/ PETIT
BIBLIOTHEQUE PAYOT 1985 .
- 43-STEPHAN .GSELL : HISTOIRE ANCIENNE DE L'AFRIQUE DU NORD ;TOME
01; ED/ LIBRAIRIE HACHETTE PARIS .
- 44-TATIANA .BENFOUGHAL : BIJOUX DE L'AURES ; ENAP ALGER 1979 .
- 45-VAOYK : GEOMETRIE DESCRIPTIVE , OPU 1989 .
- 46-WILLIAM .CARRUCHET : TATOUAGES ET TATOUES ; ED/ TCHOU 1977 .
- 47-Y .MARQUET : LA PHILOSOPHIE DES IHWAN AL SAFA ; ALGER 1973 .
- 48-YOUCEF .NACIB : ELEMENTS SUR LA TRADITION ORALE ; ED/ SNED
ALGER 1982 .
- 49-ZENSTSOU .OHYA : ETUDE SUR LE TATOUAGE AU JAPON ; ED/ MENERVA
DERMATOLOGICA 1959 .

1- ROALD DAHL'S : TALES OF THE UNEXPECTED ,PENGUIN BOOKS ,BRITAIN

1979 .

III- المراجع المترجمة:

- 1- آلن بير، ترجمة د/ سمير الشبخاني: لغة الجسد (كيف تقرأ أفكار الآخرين من نحل إيماءاتهم)، دار الأفاق الجديدة، بيروت ط01 1994.
- 2- إميل بنفنست: مسائل من اللسانيات العامة، جاليمار 1976.
- 3- دليلة مرسللي، فرانسوا شوفالدون، مارك بوفات، جان موطيت-ترجمة عبد الحميد بورايو: مدخل إلى السيميولوجيا (نص- صورة)، د. م. ج الجزائر 1995.
- 4- روني هوغ: معنى الفن و مصيره، الجزء الأول، طبعة فلانماريون 1967.
- 5- سيغموند فرويد، ترجمة جورج طرايشي: النظرية العامة للأمراض العصائية، دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت 1980.
- 6- عبد الكبير الخطيبي، ترجمة محمد بنيس : الجسم العربي الجريح، دار العودة بيروت 1980.
- 7- كلقن هال، ترجمة د/محمد فتحي الشنطي: أصول علم النفس الفرويدي، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت 1970.

VI- الدوريات :

1- باللغة العربية:

- مجلة التراث الشعبي، العدد 09، دار الجاحظ للنشر، بغداد العراق 1978.
- مجلة التراث الشعبي، العدد 03 و 04، دار الجاحظ للنشر، بغداد العراق 1979.
- مجلة التراث الشعبي، العدد 11، دار الجاحظ للنشر، بغداد العراق 1979.
- مجلة التراث الشعبي، العدد 10، دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق 1980.
- مجلة الحياة الثقافية، تونس 1989.
- مجلة العربي، العدد 435 فبراير 1995 وزارة الإعلام الكويت.
- مجلة العربي، العدد 437 أبريل 1995 وزارة الإعلام الكويت.

2- باللغة الأجنبية:

- FEMME ACTUELLE 15/ 06/ 1990 .
- FEMME D'AUJOURDHUIT 14/07/ 1985 .
- REVUE AFRICAINE 1956.
- REVUE SCIENCE ET VIE , N° 832 , JANVIER 1987 .
- LE JOURNAL « EL WATTAN » 14/ 10/1994 .

V- الموسوعات :

- باللغة العربية:

1- الموسوعة الطبية : المجلد الرابع عشر، جنانف 1991.

- باللغة الأجنبية:

- 1- GEORGES .MILLANVOYE : MINI ENCYCLOPEDIE DES MEDECINES NATURELLES ; ED/ FRANCE LOISIRS PARIS 1986 .
- 2- LUDWIG .KNOLL : ENCYCLOPEDIE DE PSYCHOLOGIE PRATIQUE ; ED/ AIMERY SOMOGY PARIS 1980 .
- 3- OSWALD .DUCROT ET TZVETAN TODOROV : DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE DES SCIENCES DU LANGAGE ; ED/ DE SEUIL 1972 .
- 4- STRIA .ZYTH : ENCYCLOPEDIE QUIET ; VOLUME 10 .

IV- المعاجم اللغوية:

- باللغة العربية:

- 1- أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم (ابن منظور) : لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ج 09، د. ط، د. ت، بيروت.
- 2- أبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ابن سيّدة) : السفر الأول من كتاب المخصص، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، الجزء الأول، د. ت.
- 3- الأمير أمين آل ناصر الدين: الرّافد (معجم للإنسان و البيئة)، الجزء الأول، مكتبة لبنان بيروت ط02 1981.
- 4- جان لابلونش، ج. ب. بونتاليس، ترجمة د/مصطفى حجازي: معجم مصطلحات التحليل النفسي، ط01 ديوان المطبوعات الجامعية 1985.

- 5-د/خليل الساجر: المعجم العربي الحديث، مكتبة لاروس 1973 باريس.
- 6- شمس الدين أبي عبد الله بن القيم الجوزي : معجم التداوي بالأعشاب و النباتات الطبية، شركة الشهاب، الجزائر 1987.
- 7- دا سهيل إدريس : المنهل :قاموس عربي _ فرنسي.
- 8- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز: قاموس المحيط، مكتبة النوري، دمشق، الجزء 04.
- 9- المنجد في اللغة و الإعلام، ط25، دار الشروق ، بيروت 1981.

- باللغة الأجنبية:

- 1- ANDRE DOMART ET JACQUES BOURNEUF: PETIT LAROUSSE DE LA MEDECINE ;ED/ LIBRAIRIE LAROUSSE PARIS 1989 .
- 2- NOBERT SILAMY : DICTIONNAIRE DE LA PSYCHOLOGIE ;ED/ LAROUSSE PREMIERE PARIS 1969 .
- 3- DICTIONNAIRE DE LA LANGUE FRANCAISE (PETIT ROBERT) TOM 01 .
- 4- DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE (PETIT LAROUSSE) ; ED/ LAROUSSE PARIS 1981 .

الفهرس

	الإهداء
	التشكرات
أ-ح	مقدمة
1	المدخل
2	I - الممارسات المؤقتة
3	1-الكحل
3	2- الحناء
4	3- تزيين الوجه
5	II - ممارسات راسخة (دائمة)
5	1 - الجراحة التجميلية
5	أ- الأنف
6	ب -الحاجبان
6	ج-الأذن
6	2-الختان
9	الفصل الأول : ماهية الوشم
10	المبحث الأول: نشأة الوشم
24	المبحث الثاني : تعريف الوشم وتقنياته
25	I- تعريفه
25	1- لغة
25	2- اصطلاحا
37	II-تعريف الواشم
40	III-مصدر كلمة الوشم
44	VI- تقنيات الوشم

44	1-تقنيات تجسيد الوشم
49	2 - تقنيات إزالة الوشم
53	الفصل الثاني : الوشم أنواعه، أشكاله و لغته
55	المبحث الأول : أنواع الوشم
55	I- الوشم الاعتقادي أو الفالي
57	II- الوشم العلاجي أو الوقائي
59	III-الوشم التذكاري
60	IV-الوشم التعييني
61	V- الوشم التسجيلي و المُخبر
61	1-الوشم التسجيلي
62	2-الوشم المُخبر
63	VI- الوشم الطارئ أو غير المقصود
63	VII- الوشم التعجبي أو التقديري
64	VIII-الوشم الغرامي أو الجنسي
66	1-الكتابة الصريحة
66	2- الرسومات (الرموز و الإشارات)
66	3-الكتابة مع الرسم
66	IX- الوشم الجمالي
69	X- الوشم الفني
70	المبحث الثاني : أشكال الوشم
70	I- الأشكال ذات الطابع الكتابي
73	II- الأشكال ذات الطابع الرسومي
74	1-أشكال حيوانية
76	2-أشكال نباتية
78	أ- سعف النخيل

78	ب- السنبله
79	ج- الأشجار
79	هـ- الوردة أو الزهرة
80	3- الأشكال الهندسية
86	III- أشكال أخرى
87	1- أشكال مستوحاة من أعضاء الجسم البشري
87	أ- الأعضاء الداخلية
88	ب- الأعضاء البارزة
90	2- أشكال مستوحاة من عالم الجماد
92	3- أشكال فلكية
96	IV- أشكال زخرفية
97	المبحث الثالث : لغة الوشم LANGAGE DU TATOUAGE
98	I- الوشم تعبير
99	1- الكتابة Ecriture
99	أ- الجملة
100	ب- الكلمة الموشومة
100	ج- الأحرف الأولى: Les initiales
101	د- الأحرف Lettres alphabétiques
101	2- الرمز
103	3- الإشارة
107	III- الوشم فن
108	1- القيم التشكيلية في الفن والوشم
111	2- مقارنة الوشم مع بعض عناصر الفن التشكيلي
111	أ- الوشم و الزربية
114	ب- الوشم و النقش
115	ج- الوشم والرسم
116	الفصل الثالث : تحليل نماذج من أشكال الوشم

122	المبحث الأول : أشكال بسيطة
122	I - أشكال نباتية
122	1- الزهرة
123	أ-زهور متفرعة عن ساق واحد
125	ب- زهرة بدون ساق
127	ج- السنبله : (الخط الشعاعي)
130	II - أشكال حيوانية
130	1 - الحمامة الزاجلة
133	2- الأفعى (الحية) : VIPER
136	المبحث الثاني : أشكال مركبة
136	I - أشكال ثنائية التركيب
139	II - شكل ثلاثي التركيب
140	1- السيف
141	2- القلب
143	3- العين
145	III - شكل رباعي التركيب
146	1 - الأفعى
147	2 - الكف (الخمسة)
148	3- العين
149	المبحث الثالث : أشكال زخرفية
150	I-شكل زخرفي معمم (المغلق)
154	II - شكل زخرفي مفتوح
158	III - شكل زخرفي ذو عناصر متباينة
162	IV - شكل زخرفي ثلاثي التركيب
168	الخاتمة

172

184

195

الملاحق

قائمة المصادر و المراجع

الفهرس